مبادئ

الخدمة الاجتماعيَّة

(تحدّي الصِّعاب وإحداث النُّقلة)

تأليف

أ.د/ عقيل حسين عقيل

جامعة طرابلس/ كلية الآداب

قسم الخدمة الاجتماعيَّة

2018م

المحتويات

المقدّمة 5

مبدأ تحدّي الصِّعاب 7

تحدّي الصِّعاب تحدّي المخاطر: 17

تحدّي الصِّعاب يجعل الخوف شجاعة: 18

مبدأ إحداث النُّقلة..... 24

مبدأ استبصار ذّات 32

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (استبصار الذَّات):..... 34

مبدأ استبصار التقبُّل 48

مكونات مبدأ استبصار التقبّل:..... 49

تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت:..... 51

مبدأ الاتزان الوجداني..... 56

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (الاتزان الوجداني):..... 57

مبدأ اعتبار الخصوصيَّة..... 64

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (اعتبار الخصوصيَّة):..... 65

مبدأ تفهُّم الظّروف..... 70

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (تفهُّم الظّروف):..... 72

التفهُّم قيمة إنسانيَّة: 75

مبدأ غرس الثّقة..... 80

دور الأخصائي الاجتماعي وفقا لمبدأ (غرس الثّقة):..... 81
مبدأ إحراز التقدير 86
تنسيق (الخط الأحمر): 86
مبررات التنسيق:..... 88
كل إنسان يسعى لإحراز التقدير: 92
لا تقدير إلّا بأفعال تستوجب التقدير: 98
مبدأ ترسيخ المكانة..... 103
مبدأ تفخيم الكرامة 109
الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية: 110
مبدأ تعزيز الموضوعيَّة 117
مبدأ تصحيح المعلومة 128
المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل:..... 130
مبدأ حقّ المشاركة..... 132
المشاركة حقّ لِمن يتعلّق الأمر بهم:..... 134
دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (تفعيل المشاركة): 150
مبدأ الأهداف تُنجز 156
إنجاز الأهداف يُمكّن من معرفة المجهول: 163
إنجاز الأهداف صُنع المستقبل: 167

مبدأ تدبّر الحاضر 172

مبدأ الأغراض تتحقّق 184

تحقيق الأغراض رفعة ينمي الذّاكرة: 195

الأغراض مولود الفكرة: 202

أين تكمن صعوبة تحقيق الغرض؟ 206

مبدأ الغايات تُبلغ 213

الغاية كشف المجهول: 222

الغاية تطلّع شخصيّة: 224

مبدأ نيل المأمول 227

صُنع المستقبل المأمول: 237

مبدأ نيل الاعتراف 248

مبدأ تبادل الاحترام 255

مبدأ ترسيخ الشفافيَّة 261

مبدأ الاستيعابُ احتواء 263

صدر للمؤلّف 277

المؤلّفات 279

المؤلّف في سطور 291

المقدّمة

الخدمة الاجتماعيَّة مهنة استمدت مبادئها من القيم الإنسانيَّة الحميدة، يمارسها أخصائيون اجتماعيون لهم من المهارة ما يمكّنهم من دراسة الحالات تحليلًا وتشخيصًا وعلاجًا.

ولأنَّها مهنة إنسانيَّة جاءت مبادئها متحدّية لكلّ معيق لتكيّف الأفراد والجماعات وتوافقهم اجتماعيًّا، ولها من الأهداف ما يمكّن من تقديم المساعدة الهادفة (التي تنهض بمن تقدّم لهم وتجعلهم متفاعلين ومشاركين في أداء الوظائف الاجتماعية والإنسانيَّة).

ولأنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة إنسانيَّة فهي لا تفرّق بين من هم في حاجة للمساعدة الموضوعيَّة، وهذا لا يعني أنَّها لا تقدّر الخصوصيات الاجتماعيَّة والثقافيّة والدينيَّة، بل هذه من الضروريَّات التي تستوجب الانتباه والالتفات إليها.

ولهذا؛ أهتمَّ مؤلّفنا: مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصِّعاب وإحداث النُّقلة) بما يمكّن من الإصلاح وبلوغ الحلّ، مع قبول التحدّي؛ إذ لا مستحيل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

ولأنَّ مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة مستمدَّة من القيم الحميدة، فهي دائمًا متجدّدة مع تطوّر العلوم المعارف ولا ثابت بالمطلق إلّا من عند الله.

مهنة تحفِّز على التحدّي، ولا ترى للخوف مكانًا إلَّا فيما يجب الخوف منه حذرًا؛ بغاية تفاديه، وتجنّبه، ثمَّ القضاء عليه بلا تردّد؛ وذلك من أجل أهداف تستوجب الإنجاز، واغراض تتطلّب التحقّق، وغايات ينبغي بلوغها، ومأمولات يجب أن يتمّ نيلها.

إذن: مبادئ التحدّي لا تقبل بالاستسلام للحاجة، ولا حتى للمرض؛ لأنَّها تعرف أنَّ للحاجة مشبعات لا تشبع إلّا بالعمل الذي لا ينجز إلَّا:

. تحدٍّ للكسل.

. تحدٍّ للاتكاليَّة.

. تحدّس للظّروف.

. تحدٍّ للتازُّمات.

. تحدٍّ للألم.

وعليه:

فإنَّ قواعد مهنة الخدمة الاجتماعيَّة: الفضائل الخيِّرة، ومحتوى مبادئها: القيم الحميدة، وهدفها: الإنسان قيمة في ذاته فلا ينبغي أن يهمل ويترك لاستفزاز الحاجات ومغالبتها، ومن ثمّ يقبل الأخصائيون الاجتماعيون التحدّي وهم واثقون من مغالبته وقهره مهنة وفنًا وموضوعيَّة.

أ.د. عقيل حسين عقيل

جامعة طرابلس/ كلية الآداب

قسم الخدمة الاجتماعيَّة

2018م

مبدأ

تحدّي الصِّعاب

الصِّعاب تستوجب مزيدًا من الجهد لتحديها دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرًا ومزيدًا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصِّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاء لا بدَّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصِّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنَّ الممكن ارتقاءً يُمكّن من تحدّي الصِّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ومن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا؛ فالتهيّؤ لتحدّي الصِّعاب يُمكّن من أداء العمل ارتقاء؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدّيًا تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون

لارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرّفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعدّ لتحدّي الصِّعاب وأقدم عليها فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيّره عن الاستمرار فيها، إلَّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا تُصحَّح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجيّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عمليَّة التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب فعليك:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحًا وتصالحًا وعفوًا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[1].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائمًا أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّيًا وقهرًا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثَّمن جهدًا ووقتًا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

---

[1] الأحزاب 25.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجًا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسوّلًا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصِّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنَّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاءً لا بدَّ وأن يكون متأهّبًا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصِّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، حتى تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا، ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

ومن هنا، تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلّا بالإزاحة، أي: لا إمكانية لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تزاح العوائق من السبيل المؤدّي إلى ذلك.

ولأنَّها عوائق؛ فهي قابلة لأن تزاح، ولأنَّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومن يتأخّر عن إزاحتها في شبابه، سيجد نفسه متأخرا عمّن أزاحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصِّعاب لا تخيف، بل المخيف عدم الإقدام على تحدّيها. ومع ذلك فالصِّعاب لا تواجه الكسالى، بل تواجه المتطلّعين لصنع المستقبل، فالصِّعاب إن لم تداهم تحدٍّ، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد فلا إمكانية؛ ولذلك فإنّ غياب الأمل يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب أملًا فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. أصْمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك ويحترمك ويعترف بك مساويا له على كفّة العدالة.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائمًا أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدّي بتحدٍّ.

. اقبل بدفع الثّمن جهدًا ووقتًا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلًا أو يخالجك جبنًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلًا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنَّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته والرّغبة من ورائهما حافزٌ ودافعٌ.

ولذلك فتَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات الإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فقد لا يحقّق ذلك، فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلّمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلّمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائمًا راغبًا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء

حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرًا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا، وجب غرس الثقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا بلوغ المأمول، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلًا، ولهذا لا ينبغي لنا أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النفسيَّة والبدنيّة والماليَّة لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثّقة في النفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعيَّة الموجبة.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشَّعب كلّه وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة والنفسيَّة والذوقيَّة وفقا للخطط والاستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثقة في أفراد الشَّعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشَّعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجا.

. استثمار الإمكانات البشرية والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحِّها، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات الدولة ومؤسّساتها إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ ولهذا فكلّ ما لم يكن مستحيلا ممكنٌ، وكلّ مستحيل مثبت وهو الذي نعلمه ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم يوم الحساب ولكنّنا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنّه موجود ولكنّه لا ينفى كغيره من الموجودات في دائرة الممكن، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السبت فإنَّ الأحد سيأتي غدا وفقا لعلمنا، ولكن عندما يقع المستحيل فقد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه. إنّه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا؛ ولذا فكل من الممكن والمستحل يحدثان وفقا لتوقعاتنا، ولكن الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا على فعله، أي: المستحيل نتوقّعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمّا الممكن فنتوقعه ويحدث داخلنا[2].

[2] عقيل حسين عقيل، الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 14.

تحدّي الصِّعاب تحدّي المخاطر:

التحدّي لا يكون إلّا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناءً وإصلاحًا وإعمارًا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم والمتقدِّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنيةً وحُسن إدارة؟

ولأنّ التحدّي لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي لمن يرغب التحدّي ارتقاء أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع الندم.

فالعمل تحدٍّ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل تحدٍّ؛ لتكون المكانة للجميع، {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[3].

[3] الأنعام 135.

العمل تحدٍّ يصعد بأصحابه من تحت الصّفر إلى الصفر تحدٍ دون أن يتوقّف عنده أملا، بل يتجاوزه بالعمل حتى يصعد إلى القمر، ثم يتجاوز القمر لكونه لم يكن النهاية، فيغزو الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة الأمجاد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، فإنَّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه تحدٍّ.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهّلًا للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل تحدٍّ تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا فعليه بالعمل وتحدّي الصِّعاب، ولا يخش شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

تحدّي الصِّعاب يجعل الخوف شجاعة:

الخوف لا يصنع المستقبل إلّا إذا توافرت الشَّجاعة التي هي تصميم على الإقدام بعد حسابات موضوعيّة، ولكن إنْ تمَّ التخلّي عن الإقدام بعدما توافرت معطياته الموضوعيَّة، تُصبح الصفة السائدة هي الجبن، وفي مقابل ذلك عندما يكون الإقدام عن غير موضوعيّة، تُصبح الصفة السائدة هي التهوّر، فالشَّجاعة تكون حيث لا يكون الظلم، والتهوّر قد يكون والظلم معا، فالشَّجاعة عقباها يُحمد، والجُبن عقباه يُذمّ، والتهوّر أصحابه يلامون، والشَّجاعة قد تؤدّي إلى الإقدام وقد تؤدّي إلى الانسحاب وكذلك قد تؤدّي إلى الإحجام؛ فالمتّصفون بها

لا يقدمون إلّا على ما يجب الإقدام عليه، وقد ينسحبون إذا عرفوا أنّ الإقدام في مرحلة من مراحله سيؤدّي إلى التهلكة، وقد يحجمون عن وعي لمعرفتهم بما يجب؛ ولذا فالإقدام والانسحاب والإحجام لا تتمّ إلّا بعد معرفة واعية بها يسترشد العقل.

ولسائلٍ أن يسأل:

هل الشَّجاعة مواجهة الخوف؟

أقول:

لا شجاعة إلّا والخوف قوّة من ورائها يُحفّز على الإقدام، فلولا الخوف ما كانت الشَّجاعة، ولا مرشد للشجاعة إلى غايتها إلّا الخوف؛ ولذا ستكون الشَّجاعة ضالة لطريقها ما لم يرشدها الخوف إلى الأهداف والغايات التي تستوجب الإنجاز والبلوغ.

إذن: لا يمكن أن تكون الأنفس ممتلئة شجاعةً إن لم يكن الخوف قوّة إثارتها، ومرشدها تجاه ما يجب أن يُنجز من أهداف وغايات عظيمة، فالخوف لا يكون إلّا حيث تكون المخاطر استقراءً ومشاهدة واستطلاعا، فبه العقل يُدرِك ما يجب وما لا يجب، وبه يتمّ الاسترشاد الموضوعي إقداما أو انسحابا أو إحجاما.

ولأنّه لا شجاعة إلّا والخوف من ورائها، إذن: كلّما اشتدّ الخوف ازدادت الشَّجاعة شدّة، وكلّما انفرج الخوف انفرجت الشَّجاعة من شدّتها؛ ولذا فالعلاقة لا تكون إلّا تكاملية بين الخوف والشَّجاعة. أمّا العلاقة بينها والجُبن فهي علاقة تناقض؛ فحيث ما يحلَّ الجبن تغيب الشَّجاعة؛ فالجبن خلاف الخوف، من حيث كون الجبن مانعا للإقدام والانسحاب الموضوعيين، والخوف محفّز عليهما ومرشد إليهما تجاه ما يجب، فهو المنبّه على مكامن الخطر وبؤر الفساد، لأجل القضاء عليها وتفادي مؤثراتها السلبية، وما يترتّب عليها من مظالم.

فالخوف مُنبّه فطري للعقل كي يتدارك الأمر قبل وقوع الكارثة؛ ولهذا فهو يؤدّي إلى أخذ الحيطة والحذر كلّما توافرت الشَّجاعة، وفي مقابل ذلك لا يؤدّي الجبن إلى أخذها.

والشَّجاعة موضوعيا لا تكون ظاهرة إلّا في حُسن تصرّف الفعل، ولا علاقة لها بتلك العضلات المفتولة لدى البعض، فالكثير منهم متهوّرون وبعضهم جبناء وبدون شكّ منهم العقلاء (الشجعان)؛ فالشَّجاعة في الفكرة والرأي المترتّب عليها والقرار المنفّذ لها. أمّا التهوّر الاستعراضي فلا يُؤدِّي بأصحابه إلّا للتهلكة أو الخسارة في أسواق المنافسة الحرّة، فمن يتّخذ القرار الصّعب في الظرف الصّعب عن حكمة يوصف شجاعا، ومن يتقدّم لفك الفتيل قبل الانفجار المؤدّي إلى التهلكة يوصف شجاعا، ومن يتبيّن خطورة ذلك عن معرفة واعية ويمتنع عن فكّه وهو قادر يوصف جبانا.

وعليه: فالشَّجاعة قوّة عقلية (تفكُّر وتدبُّر) تُقدِّم أعمال الخير وأفعاله الحِسان، وتُسهِم في صناعة التاريخ وتَرسيخ الهويّة، وأصحابها يقبلون دفع الثمن مقابل جزاءٍ إنساني في مرضاة النفس والخالق تعالى.

ولذا؛ فالفرق كبير بين الشَّجاعة والتهوّر؛ فالشَّجاعة موضوعيا لا تكون إلّا بحسابات الخوف، أمّا التهور والجبن معا فلا حِسابات في قاموسهما للخوف الموضوعي؛ ممّا يجعلهما يوقعان بأصحابهما في أوّل المحاذير التي لو كان للخوف مكانه في قاموسهما لتمّ تفاديها.

الشَّجاعة لا تتحقّق إلّا عن رويّة، وعاقبتها السلامة الممكِّنة من بلوغ السكينة. أمّا التهوّر فلا علاقة له مع الرويّة، وعاقبته الندم والألم معا، ممّا جعل للشجاعة منطق، وجعل للتهوّر سذاجة.

ولمتسائلٍ أن يتساءل:

. لماذا الشَّجاعة عن منطق؟

. ولماذا التهوّر عن سذاجة؟

أقول:

الشَّجاعة لا تكون إلّا عن منطق؛ لأنَّها تستهدف إيجاد حلٍّ، وتؤسّس على سرعة التدبّر قبل تفاقم المشكل.

والتهوّر لا يكون إلّا عن سذاجة؛ لأنَّه يؤدّي إلى تأزمات؛ ولذا فهو المؤسس على التسرُّع.

وعليه: فالعلاقة الموضوعيَّة بين الشَّجاعة والخوف علاقة إقدام وتحسُّب وفطنة وانتباه وأخذ حذر، وصناعة مستقبل فيه السكينة والأمن. أمّا التهوّر فلا نتائج له إلّا فقدان الثقة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل لكلٍّ حساباته عندما تحين الفرصة.

إذن: الشَّجاعة لا تكون إلّا إذا حلّت الثّقة والأمن في النفس، أمّا إذا رحلتا عنها أو قاطعتا الالتقاء بها، فلن يكون في النفس مكان يُحلُّ فيه إلّا أماكن الجبن والتهوّر؛ ولذا فإنْ استقرّ الأمن في النفس، رحل الخوف عنها، وإذا فارقها الأمن، حلّ الخوف فيها، وسيظلّ حتى أن تبلغ الأمن وتسترجعه إنْ أرادت سكينة وطمأنينة مصداقا لقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[4]. أي: إن القرية كانت مملوءة بالعباد وخالية من الخوف، حاجاتها مُشبعة، ولم تكن في حاجة؛ حيث لا منقوص لديها، ومع ذلك كفرت؛ فلم تُقدّر أنعم الله عليها، فألمَّ بها الجوع وحلّ الخوف في نفوس ساكنيها.

[4] النحل 112.

وهكذا النتيجة دائمًا كما يحلُّ الخوف محلَّ الأمن والسكينة والطمأنينة هي تحلّ محلّه، وسيظلّ الحال هكذا مبادلة إلى أن يبلغ الإنسان مخافة الله فلا يخاف، أي: سيظلّ الخوف رفيقا في أنفسنا إلى أنْ تتقي الأنفس ربَّها خوفا، فإذا اتَّقته خوفا انعدم الخوف عنها وبقيت في سكينة آمنة مطمئنّة، وإن بلغتْ هذا المبلغ، بلغتْ بلا خوف مقاصدها.

وعليه: إنَّ الخوف وجوبي، سواء أكان خوف حذرٍ أم خوف حرصٍ، ولتبيان الفارق بينهما نقول:

أ ـ خوف الحذر: (الخوف من) الخوف من الآخر الذي يستوجب إعداد عُدّة، فالإحساس بالخطر يستوجب أخذ الحذر الذي يترتّب عليه أخذ الحيطة باختيارات المواجهة أو اختيارات الانسحاب، ولكن إذا لم يكن الأمر محسوما لصالح أحد الاختيارين، يصبح التنسيق هو الحلّ، وذلك حسب التقديرات والاحتمالات الممكنة، فعلى سبيل المثال: الصراع بين العرب والإسرائيليين على الأرض أنتج الشعور بالخوف المتبادل، خوف العرب من إسرائيل من أن تمتلك الأرض المحتلة، وخوف إسرائيل من العرب أن يخرجوها بالقوة؛ ولهذا سيستمر الصراع ما دام الإحساس بالخوف مستمرا.

ولأنَّ الخوف قوّة تفاعليّة في النفس تجاه الآخر وما يمكن أن يفعله فهو بطبيعة الحال قوّة مؤثِّرة إيجابيا إن تمّ التخطيط لِما يجب أن يكون بديلا أو حلّا ليحلّ سكينة وأمنا بدلا من ذلك الخوف؛ فالخوف على الحياة ممّا يلمّ بها من مخاطر يستدعي إعداد عُدّة؛ لتفادي تلك المخاطر، وإلّا في دائرة الممكن ستقع المخاطر لا محالة؛ ولهذا فالخوف الحذري تجنبي وقائي.

ب ـ خوف الحرص: (الخوف على)، كالخوف على النفس والخوف على الآخر الذي لم يُقدِّر ظرفه وإمكاناته وما يجب أن يقوم به أو يؤدّيه، وهذا النوع من الخوف لا يكون إلّا من حريص لا متهوّر ولا جبان، ممّا يجعل الآباء والأمهات

والمسؤولين المحترمين ومحبي الخير حريصين كلّ الحرص على ألّا يلحق أذى بأبنائهم وبني جنسهم ومن ينتمي إليهم قيما وفضائل.

وسيظلّ هذا الحال كلَّما توافرت اشتراطات وجود الخوف الذي يترتّب عليه بالضرورة وجود خائفٍ ومخيفٍ. وعندما يحسّ أيِّ طرف على أيِّ بقعة من خريطة العالم، بأنَّ هناك من يشكل خطرا عليه؛ فقد يبادر هذا الطرف الذي يحس بالخطر بالهجوم على مصدر الخوف؛ ليباغته بضربة قاصمة يمكن أن تضعف الخصم وتعيده إلى طاولة المفاوضات (طاولة التنسيق).

مبدأ

إحداث النُّقلة

النُّقلة مفهومٌ يعبّر عمّا حدث من تغيُّر وتغييرات كان لها الأثر الرّفيع في تحسين الأحوال وتجويدها، ونقل أصحابها من المستويات والخانات الدنيا إلى مستويات عليا، وبالمقارنة بين ما كان وما أصبح الإنسان عليه يلاحظ الفرق الشاسع؛ والنُّقلة من المعنويَّات كالتطوُّر والطفرة؛ لأنَّها الاسم نفسه.

والنُّقلة غير النَّقلة؛ لأنَّ النُّقلة تطلق على الأثر الرّفيع الذي ظهر على من أصبح معرفيًّا وثقافيًّا على غير ما كان عليه سُفليّة ودونيّة.

أمَّا النَّقلة: فهي ترتبط بالمحسوس المادّي، كنقلة بضاعة، أو نقلة ركّاب، أو أيِّ شيء يمكن أن يُشحن؛ وهي اسم مرّة من النَّقْل، يقول العسكري: النَّقلة لا تكون إلَّا عن مكان، وهي التحول منه إلى غيره[5]

ولهذا يلاحظ استخدام كلمة النَّقلة في غير مكانها، أي: إنَّها تستخدم من الكثيرين فيما ينبغي أن تستخدم فيه كلمة النُّقلة النوعيَّة.

وأقول لمن يرغب بلوغ النُّقلة: إنَّ تحدّي الصّعاب يحقّق النُّقلة النّوعية، ويمكّن من تجاوز المستويات القيمية الثلاثة: (الذاتية والانسحابية والأنانية) إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسيّة وبالعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

---

[5] أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة، دار العلم والثقافة، القاهرة، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، ص 147.

ولأنّ تحدّي الصِّعاب يمكّن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصِّعاب من أجل مأمول عظيم.

أمّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك، فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيميَّة التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفِّزهم على تحدّي الصِّعاب ويحقّق لهم النُّقلة.

فدفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخلية أو خارجية، أم أمر سلم أو حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعية يمكّنهم من بلوغ النُّقلة النوَّعيّة، وهكذا بالتمام تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعية إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنَّ إحداث النُّقلة ليس مستحيلًا ولا معجزًا، بل إنَّه في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع ممكنٌ، فَلِمَ لا يتم الإقدام على كلّ ما من شأنه أن يحدث النُّقلة ويحقّق الرّفعة ارتقاءً؟

وعليه:

- كن إيجابيا؛ لتنال التقدير والاعتراف.
- كن متفهِّما؛ لتحدث النُّقلة.
- اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.
- قدّر الآخرين تنال التقدير منهم.

. ثق أنّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. شارك الغير تحدّي الصّعاب تتيسّر لك الأمور حتى ترى غايتك بين يديك.

وعليه: فمن أجل تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة ينبغي لنا عدم الإغفال عن:

. تفعيل منطق النّحن بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد والذين يشتركون في رسم الخطط والاستراتيجيات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنّهم مفردات أساسية في الدّولة ولهم حقوق يجب أن تمارس وواجبات ينبغي لها أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي لها أن تحمل، حتى يصبح منطق الجميع نحن معًا.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهمية هذه القيم الاستيعابية، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها، فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدهم بالدفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم بعضا، وتقبلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيمية ذات أبعاد إنسانية.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانية بين العاملين والمتعلمين وأفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وأصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعددة؛ ذلك لأنّ الرّب واحد ولا شريك له.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطية بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيمية أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافيَّة واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسؤولياتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمرية للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة، حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أ خارجية أم أمر سلم أم حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (إنَّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهمية ممارسة الديمقراطية بشفافية، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصِّعاب وصُنع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهمية الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التَّمسُّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهمية كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة إلى الآخر وحاجته إليه.

. التخطيط لكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسؤوليات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيات؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلمية والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ للتعرف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والاستفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيات التي تحقق النُّقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّولية؛ تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

. ترسيخ لغة ومفهوم (نحن) حتى لا تسري الشخصانيَّة والانانيَّة في سلوك بني الوطن وأفعالهم؛ لأنَّ كلمتا أنا وأنت تسمح بمسافة امتداد فراغي؛ لتجذب

مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع الأنت لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثقة التي ينبغي لها أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة: (إنا الفرد ينبغي لي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرية ينبغي لي أن أعم النَّاس، وأنا الشفافيَّة ينبغي لي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي لأحد أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِمت به الآدمية. وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النَّاس كلّ النَّاس الذين لهم حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدَّ أن أُقال. وأنت الباطل لابد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن معًا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابية، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافية تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسما مشتركا.

ولأنّ التمسّك بالمنطق تمسّك بالقواسم المشتركة. إذن: (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي لنا العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهمية التمسّك بالقواسم المشتركة حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمرارية علائقية.

. الشفافيَّة وضوح في القول والفعل.

. تفهم الظّروف اعتبار ذاتي.

. التعامل بالقيم الحميدة تنمية أخلاق.

وعليه: فإنَّ تفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانية يؤدّي إلى تحدّي الصّعاب، أمّا إهمالها فيؤدي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام[6].

[6] عقيل حسين عقيل، تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 6 – 52.

مبدأ استبصار ذّات

(الإيمان بأنَّ لأفراد المجتمع قدرات واستعدادات متنوِّعة ومتعدِّدة يستوجب تنميتها قيميًّا، وتهيئتها لِما يُمكّنهم من إدراك الحالات التي هم عليها؛ ليتمكّنوا من النّهوض إلى مستويات تجعلهم قادرين على مساعدة أنفسهم، وهم في حاجة للتعبير المقصود عن مشاعرهم الكامنة، وأحاسيسهم التي تُمكِّنهم من التفاعل، والاعتبار القيمي للذّات، فلكلِّ فرد وجماعة خصوصيَّة يتميّزون بها عن غيرهم، ولكلٍّ منهم طريقة، وأسلوب، ومنهج في التعبير عن الخصوصيَّة الذَّاتيَّة التي تحتوي المعتقد الدّيني، والعرفي، والثقافي، والحضاري في تكوين الهويَّة).

يحتوي مبدأ (استبصار الذات) القواعد القيميَّة الآتية:

. تنوّع القدرات الفرديَّة وتعدّدها.

. تنوّع الاستعدادات الفرديَّة وتعدّدها.

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. التفطين من الغفلة.

. التمكّن من الإدراك.

. التمكّن من النّهوض.

. القدرة على المساعدة.

. العودة إلى البيئة الاجتماعيَّة.

. الاندماج الاجتماعي.

. التفاعل الاجتماعي.

التعبير عن الحاجة.

. إظهار المشاعر الكامنة.

. إظهار الأحاسيس.

. التمكّن من التفاعل.

. اعتبار الذّات.

. تمييز الخصوصيَّة.

.كشف الأسلوب.

. استنباط المنهج.

. الدّين معتقد إلهي.

. العرف مكوّن اجتماعي.

. للخصوصيَّة الاجتماعيَّة ثقافة.

. الفكر الاجتماعي.

. الحضارة بناء.

. الذات مقوّم للهويّة.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (استبصار الذَّات):

يؤدّي الأخصائي الاجتماعي دوره المهني المتضمّن في مبدأ (استبصار الذات وفقا للآتي:

1 . تحفيز العملاء والزّبائن على التعبير عن ذواتهم التي بها انطبعت شخصياتهم وتميَّزت عن ذوات الآخرين يشبع حاجتهم للتنفيس الوجداني ويحقّق لهم اعتبار الذات.

2 . استثمار قدرات الأفراد والجماعات المتنوِّعة فيما يفيد في تحسين سلوكهم ويدفعهم إلى ما يفيدهم والمجتمع الذي ينتمون إليه.

3 . العمل على إظهار المشاعر الكامنة في نفوس العملاء تجاه الحالات والمشاكل التي يعانون منها وما يأملونه من معالجات أو حلول مهنية من قبل مؤسّسات المجتمع والأخصائيين العاملين فيها.

4 . التعرّف على ما يشعر به أفراد المجتمع تجاه قضاياهم ومشاكلهم الاجتماعيَّة، وما يؤثّر في سلوكياتهم وأفعالهم تجاه الآخرين، والعمل على تحسينه أو تهذيبه أو تطويره أو تغييره.

5 . تهيئة استعدادات أفراد المجتمع المتعدّدة إلى العمل البناء من خلال التأهيل والتدريب المهني الفعّال.

6 – استثارة العملاء من أجل التعبير الحرّ عن مشاعرهم.

7 – استثمار نقاط الانبساط والسّرور التي تظهر بين الحين والآخر في أثناء المقابلة فيما يفيد؛ لإصلاح الحالة وعلاجها.

8 – البحث عن مثير يستجيب له العملاء، ويجعلهم يبادرون بالإفصاح عن مشاعرهم، ويدلون بمعلومات أكثر حرّية.

9 – إشراك العملاء في عمليَّة جمع المعلومات، واطلاعهم على نتائج التحليل والتشخيص، ومن ثمّ مشاركتهم في عمليتي العلاج والتقويم.

10 . إيقاظ العملاء من الغفلة التي هم فيها، وإعادتهم إلى قواعد المجتمع التي يرتضيها ويتمسّك بها في وحدته وتفاعله، وتطلّعه للمستقبل النّافع.

11 . حث أفراد المجتمع وجماعاته على التفاعل البناء الذي يُمكِّنهم من صناعة مستقبل أفضل لمجتمعهم الذي ينتمون إليه.

12 . اعتبار الذّات الاجتماعيَّة لدى الأفراد والجماعات وتقديرها وحثها على التطلُّع النافع والمفيد.

13 . تمكين العملاء من إدراك الحقيقة عن وعي وإرادة سواء من حيث الحالة التي هم عليها أم من حيث ما ينبغي أن يكونوا عليه؛ حتى يتبيّنوا بموضوعيَّة.

14 . تقديم المساعدة الهادفة للعملاء؛ حتى يتمكّنوا من النّهوض والتخلّص من عوامل الشد للخلف، وينطلقوا تجاه الأهداف التي حددها المجتمع ورسم لها الخطط والاستراتيجيات، ورصد لها الإمكانات اللازمة.

15 . اعتبار خصوصيات المجتمع وأفراده التي بها يتميَّزون عن غيرهم من المجتمعات، مع مراعاة عدم تعميم خصوصيَّة مجتمع معين على حساب خصوصيات الآخرين.

16 . معرفة ما يميّز كلّ مجتمع عن مجتمع آخر يستوجب معرفة الطريقة التي بها تنتظم العلائق الاجتماعيَّة قيميًّا بين أفراد المجتمع وجماعاته ومؤسّساته وهيئاته التي تُرسم له الخطط والاستراتيجيات.

17 ـ دفع الأفراد والجماعات لِما يؤهلهم على أداء مهام ووظائف أو حرف ومهن؛ حتى يتمكّنوا من الاعتماد على أنفسهم بدلًا من اعتمادهم على الغير.

18 ـ تهيئة المحيط الاجتماعي لتقبل أبنائه الذين فطنوا من غفلتهم وغرور الحياة، واستيعابهم في حركة التغيّر الاجتماعي، ودفعهم إلى المشاركة في كلِّ ما يفيدهم ويفيد المجتمع.

19 ـ عدم اتباع أسلوب واحد في التعامل مع حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة؛ إذ ما يناسب جماعة من الجماعات قد لا يناسب جماعة أخرى من المجتمع الواحد نفسه. وحتى لا يُقولب بني الإنسان وفق معايير قيمية معينة ينبغي أن تتعدّد الأساليب وتتنوّع مع تعدّد الحالات وتنوّعها.

20 ـ اتباع منهجية واضحة مع مرونة في الأسلوب في البحث والتقصي الدقيق أثناء دراسة الحالات وتتبّع عملياتها.

21 ـ ترسيخ قيمة التقبل بين الأنا والآخر يدفعهم إلى الاندماج في مصالح مشتركة وينمي قدراتهم ويدفعهم إلى إحداث النُّقلة.

22 ـ تفهّم ما يحس به الأفراد من مشاكل وهموم وظروف يُسهم في نقلهم إلى ما يجب.

23 – إشراك الأفراد والجماعات في رسم الخطط وإعداد البرامج بما يتناسب مع اهتماماتهم واحتياجاتهم.

24 – الاستفادة من خبرات أفراد المجتمع، وكفاءاتهم وقدراتهم القيادية، وأفكارهم البنّاءة.

25 – إظهار الأفكار والمهارات بتوازن من خلال الأسئلة الحيادية وغير المباشرة وبخاصة في المقابلات الأولى.

26 – ملاحظة معدل تحرك العملاء وفاعليتهم بالتدريج المناسب عند استثارتهم للتعبير عن مشاعرهم.

27 ـ معرفة المعتقد الديني للمجتمع وتأثيراته على قيم الأفراد والجماعات وأخلاقياتهم وسلوكياتهم ومعرفة المعايير الضبطية التي يتضمنها في تنظيم العلائق الاجتماعيَّة ومدى تطلّعه لاستيعاب الآخرين.

28 ـ تقدير الأعراف الاجتماعيَّة ومراعاة النظم والتشريعات المستمدّة منها ومدى تأثيرها على سلوكيات وأفعال أفراد المجتمع تجاه الآخر واتجاه ممارسة المهنة وأداء الوظيفة وحمْل ما يترتّب عليها من مسؤوليات.

29 ـ إشعار العملاء بأهميَّة خصوصياتهم وتقديرها يعزّز التعاون المهني بين الأخصائي والعملاء.

30 ـ حث أفراد المجتمع على استيعاب بعضهم بعضًا بأساليب مرنة ومتعدِّدة يجعلهم متفاعلين ويقوّي وحدتهم ويُسهِّل عمليَّة العلاج والإصلاح للحالات التي قد تَشِذ عن القاعدة.

31 ـ معرفة الثقافة الخاصّة بالمجتمع وتأثيراتها الإيجابية والسّلبية على أقوال أفراد المجتمع وأفعالهم وسلوكياتهم أثناء ممارسة الأنشطة والمشاركة في العمليَّة الإنتاجية وتقديم يد العون لمن هم في حاجة للمساعدة، وفي البحث العلمي والتطوّر الفكري والتقني والسّكاني والمعماري.

32 ـ معرفة البناء الحضاري للمجتمع وأثره على ظهور السّلوك في المعاملة بين الأفراد والجماعات ومع المجتمعات الأخرى؛ حتى يتمّ التمكّن من معرفة ما يجب اتباعه تجاه كلّ حالة من الحالات الاجتماعيَّة قيد البحث والدّراسة.

33 . إقناع العميل بأنَّه قوَّة في خلقه، ولذا لا ينبغي له أن يركن إلى الضّعف الذي يجعله في حالة تقوقع أو انحراف يجعله تحث طائلة القانون.

34 . تمكين الأفراد والجماعات والمجتمعات من التفاعل والتعاون والمشاركة في كلّ أمر يتعلّق بهم.

35 . الاعتراف بهويات العملاء الخاصّة وعدم التقليل من شأنها، يقوي الرابطة المهنية والموضوعيَّة مع العملاء والزّبائن ويُسهم في تمكينهم من التفاعل والتعاون والمشاركة في كلِّ أمر يتعلّق بهم، ويُحفِّزهم على التطلُّع للآخرين الذين تربطهم بهم علائق اجتماعيَّة.

36 . تحريض الأفراد والجماعات والمجتمعات على التطلّع للآخرين الذين تربطهم علائق إنسانيَّة بهم.

37 . تبصير أفراد المجتمع وجماعاته بأهميَّة الاعتماد على قدراتهم واستعداداتهم.

38 – ترجمة الأقوال والتعبيرات التي يدلي بها العملاء إلى أفعال وسلوكيات يُستفاد منها في العمليَّة المهنية.

39 – العمل على كسب ثقة الأفراد والجماعات الذين يتولَّى الأخصائي حالاتهم بالبحث والدّراسة من خلال أسلوبه الفني ومهاراته العالية والتزامه الموضوعي؛ حتى يشعروا بجدّية العمل المهني، ومن ثمَّ يَقبلون ويقدمون بحماس على القيام بمسئولياتهم.

40 – تحفيز الجماعة على الاستجابة الإرادية بما يمكّنها من تقوية الرّوابط بين أعضائها.

41 . تمكين الأفراد من استبصار الحالة التي هم عليها والعمل معهم على تغييرها إلى ما ينبغي أن تكون عليه.

42 . تعزيز كلّ ما من شأنه أن يحقّق الأمن والطمأنينة ويرفع الرّوح المعنويّة لأفراد وجماعات المجتمع الذي يمارس في ميادينه الأخصائي الاجتماعي مهامه المهنية.

43 . تفعيل قيمة الاستيعاب بين أفراد المجتمع حتى يتمّ احتواء الجماعة لأعضائها واحتواء المجتمع لجماعته، والتخلّص من عوامل رفض البعض للبعض.

44 . ترسيخ القيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة المحقّقة للتقدير والاعتبار والممكِّنة من الاستيعاب بين الأنا والآخر.

45 . حث الأفراد على المشاركة والتفاعل البنّاء؛ لتأكيد كرامتهم وأهميتهم في تحقيق تقدّم مجتمعهم.

46 . تمكين الأفراد من اكتشاف قدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم وتنميتها وتهيئتها للاستثمار الاجتماعي الأمثل.

47 . التأكيد على أهميَّة الوحدة والاندماج القيمي المعزّزة لزيادة القوَّة الفرديَّة والجماعية قوَّة اجتماعيَّة بناءة.

48 . توعية الأفراد بما يُمكِّنهم من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

49 . تمكّين أفراد المجتمع من استبصار ذواتهم واكتشاف القوَّة الكامنة فيهم وتفطينهم من الغفلة؛ حتى يعوا أهميَّة تسخيرها وتوجيهها إلى ما ينبغي.

50 . تفطين أفراد المجتمع لأهميَّة وضع الخطط ورسم السياسات التي تدفعهم إلى صناعة المستقبل الأفضل.

51 . حث الأفراد والجماعات التي يعمل الأخصائي الاجتماعي معها على استبصار مكامن العلل وأسباب المشاكل ليتفادوا الوقوع فيها ثانية، مع معرفة المخرجات العلاجية منها.

52 – تفطين العملاء بالواقع الذي هم عليه، سواء كانوا يعانون من مشاكل اجتماعيَّة، أم نفسية، أم صحية، أم تعليمية، أم اقتصادية.

53 – تعريفه العملاء بالعلل والأسباب التي أوجدت المشكلة حيّز الوجود، وتوضيح كيفية التعامل معها مهنيًّا بما يتمشّى مع فلسفة المؤسّسة وإمكانياتها.

54 – إقامة الندوات وعقد الاجتماعات؛ لأجل توعية الأفراد والجماعات بالأضرار الناتجة عن عدم التقيّد بالتوجيهات والنصائح المقدّمة من الأخصائي الاجتماعي، والأخصائي النفسي والأخصائي الصحي، وإدارة المؤسّسة، ومن له علاقة أو مسؤولية بهم.

55 – إعداد البرامج الاجتماعيَّة والترفيهية، للكشف عن قدرات واستعدادات الجماعة، وتوجيهها وتنميتها واستثمارها فيما يفيد قيميًّا.

56 – إجراء لقاءات وعقد اجتماعات مع أولياء الأمور، لتفطينهم بواقع أبنائهم، من أجل النّهوض بهم إلى مستويات قيمية أفضل.

57 – التشجيع على تنمية قيم الولاء والانتماء المرضيين، والمساعدة وحب الخير وقول الحق، وغيرها من القيم الموجبة التي تُسهم في زيادة التفاعل والاندماج مع البيئة المحيطة.

58 – العمل على وقاية الأفراد والجماعات من الانحراف القيمي الناتج عن سوء استثمار قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم.

59 – تمكين الأفراد والجماعات من الاعتماد على قدراتهم وإمكانياتهم الذَّاتيَّة وتأهيلهم وإحالتهم إلى الإنتاج.

60 – المتابعة والعمل على حلّ مشاكل أفراد المجتمع حتى يتمكَّنوا من الاعتماد بثقة على قوَّتهم الذَّاتيَّة في إنجاز مهامهم التي يقدمون على تأديتها.

61 . التوجيه والنقد البنَّاء للأفعال التي يقدم عليها أفراد المجتمع، من أجل بناء الذّات المتفاعلة[7].

وعليه:

إنَّ استبصار الفرد لذاته أو الجماعة أو المجتمع لذواتهم يمكّنهم من معرفة علائقهم بالقيم الاجتماعيَّة.

ولهذا القاعدة هي:

1 . استبصار الذات.

2 . إيقاظ القوى الكامنة.

والاستثناء:

1 . عدم استبصار الذات.

2 . عدم إيقاظ القوى الكامنة.

وعليه:

1 . اكتشف ذاتك:

[7] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة)، المصريَّة، القاهرة، 2018م، ص 131.

فإذا لم تستطع أن تكون شلالًا من على قمّة جبلٍ، كن ينبوعًا في الوادي، كن شجرة زيتون على سفح الجبل، فإن لم تستطع أن تكون شجرة زيتون كن زهرة في قلب الوادي، وإن لم تستطع أن تكون زهرة في قلبه كن أفضل نبتة فيه ولا تيأس النبتة تثمر.

2 ـ أكد ذاتك واعلم:

أ ـ أنَّ لديك قوَّة كامنة تستطيع أن تتحدّى بها الصِّعاب.

ب ـ أنَّك قادر على إنجاز الأهداف.

ج ـ أنَّك كما قمت بالأعمال الصّعبة في الماضي قادر على القيام بما هو أصعب في الزّمن الآن، واقبل بالتحدّي الأكبر في الزّمن المستقبل.

د ـ أنَّ التفكير فيما تملك بموضوعيَّة قد يُسهم في تنميته فلا تغفل.

هـ ـ أنَّ التعبير عمَّا يجول في نفسك قد يُمكِّنك من تصحيح ما يعلق بها من أخطاءٍ.

و ـ أنَّ مواصلة الحديث يُمكّن من توليد الفكرة وتطويرها أو تصويبها.

ز ـ أنَّ الاستغراب يجعلك في المواقف المفاجئة فلا تستغرب إذ كل شيء ممكن.

ح ـ أنَّ شرود الذهن يُضيَّع أفكارًا ثمينة فلا تشرد؟

ط ـ أنَّ القفز على الحقيقة مَعيبة فمن يقفز عليها لن يصيب هدفه.

ي ـ أنَّ التذكّر بعناية يُمكّن من استرجاع الماضي وتفحصه.

يا ـ أنَّ سقوط الجواهر على الأرض لا يحط من قيمتها.

يب ـ أنَّ التائهين في حاجة لإيقاظ وإلَّا سيظلون ضالين.

يج ـ أنَّ صناعة المستقبل تحدث النُّقلة.

وبما أنَّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة. إذن التعبير يُسهم في إظهار الكامن بالقول أو الفعل أو الاثنين معًا.

ولأنَّه لا ظاهر إلَّا ومن ورائه كامن، ولا كامن إلَّا ومن ورائه ظاهر؛ إذن: التعبير عن الذات يربط العلاقة بين الظّاهر والكامن.

ولهذا إذا أراد الأخصائي الاجتماعي النجاح في مهنته الإنسانيَّة عليه بالآتي:

1) تحفيز العميل ليعبّر عن ذاته بإرادة.

2) ألَّا يُقاطع العميل في أثناء انسيابه في التعبير عن ذاته.

3) ألَّا يستغرب أيَّ تشنجات تحدث أو تظهر على حركة العميل أو على كلامه نتيجة ارتباطها بكامن سالب.

4) ألَّا يستعرب أيَّ انبساطة وسرور تظهر على وجه العميل وحركته نتيجة ارتباطه بكامن موجب.

5) أن يستثمر نقاط الانبساط والسّرور التي تظهر بين الحين والآخر في أثناء المقابلة فيما يفيد إصلاح الحالة وعلاجها.

6) أن يعيد العميل للموضوع عندما يسرح عمّا يقول أو يتحدث.

وعليه: فلكلٍّ ذات مضمون قيمي يتمركز على المعتقد الديني والعرف الاجتماعي ومنظور الثقافة التي بها تتميّز كلّ حالة عن غيرها من الحالات الفرديَّة والجماعيّة، ولأنَّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة وعن الموروث الاجتماعي العام؛ إذن: التعبير عن الذات لم يعدْ مقتصرًا على إظهار

الكامن الفردي، بل يتعدّاه إلى المكوّن القيمي الاجتماعي (الدين العرف الثقافة التقاليد والعادات).

ولذا، فالكامن من المشاعر والأحاسيس في أساسه مكوّن اجتماعي ما يجعل الفرد الذي تكوّنت شخصيته على المستوى الذاتي، يرفض أو يقبل قيميًّا ما يرفضه المجتمع أو يرتضيه؛ ولذا عندما يضع رغباته وآراءه على كفّته في مواجهة كفّة الذات (المكون الاجتماعي) يجد كفّة المجتمع (الذات) أثقل قيميًّا من كفَّته الخاصّة؛ فيميل في مستواه القيمي الذاتي إلى حيث رُجِّحت كفَّة المجتمع.

ولأنَّ لكل فرد من أفراد المجتمع مشاعره الخاصّة وأحاسيسه الخاصّة؛ إذن: بالضرورة التعبير عنها يتنوّع ويتعدَّد بتعدّد أفراد المجتمع.

ولذا، لا يوجد أسلوب واحد للتعبير عن الذّات الاجتماعيَّة فلكل مفردة من مفردات المجتمع البشرية خصوصيَّة تتميّز بها عن بقية المفردات الأخرى، برغم أنَّ الإطار المرجعي لأفراد وجماعات المجتمع واحد؛ ولهذا نجد ما يكوِّن الذَّات الاجتماعيَّة واحد سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي أم المجتمعي.

وعليه: مع أنَّ الذّات مفردة في اللغة فإنَّها ذات تكوين جمعي (اجتماعي) في الدّلالة والمفهوم والمصطلح؛ إذ لا يمكن أن تتكوَّن الذَّات لو لم يكن للمجتمع لغة وعادات وأعراف وأديان وثقافات، فالذّات نتاج مجموع الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة.

ولكن متى تتنوع أساليب التعبير عن الذات؟

. عندما تختلف المواضيع.

. عندما تختلف المصلحة.

. باختلاف المعارف والثقافات.

. باختلاف القدرات والمهارات والاستعدادات والخبرات المتعدِّدة.

. عندما يختلف الجنس والعمر.

. عندما تختلف المهنة والحرفة والوظيفة.

. عندما يختلف الأدوار والاختصاصات والصّلاحيات.

باختلاف الزّمان والمكان والمعتقد.

باختلاف القيم وتعدّدها.

ولهذا، قد يتساءل البعض: عن الكيفية التي بها تتنوَّع أساليب التعبير عن الذات (كيف تتنوَّع)؟

أقول:

. بالمراوغة والمهارة والمران.

. بالنكوص أو الانسحاب أو التطلّع.

. بدرجة الصّدق أو الكذب والمستوى القيمي الذي عليه الحالة.

. بدرجة الاستنتاج أو الاستنباط والإدراك.

. بقوَّة العزيمة أو ضعفها.

. بالشَّجاعة أو الجبن أو الخوف.

. بالقوَّة أو الضّعف.

. بدرجة الثّقة ومستواها.

. بالحجَّة والبرهان والحوار.

بالمصلحة والمنفعة أو الطمع.

. بأساليب القبول والرّفض.

بالفرح والغضب.

. بالمتوقَّع وغير المتوقَّع.

ومع أنَّ الذَّات تعمل على ضبط الأنا وفقًا لقيم المجتمع الذي تنتمي إليه الذَّات فإنَّها (وفي كثير من الأحيان) قد تفلت الأنا من الذّات، وأيضًا قد تفلت الذّات من مراقبة الضمير بالرّغم مما يقوم به من محاولات ضبطيَّة.

ولأنَّ الذَّات مكوّن قيمي اجتماعي فهي نتاج قيمي من الأديان والأعراف والعادات والتقاليد السّائدة في المجتمع؛ فالذي يجعل الفرد أو الجماعة تسأل أو تُجيب أو تعترض بلسان (النّحن) أو ترفع صوتها به، هو: المكوّن القيمي الاجتماعي؛ ولهذا يتألَّم الفرد بآلام الآخرين وبخاصة الذين تربطهم به علاقة قربى، أو علاقة معتقد ديني ما يجعله يغضب من أجل ذي القربى ويغضب من أجل الدين إذا ما حاول البعض انتهاكه والإساءة إليه كما حدث لكل مسلم عندما نشرت صحيفة دينماركية صور لا تليق بالرّسول محمَّد عليه الصَّلاة والسّلام، ولا تليق بنا نحن المسلمين؛ ولذا عندما يتشرَّب الأفراد أو الجماعة دين الأمّة يصبح صوتهم هو صوت الأمّة بحالها مع أنَّهم أفراد منها؛ ولهذا يقبلون بالتضحية في سبيل الوطن ورفعة الكرامة.

ولذا تتعدّد مجالات الامتداد الضميري اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا ونفسيًّا وذوقيًّا وثقافيًّا بما يُكوّن الأنا التي تعتزّ بشخصها وبتاريخها وتتغنَّى بأمجادها، وبما كوَّن ذاتها التي أظهرت وأبرزت شخصية الاعتزاز في النفس حتى نالت احترام وتقدير الآخرين.

إذن: تتجَسد الذات في الأفراد فتجعل حال لسانهم جمعيًّا حتى وإن انفردوا أو تفرّدوا، ولهذا كان إبراهيم عليه السَّلام أمّة قانتا لله؛ إذ كان حال لسان

إبراهيم حال لسان أمته، مما يدلُّ على تجسّد الأمّة وفضائلها الخيّرة وقيمها الحميدة في نفسه حتى أصبح حال لسانه لسانها وفعله فعلها وأمانيه أمانيها، وهكذا إذا تجسدت في أي فرد ذات الأمّة أو المجتمع يصبح حاله حالها وأمله أملها ومستقبله مستقبلها وعزّته عزتها وألمه ألمها وكرامته كرامتها.

وعليه: فإنَّ التعبير عن الذات يمكّن من التنفيس الوجداني؛ ولهذا فالقاعدة هي:

التعبير الوجداني.

والاستثناء هو:

الكبت الوجداني.

وعليه:

. عبّر عن نفسك.

. نفّس عن وجدانك.

. فرّغ همومك.

. عبّر بحرّيَّة تامَّة عن مشاعرك.

. افرح مع الفرحين.

. اغضب من أجل كرامتك.

. تكلّم وقت الكلام وإلَّا ستندم.

. اصمت وقت الصّمت وإلَّا ستندم.

. تجاوز الندم بعدم تكرار مسبباته.

. تطلّع لكلِّ مفيد ونافع، واشترك في السّباق والمنافسة حتى ترضى نفسك عنك.

ولأنَّ استبصار الذَّات يُمكِّن من معرفة المقدرة، إذن: من لا يستبصر ذاته لا يتمكّن من معرفة مقدرته، وبالتَّالي لن يستطيع أن يتخذ قرارًا ناضجًا وسليمًا.

ولأنَّ الاستبصار يرتبط بالبصيرة، والبصيرة ملكة عقلية تُمكِّن الإنسان من التمييز بين ما يجب الإقدام عليه، وما يجب الإحجام عنه، إذن:

. أيقظ قواك تكسب مقدرة.

. فكّر، فالتفكير قوَّة.

. استنتج لتتمكَّن من التمييز عن وعي.

. أنصت إلى الكلمة حتى توقظ فيك الفكرة.

. شاهد لتقارن وتُميّز.

لذا؛ فعلى الأخصائي الاجتماعي ألَّا يغفل عن أهميَّة استبصار ذوات العملاء حتى يتمكّن من اكتشاف القوَّة فيهم ويتمكّن من تسخيرها وتوجيهها لما يجب؛ ولهذا يعد استبصار الذات إدراكًا لمقومات النّهوض؛ فأيقظ قواك تستبصر ذاتك.

مبدأ

استبصار التقبُّل

التقبُّل acceptance: استعداد نفسي وأخلاقي وإنساني ومهني لإعطاء الآخر حيّزا من الاستيعاب، وفسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين المتقابلين؛ تقديرًا لقيمة الإنسان، وليس تقديرًا للانحرافات عن القيم والقوانين المصاغة والمعتمدة من أفراد المجتمع وجماعاته، وعندما يصبح التقبّل حقّ للأنا والآخر يظل مبدأ لاستبصار الحقيقة. ويتمركز مبدأ استبصار التقبّل على الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واحترام معارفه وثقافته والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب ثم التطلُّع به إلى إحداث النُّقلة.

فاستبصار التقبّل حالة تبادلية بين ذوي العلاقة بالموضوع فكما هو حقّ على الأنا حقّ للآخر.

مكونات مبدأ استبصار التقبّل:

يتكون من قيمتين أساسيتين هما:

1 . قيمة الاستبصار

2 . قيمة التقبّل.

ولا يمكن أن يكون التقبّل مبدأ، ولا يمكن أن يكون الاستبصار مبدأ، ولكن بمكونهما القيمي المشترك يتكون مبدأ (استبصار التقبّل). فالمبدأ يتجسد في السُّلوك والفعل، والقيمة ستظل ذات معانٍ ودلائل وأبعاد فيما تحمله من مضامين ذات علاقة بالمصادر التي تستمدّ منها كالدين والعرف، وعندما تتجرّد السُّلوكيَّات والأفعال من القيم تصبح الأقوال والأفعال والسُّلوكيَّات بدون معانٍ

وكأنّها (أجساد بدون أرواح)، وعندما تحمل القيم معانيها القابلة للممارسة والتطبيق تصبح مبادئ قابلة لأن تترجم في سلوك وفعل يحقّق النُّقلة.

ولهذا؛ لا تفاهم ولا تفهُّم بدون تقبّل؛ لأنّه القيمة التي يجب الالتزام بها إرادة؛ ولذلك فالتفاهم يعتمد على الاتفاق الذي يصل إليه كل من الأنا والآخر.

أمّا التفهُّم: فهو الذي فيه يتحقّق التقدير (تقدير الظروف الموضوعيَّة والمكانيَّة والزمانيَّة المتعلّقة بأمر الآخر والحالة التي هو عليها).

ولهذا؛ فاستبصار التقبّل ضرورة لكلّ من الأنا والآخر، أي: إذا لم يستبصر كلّ منهما أنّ شعورًا اتجاهه يفسح له مجالًا واسعًا للتفاهم والتفهّم من أجل مستقبل مشترك لا يمكن أن تسود بينهما علاقة مرضية؛ ولذلك فإن التقبّل يؤدّي إلى:

- التفاعل.
- المشاركة.
- التفاهم.
- التفهّم.
- التجاوب.
- إظهار الباطن (الكامن).

تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت:

بما أنّ الفرض المثبت ينص على التقبّل المتبادل (تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت).

إذن: لا يمكن أن تعتدل كفتي الميزان بين الأنا والآخر إلا بشرط القبول بتماثل.

لذا؛ على الأنا إذا أراد أن يتمّ تقبّله من قبل الآخر أن يعرف أنّ تقبّله لن يتمّ من قِبله إلّا إذا تمكّن هو من تقبّله كما هو.

إذن قاعدة استبصار التقبّل هي: (تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت).

وبما أنّه إذا لم تتقبّلني كما أنا لن أتقبّلك كما أنت. فلماذا لا نعترف بقاعدة: (نحن معا).

ولهذا؛ يجب أن يتقبّل الأنا الآخر تفهّما حتى يستبصره الآخر واعيا بما له وما عليه؛ ولأجل ذلك ينبغي أن يبدأ الأنا مع الآخر من حيث هو؛ لأجل أن يسهم في نقله إلى ما يجب أن يكون عليه، وهو المستهدف من وراء تقبّله كما هو.

وعليه:

استبصار التقبّل شعور تجاه الآخرين يمكّن النّفس من الانفتاح تجاههم سواء بمبررات المحبّة، أم بمبررات المهنة التي تستوجب تقبّل العملاء هم كما هم دون أيّ اشتراطات علائقية.

فالتقبّل لكونه منبع أمل فهو قيمة لا تكون متحققة إلّا عن تراضٍ، ولا تكون إلّا بين المختلفين، واستبصار التقبّل لا يكون إلّا بالتجاوز عما يُقلق،

وقبول النّاس هم كما هم عليه وليس كما يجب أن يكونوا، فما يجب أن يكونوا عليه هو المأمول.

ولأنّ الحياة متكوّنة من المختلف والمتنوّع؛ فمن أجل الحياة الطبيعية للإنسان، وجب تقبّل المختلف المتنوّع، ومن يخالف ذلك يجد نفسه خارج دائرة التقبّل التي تتّسع للمختلفين والمتخالفين دون استثناء ولا تحيّز.

فدائرة التقبّل استيعابية استدعائية، فهي استيعابية؛ لكونها لا تقصي ولا تستثني أحدا، أمّا كونها استدعائية؛ فهي الدّائرة التي تحفّز المختلفين على المشاركة، والتفاعل؛ فتستدعيهم نفسيا وذوقيا، كما أنّها تستدعيهم خبرة وتجربة ومعرفة، وبكلّ المغريات الأخلاقيَّة، وتفسح بينهم المجالات الواسعة من أجل أنْ يمتدّ البعض تجاه البعض امتدادا متبادلا، دون أن يكون امتداد أحد الأطراف على حساب آخر.

التقبّل قيمة إنسانية اعترافية: وفقا لحقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليات تُحمل؛ ولأنّه كذلك؛ فهو المؤسّس على قاعدة (نحن معًا) التي تشترط أن يكون التقبّل بين المختلفين والمتخالفين قائما على تقبّل كلّ للآخر وفقا لقاعدة (هو كما هو)، وليس على قاعدة (كما ينبغي له أن يكون عليه)؛ فما ينبغي أن يكون عليه، هو هدف قابل للتحقّق دون إكراه، وبذلك يتمركز مبدأ حقّ التقبّل على الاعتراف بالآخر، وتقديره، واحترامه، واحترام معارفه، وثقافته، والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب أن يكون عليه، ثمّ التطلُّع به إلى إحداث النقلة التي تمكّنه من معايشة المستقبل الذي يأمله.

فمبدأ استبصار التقبّل مؤسّس على قيمة الاختلاف؛ فلو لم يكن الاختلاف سابقا على التقبّل ما كان للتقبّل أهمية وضرورة، ولأنّه المترتّب على الاختلاف، والاختلاف حقّ، إذن، التقبّل هو الآخر حقّ بين من تربطهم علاقات أخلاقيَّة، واجتماعية، وإنسانية. ولهذا عندما تتوافر لديك رغبة تقبّل

الآخر فعليك بمنحه الفرصة التي تمكّنه من استبصار مشاعرك تجاهه، أي: إنّ الاستبصار قيمة تفحصيّة استبيانية استطلاعية بغاية التبيّن قبل اتخاذ القرار إقداما أو إحجاما؛ ولذلك فهو حقّ ينبغي له أن يمارس.

ولأنّه حقّ؛ فالحقّ يؤخذ، ويطالب به، ويعطى، ويمارس؛ ولهذا تقبّل الإنسان للإنسان حقّ؛ ولأنّه كذلك فهو حقّ تبادلي بين المختلفين، أي: كما هو حقّ على الآخر، فهو حقّ له أيضًا.

إنَّ حقّ التقبّل فعل إرادي تكفله القيم الإنسانية، والدّيانات السّماويّة، والأخلاق الاجتماعيَّة. ومن ثمّ توجد علاقة تلاحق مستمرّة بين الاختلاف والتقبّل ولن تنفصل مصداقا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}8، أي: إنّ الله خلق النّاس على الاختلاف؛ لهدف واضح وهو التعارف وتقبّل البعض للبعض، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}9.

والتقبّل غير القبول، فالتقبّل قد يكون عن رغبة وقد يكون للضّرورة والحاجة، أمَّا القبول فلا يكون إلّا عن إرادة ورغبة، ولذا؛ فالتقبّل قيمة معياريّة يؤسّس على استعداد النّفس لإعطاء الآخر قيمة وحيّزا من الاستيعاب، وفُسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين المختلفين على الموضوع المشترك؛ تقديرا لقيمة الإنسان وحقوق المواطنة.

ولأنَّ الإنسان مكوّن تركيبي معقّد؛ فله من الأنفس ما يجعل البعض على الطّمأنينة، ويجعل البعض على غيرها اضطرابا، وخوفا، وقلقا، وشُحّا، ولأنّه

---

[8] هود 118، 119.

[9] الحجرات 13.

كذلك؛ فيجب تقبّل المختلفين (همّ كما همّ)؛ لأجل نقلهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه من الفضائل، والقيم، والأخلاق، والعمل النافع.

ولهذا؛ فالتقبّل قيمة أخلاقيَّة وإنسانية تتمركز على الاعتراف بالآخر، وتقديره، واعتباره، وتفهّم ظروفه وحاجاته، واحترام معارفه، وثقافته، وحضارته، ومعتقده، والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب، والتطلُّع به إلى إحداث النُّقلة التي بها يُصنع المستقبل المأمول.

ولهذا؛ فإنَّ استبصار التقبّل مبدأ معياريّ تبادلي بين ذوي العلاقات؛ فكما أنّ التقبّل حقّ على الأنا؛ فكذلك هو حقّ على الآخر، وحقّ لهما معا، وإنْ تقبّل الأنا الآخر (هو كما هو) وجب على الآخر أن يتقبّل الأنا (هو كما هو) أيضًا؛ ليعملا معا من أجل مصالح، وأهداف مشتركة، سواء أكانت المصالح المشتركة بين أفراد الشَّعب، أم بينهم وبين الآخرين من الأمم والشّعوب الأخرى.

فمبدأ استبصار التقبّل فعل إرادي تكفله الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة لكلِّ إنسان حتَّى يتمكّن من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسئولياته برغبة قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}10.

بناء على هذه الآية الكريمة؛ فإنَّ قيمة التقبّل تُعدُّ التزاما تامّا بتقبّل من يؤمن بآيات الرّحمن؛ فمن يقول للنّاس سلام عليكم ليس لهم بدٌّ إلّا أن يردُّوا السّلام بودٍّ وبأحسن منه، وهذا دليل على ترسيخ قيمة التقبّل في نفوسهم، وأخلاقهم المستمدّة من الفضائل الخالدة، المستمدّة من كتاب الله تعالى. ثمّ،

[10] الأنعام 54.

أكّدت الآية الكريمة أهميّة قيمة التقبّل للآخر الذي تاب وأصلح من بعد ارتكابه أفعال سوء بجهالة، وأكّدت على أنّه سينال المغفرة.

ولأنّ استبصار التقبّل مبدأ أخلاقي، لإظهار حُسن النيّة بهدف إصلاحي، ولأجل غاية إنسانية هي التعارف الممكّن من المشاركة وحمْل المسئولية الجمعية؛ فلا ينبغي لاستبصار التقبّل أن يكون حاملا في أحشائه شيء من الرّفض، أو غض النّظر، أو الإقصاء، والتغييب، والتحقير، والاستعلاء، ولهذا؛ فمن يرى نفسه مصلحا، أو أنّه يريد إصلاحا؛ فلا ينبغي له أن يغفل عن أيّ طرف من أطراف العمليَّة الإصلاحية، من أجل تغيير أحوالهم من سلبيّة، إلى إيجابيّة[11].

[11] عقيل حسين عقيل، مبادئ فك التأزمات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 65 – 71.

مبدأ

الاتزان الوجداني

(الاتزان الوجداني إدراك عن حكمة وموضوعيَّة لكلِّ ما يؤثِّر سلبيًّا أو إيجابيًّا على ما يحقّق التفاعل المتزن بين أفراد المجتمع وجماعاته وهو يصقل الشخصيَّة، ويتوّج سلوكها بالثبات على كل مفيد ونافع، مع إظهار الحُسن الإرادي في القول والفعل؛ تهذيبًا للذَّات والضمير، وتقديرًا لمن هم في مركز البيئة الاجتماعيَّة ومن في محيطها الإنساني).

يحتوي مبدأ (الاتزان الوجداني) القواعد القيميَّة الآتية:

. الإدراك عن حكمة.

. الإدراك بموضوعيَّة.

. تقصي الأثر السَّالب.

. تقصي الأثر الموجب.

. التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

. التفاعل المتّزن.

. إعداد الشخصية قيميًّا.

. ثبات السُّلوك على المفيد.

. ثبات السُّلوك على المنافع.

. إظهار الحُسن في القول.

. إظهار الحُسن في الفعل.

. تهذيب الذّات.

. تهذيب الضّمير.

. التقدير المتبادل.

. تقصّي الأثر السَّالب والموجب.

. تحقيق التفاعل.

. تقدير الفعل.

. تقدير السّلوك.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (الاتزان الوجداني):

1 . إدراك حقيقة أفراد المجتمع كما هي والتنبيه على تغييرها لما يجب أن تكون عليه.

2 . تمكين أفراد المجتمع في مجالات التعليم والعمل وممارسة الأنشطة حتى يتمكَّنوا من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

3 – تحفيز العملاء إلى كلِّ ما من شأنه أن يُسهم في تحقيق الاتزان الوجداني والمعرفي مع النفس ومع الآخرين.

4 – حث العملاء على تجنب مغالبة العواطف.

5 . توعية الأفراد الذين يخضعون للدراسة بما يُمكّنهم من معرفة ما لهم وما عليهم حتى يتمكّنوا من الإقدام على ما يجب والابتعاد عمَّا لا يجب.

6 . دفع أفراد المجتمع إلى التعاون والمشاركة الفعَّالة في أمور مجتمعهم الحياتية، كلّ حسب استطاعته وتخصّصه ومهاراته وخبراته.

7 – تقبُّل الأفراد والعملاء كما هم مع الابتعاد عن تجريحهم أو استفزازهم بالانتقادات المحرجة.

8 – إشعار الأفراد والجماعات الذين يعمل الأخصائي الاجتماعي على دراسة حالاتهم بأهميتهم ومكانتهم الإنسانيَّة.

9 . دفع الأفراد إلى التفاعل المتّزن المحقق للرّضا النفسي والاجتماعي والإنساني، وبكل موضوعيَّة.

10 . تحفيز الأفراد على التمسّك بالقيم والفضائل الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي تؤكّد كرامتهم.

11 – تحسيس الأفراد والعملاء بقدرات الأخصائي وتنوّع مهاراته وخبراته ومرونة أسلوبه، حتى ينال الثّقة منهم ويتولّد عندهم الشعور باقتراب الأمل الذي يتوقَّعونه من جهوده المهنيَّة.

12 – استيعاب الأفراد والجماعات، وإشراكهم في مركز الحدث (موقفهم الإشكالي).

13 . حث الأفراد والجماعات على المشاركة البناءة في كلِّ ما يُفيد اجتماعيًّا وإنسانيًّا وبما ينمي روح التطلّع والطّموح وصناعة المستقبل.

14 . الإسهام في إعداد الشخصيّة وصقلها اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

15 . تحفيز أفراد المجتمع على تشرُّب القيم والفضائل الاجتماعيَّة التي تَدعَمُ وتسند سلوكهم الإنساني.

16 . تمكين أبناء المجتمع من المشاركة في كلِّ نافع ومفيد.

17 . تقوية الإرادة لدى أفراد المجتمع وجماعاته، حتى يتمكَّنوا من المشاركة في تقرير مصيرهم، وتنفيذ ما يتعلّق به من أمر.

18 . العمل على تهذيب الذّات وإظهار الحُسن فيها.

19 . غرس روح المبادرة والإقدام في نفوس الأفراد والجماعات حتى يمتلّكوا معطيات التحدّي والاعتماد على الإمكانات الذَّاتيَّة والاستفادة من الإمكانات المتاحة للآخرين.

20 – تفهّم قدرات العملاء واستعداداتهم وإمكاناتهم وحاجاتهم، والذين يتولَّى حالاتهم بالبحث والدّراسة الموضوعة.

21 – الثبات على الحُجّة قبل اتخاذ قرارات مستعجلة قد تعود بنتائج سالبة على العلاقة المهنية مع العملاء.

22 – تنمية قدرات التحليل النقدي لدى العملاء؛ حتى يتمكّنوا من الفهم والتفسير الذي به يعرفون مكامن الخلل التي وقعوا فيها وهم في حالة غفلة.

23 . تفطين العميل من غفلته عن ضبط مشاعره وترك العنان لها سائبة في حالة تمرّد على كلّ ما من شأنه أن يُسهم في تهذيبها قيمًا وسلوكًا؛ وذلك بهدف نيل الاحترام من المحيط الاجتماعي.

24 . استفزاز الضمير الاجتماعي والإنساني موضوعيًّا لدى الأفراد والجماعات حتى يتمكّن المجتمع بأسره من الصّحوة.

25 . غرس روح التقدير المتبادل بين الأفراد والجماعات الذين هم في مركز البيئة الاجتماعيَّة والذين هم على محيطها.

26 – التأكيد على التوازن في لعِب الأدوار بإرادة وموضوعيَّة.

27 – الوعي بأهميَّة الرّابطة الاجتماعيَّة بين أفراد الأسرة والمجتمع المحلي والمجتمع الإنساني بأسره، التي تحقق للأفراد الانسجام والتوافق مع بيئاتهم الاجتماعيَّة.

28 – التأكيد على أنَّ التفاعل المتبادل بين الأنا والآخر يُمكّن من إثبات الذات.

29 . غرس روح المنافسة البناءة في نفوس العملاء الذين يتولّى الأخصائي الاجتماعي حالاتهم بالدّراسة، مع تحفيزهم معنويًّا وماديًّا وفقًا للإمكانات المتوافرة في المؤسّسة، على المبادرة والإقدام على إنجاز الأفعال الموجبة والمرضية اجتماعيًّا.

30 . تفتيش العميل ومعرفة ما يجول في خواطره عن المؤسّسة والأخصائي الاجتماعي وتصحيح المعلومات الخاطئة بما يغرس الثّقة في نفسه ويدفعه إلى النظرة الموضوعيَّة التي تخلّصه من كلِّ الظّنون.

31 . تقدير العميل على كلِّ فعل وسلوك إيجابي يقدم على أدائه أو ممارسته بإرادة، والأخذ بيديه إلى المزيد الموجه من قبل المؤسّسة والعاملين المهنيين فيها.

وعليه:

- حكّم عقلك وتحكّم في عواطفك.
- كُن لين القلب.
- لا تكن سريع الغضب.
- لا تكن عصبيًّا ومفرطًا في الحساسية.
- لا تكن جاف العاطفة.
- لا تكن متطرف الرّأي.
- لا تثر لأتفه الأسباب.
- لا تكن أنانيًّا فالأنانية عيب.

- كن واثقًا من نفسك.

- عامل النَّاس باحترام.

- بادلهم المحبَّة والود.

- كُن متَّزنًا فيما تقول وما تسلك وتفعل.

ولأجل ذلك:

. جمّع قواك لتعبر النّهر، فالعبور يحقق لك النُّقلة للمستقبل.

. شتّت قواك تغرق في النّهر، والغرق يفصلك عن بلوغ المستقبل.

. اعمل على صناعة المستقبل يتحقّق لك العبور.

. فكّر فيما أنت تفكر فيه وأنت فيه تفكّر.

وبما أنَّ تجميع القوَّة يُمكّن من عبور النّهر، فإنَّ الذين غرقوا في البحار هم الذين لم يتمكّنوا من تجميع قواهم؛ ولذا فمن يستطع أن يجمّع قواه يتحدّى الصّعاب ويعبر النّهر، ومن لا يستطيع يركن إلى الضّعف ويغرق.

ولكن من الذي يستطيع أن يجمّع قواه إذا ما واجهه غير المتوقَّع؟

هو الذي يتمالك نفسه باتزان حتى يتمكّن من اختراق دائرة الممكن في الزّمن غير المتوقَّع.

ولهذا لا يمكن أن يحدث الغرق إلَّا في حالة الضعف.

ولسائل أن يسأل:

كيف أصنع المستقبل لأعبر النَّهر؟

إذا أردت أن تعبر النّهر عليك بالآتي:

1 . فكِّر بقوَّة.

2 . خطط عن وعي.

3 . جمّع إمكاناتك الممكنة.

4 . شارك الآخرين بقوَّة.

5 . حدّد الخطر الذي يعترض طريقك.

6 . أقدم على إزالته من أمامك.

7 . اقتل الخوف بلا تردّد.

8 . تحدَّ الصّعاب.

9 . لا تَنَمْ أكثر مما لا يحتاجه البدن.

10 . قدّر الوقت واجعل له قيمة.

11 . استثمر إمكاناتك.

12 . نمِّ طاقاتك.

13 . هيئ استعداداتك.

14 . نوَّع مهاراتك.

15 . عدّد خبراتك.

16 . اخش ضميرك قبل أن تخشى الآخرين.

17 . اصنع بيديك من الخشب قاربًا.

18 . أقدم على النّهر تدفعك مياهه إلى المستقبل الذي صنعته.

19 . تقدّم بقوَّة والهدف نصب عينيك، ولا تنس أنَّ من ورائه غاية من ورائها مأمول لا بدَّ لك من نيله.

وعليه:

العميل الذي قام بجمع الخشب صنع قاربًا وعبر النّهر.

أمَّا العميل الذي لم يَقم بجمع الخشب، فلن يصنع قاربًا ولن يعبر النّهر؛ ولذا من لا يعبر النّهر ليس له إلّا الغرق، ومن يعبره يطوي المسافة بين ماضيه والمستقبل الذي كان مجرد أمل بالنسبة إليه.

مبدأ

اعتبار الخصوصيَّة

(اعتبار الخصوصيَّة يعد اعتبارًا للشخصيَّة التي تتميّز عن غيرها كما غيرها يتميّز عنها بخصوصيّته قدرةً، واستطاعةً، ودينًا، وثقافةً، ومهارةً، وتعليمًا، وغاية، مع تقدير ما يميّز كلّ خصوصيَّة عن غيرها، وبما يؤكد على أهميَّة استيعاب البعض للبعض).

يحتوي مبدأ (اعتبرا الخصوصيَّة) القواعد القيميَّة الآتية:

. اعتبار القيم.

. اعتبار القدرات الخاصّة.

. اعتبار الاستعدادات الخاصّة.

. اعتبار الإمكانات الخاصّة.

. تقدير مميزات الخصوصيَّة.

. تقدير العرق.

. تقدير الدّين.

. تقدير العرف.

. تقدير الثّقافة.

. تقدير الحضارة.

. مراعاة الظّروف.

. تقدير الغايات.

. تحقيق الطمأنينة.

. تحقيق الرّضاء النفسي.

. تحقيق الرّضاء الاجتماعي.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (اعتبار الخصوصيَّة):

1 . الوقوف على كلّ ما يميّز الأفراد والجماعات من خصوصيّات على مستوى قدراتهم وإمكاناتهم ومهاراتهم وخبراتهم، ودفعهم إلى القيام بالمهام والواجبات التي يعتقد الأخصائي أنَّهم سيحقِّقون النجاح فيها.

2 – اعتبار الفروق الفرديَّة في تناول الحالات بالبحث والدّراسة مع مراعاة المستويات القيميَّة لكلّ حالة فردية أو جماعية أو مجتمعية.

3 – إتاحة الفرصة أمام العملاء، لممارسة أفكارهم وقناعاتهم وقيمهم، بما يعمل على إثبات ذاتهم وتأكيد خصوصيّاتهم وتميزهم في الأداء مع مراعاتهم لأخلاقيات المجتمع ونظمه وقوانينه.

4 . العمل مع العملاء مهنيًّا دون توتّر وانزعاج، وتقبُّلهم كما هم عليه من ثقافة، وسلوك انحرافي، وتسخير إمكانات المؤسّسة المتاحة في عمليات الدّراسة الخمس (جمع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالات وعلاجها وتقويم ما بذل من جهد مهني بكلِّ موضوعيَّة.

5 . اعتبار القدرات الخاصّة بأفراد المجتمع وجماعاته دون أيّة استهانة بها، وأخذها موضع جد في رسم السياسات والاستراتيجيات الاجتماعيَّة.

6 – إتاحة الفرصة أمام العملاء والزّبائن أو الجماعات للمناقشة الجماعية والحوار المبني على الحُجّة والمنطق في كلّ ما يتعلق بهم من أمر، بما يشعرهم بأهميّتهم ومكانتهم، وبما يحسسهم بتقديرهم القيمي.

7 – إشراك العملاء في عمليات الدراسة الخمس، بما يولّد الثّقة لديهم في الخطط والبرامج النابعة من أجلهم، وبما يحقّق النجاح في مشاركاتهم الموضوعيَّة.

8 . اعتبار الاستعدادات الفرديَّة والجماعية والمجتمعية وإعطاؤها الأهميَّة في أداء المهام وتوزيع الأدوار والاختصاصات والصلاحيات القانونية التي تنظم حياة المجتمع.

9 . التعرف على الإمكانات الماديّة المتوافرة في المؤسّسة الاجتماعيَّة ومدى ملاءمتها لعمليَّة الإصلاح المهني الذي تمّ تحديده بناءً على دراسة وافية.

10 . مراعاة الإمكانات المادّيَّة والبشريّة المهيأة والمعدة لتنفيذ البرامج الإنتاجية أو الإصلاحية، وتوزيعها وفقًا للأدوار والحاجات الماسّة لأداء الوظيفة أو المهمة المستهدفة بالإنجاز.

11 . اعتبار خصوصيَّة كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ مجتمع دون انحياز لخصوصيَّة على حساب أخرى، مع تقدير العلاج المناسب لكلّ حالة دون أيّ تعميم.

12 . مراعاة الخصوصيَّة الدينية وتقدير المجتمع في اختياراته للدين الذي يراه مناسبًا وصالحًا لمصدر تشريعه ومعتقده في تنظيم العلائق بين أفراده وجماعاته.

13 – التوعية بإقامة الندوات والمحاضرات وإحياء المناسبات الوطنيّة والدينيّة، وإعداد البرامج التأهيليّة بهدف تنمية قدرات أفراد المجتمع واستعدادات أو العملاء والزبائن، وتنمية مهاراتهم المتعدّدة، بما يزيد من قدراتهم الإنتاجية والإبداعية.

14 – توجيه الأفراد والجماعات للعمل كوحدة واحدة، بما يحافظ على حقوقهم وواجباتهم ومسؤولياتهم وبما يقوّي الرّابطة الاجتماعيَّة بينهم، تأكيدًا على شعورهم بالنحن كإحساس مشترك.

15 . ترشيد الأفراد باحترام القوانين المنظّمة للمجتمع، وتفطينهم من الغفلة التي هم فيها، حتى لا يقعوا تحت طائلتها ثانية في مؤسّسات الإصلاح الاجتماعي، فالقانون كما يقولون: (لا يحمي المغفّلين).

16 . غرس الثّقة في الأفراد عن طريق التعامل بأسلوب حضاري وذوق رفيع.

17 . مراعاة الخصوصيَّة العُرفية في تنظيم علائق الأفراد والجماعات والمجتمعات، وتقدير الذين ينتهجون بها سبل حياتهم، مع معرفة أنَّ أفراد المجتمع لا يقدّرون من لا يُقدِّر أعرافهم ويحترمها.

18 – التدخل المهني في الوقت المناسب، وبما يتوافق مع كلّ مرحلة من مراحل نمو الجماعة، وتبيان ما يناسب كلّ مرحلة أو مستوى من المستويات القيميَّة لشخصيات أعضاء الجماعة من حيث درجات التدخل وفقًا لكلّ ظرف من ظروفها الخاصّة.

19 . اعتبار الخصوصيَّة الحضاريّة والثقافيَّة التي تشكل كبرياء المجتمع وتحدّد هويّته وتبرز شخصيّته وتميّزها بين شخصيات الآخرين.

20 . مراعاة الظروف الخاصّة بكلّ حالة والخاصّة بكل مفردة من المفردات البشرية المشتركة فيها.

21 . تحفيز الأفراد على التمسُّك بقيمهم وفضائلهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة المحققة للرّضا والرّقي الاجتماعي.

22 . تصحيح المعلومات الخاطئة التي تشرّبها الأفراد وأثرت سالبًا على قيمهم الاجتماعيَّة بمعلومات صائبة.

23 . تقدير غايات المجتمع وطموحاته والعمل على تشجيعه وتحفيزه على المثابرة التي تُمكِّنه من تحقيق ما يتمنّى من منافع وفوائد وخيرات.

24 . إشعار العملاء بأهميّتهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة وأنَّ المجتمع في حاجة ماسّة لهم ولجهودهم، وإشعارهم بأنَّ المجتمع سيغفر لهم أخطاءهم التي وقعوا فيها عن غير عمد. وتطمينهم بأنَّه لا عيب فيهم، بل العيب في المعلومات الخاطئة التي تشربوها عن غير وعي.

25 . إشعار العملاء والزبائن بالامتنان المحقق للرضاء النفسي في أثناء إجراء عمليات الدراسة (جمع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالة والعلاج والتقويم).

26 . إصلاح حالات العملاء وتمكينهم من أداء وظائفهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

27 . تفطين الأفراد إلى أهميَّة تحديد أهداف كلّ ما يقدمون عليه من عمل خاصّ أو عام ليتمكّنوا من إحداث النُّقلة.

28 . تفطين أفراد المجتمع وجماعاته ومؤسّساته إلى أهميَّة رسم الخطط والاستراتيجيات في دائرة الممكن حتى يتمكّنوا من تفادي الاستغراب والمفاجأة.

29 . إشعار العملاء برضاء المجتمع عليهم من جرّاء ما يقومون به أو ما يشتركون فيه من عمل نافع ومفيد.

ولأنَّ الحالات قيد البحث والدراسة من قبل الأخصائي الاجتماعي وإن اتحدت أو اشتركت في النَّوع تختلف باختلاف قدرات واستعدادات أصحابها، فهي ذات خصوصيَّات لا يجوز تعميمها، بل كلّ حالة كيان بذاتها، لها ما لها من العلل والأسباب والظروف التي تستوجب تفهّم الأخصائي لها إن أراد تحقيق نتيجة

موضوعيَّة مرضيَّة، وفوق كلّ هذا إن لم تغرس الثقة في نفوس العملاء فلا إمكانية لمعرفة الحقائق وكشف خفاياها.

ولهذا لا يُمكن أن يتم استيعاب العملاء ودراسة حالاتهم بموضوعيَّة ما لم يتم التعرّف على خصوصيَّة كلّ منهم وتقدير كلّ خصوصيَّة: ولذا يكمن الاستيعاب في اعتبار الخصوصيَّة وغرس الثّقة في أصحابها مهنيًّا، أي: يجب وضع الخصوصيَّة في الحسبان، وعدم إسقاطها من أيِّ حساب.

وعليه:

. قدِّر خصوصيَّة الآخر تُقدّر.

. اعترف به يعترف بك.

. اعتبره يعتبرك.

. تفهّم ظروفه الخاصّة يتم تفهّمك.

وعليه: فإنَّ عدم الاعتراف بالخصوصيّات أو الاعتداء عليها يعد تقليل شأن فيواجه بمقاومة عنيفة؛ فعلى سبيل المثال: العرف يمنح أصحابه خصوصيَّة قيمية اجتماعيَّة، والدين يمنح أصحابه خصوصيَّة عقائدية، وهكذا اللّغة والثّقافة والتقاليد جميعها تمنح لأصحابها خصوصيات مختلفة ينبغي أن تقدّر، وإلّا لن تجد الثقة مكانًا لتغرس فيه وتنمو نبتة مثمرة؛ ما يجعل الاعتداء عليها اعتداء على الذات أو الضمير الجمعي أو الاجتماعي؛ ولهذا:

. قدّرني أقدّرك.

. اعترف بي اعترف بك.

. اغرس الثقة في نفسي اغرسها في نفسك.

. استوعبني استوعبك.

وفي المقابل:

. لا للتهميش.

. لا للإقصاء.

. لا للتغييب.

. لا لتقليل الشأن.

ولهذا يُعد اعتبار الخصوصيَّة مبدأ مهنيًّا تحقيقه يُحقّق الطمأنينة النفسيَّة المأمولة من كلِّ إنسان سوي، فاعتبارها يطمئن الأنا والذات ويحفِّزهم على الاستيعاب والتفاعل والتفهّم أو الوحدة والاندماج.

ولأجل أن تتأكد الطمأنينة ويتحقق الاعتبار يجب مراعاة الآتي:

1 . أن يقدّر الإنسان.

2 . أن يُعترف به وبقدراته واستعداداته، وإمكاناته، وحقوقه، وواجباته، ومسؤولياته.

مبدأ

تفهُّم الظّروف

(إدراك الحقائق وتفهّمها بوعي، وعدم غضّ النّظر عمَّا يتعلَّق بالفرد، أو الجماعة، أو المجتمع له الأثر الإيجابي فيما ينبغي أن يستبصره الأخصائي الاجتماعي تجاه الأهداف العامَّة للمجتمع، مع تقدير تلك الظّروف بموضوعيَّة).

يحتوي مبدأ (اعتماد التفهُّم) القواعد القيميَّة الآتية:

. إدراك الحقائق.

. تفهّم الحقائق.

. الوعي بالحقائق.

. تفهّم الظّروف

. تقدير الظّروف.

. استبصار الحقائق.

.كشف الأثر.

. إنجاز الأهداف.

. الاستقراء الموضوعي.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (تفهُّم الظّروف):

1 – توسيع آفاق التفكير لدى الأفراد والجماعات بالمعلومات الصّائبة، يقودهم إلى الإدراك الواعي الذي يمكّنهم من حُسن إدارة حياتهم، ومن ملاحظة أفعالهم وسلوكياتهم بوعي: حتى يصلوا إلى التمييز بين ما يجب ومالا يجب.

2– تفكيك المشكلة قيد الدّراسة والبحث من أجل جعلها أكثر وضوحًا أمام من يتعلّق الأمر بهم من أفراد وجماعات ليتعرّفوا على العلل التي تكمن وراءها، ويتهيؤوا للتغيير.

3 ـ إدراك حقائق الموقف أو الظاهرة أو المشكل أو الموضوع قيد البحث أو الدراسة.

4 ـ إدراك الحقائق بموضوعيَّة عن الحالة حتى يتمّ تحقيق الأهداف عن وعي وبما يؤدّي إلى تقديم المساعدة الهادفة للعميل.

5 ـ التشجيع على التزود بالخبرة التي تُسهم في إنجاح عمليات الدّراسة وإصلاح حالات الأفراد.

6 – استيعاب أعضاء الجماعة، بتفهّم مشاعرهم واستعداداتهم، وتقدير أفكارهم، واحترام آرائهم بما يساعدهم على الإنجاز الفعّال وفق خطة مرسومة ومقرَّرة.

7 – تشجيع الأفراد والجماعات على إظهار ما لها من آراء ومهارات وخبرات حتى يتمّ استثمارها الاستثمار الأمثل بما يفيد الجميع.

8 ـ تفهّم الحقائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنفسيَّة والذوقيَّة والثقافيَّة قبل اتخاذ أيّ إجراء تجاه المجتمع أو تجاه الظاهرة أو الموقف الإشكالي.

9 . الإلمام بالحقائق المتعلّقة بالموضوع أو الظاهرة الاجتماعيَّة والوعي بما يدور تجاهها من قبل الأفراد والجماعات المحليّة والمجتمعات الأخرى.

10 . اتباع أساليب مرنة في تناول الحالات المدروسة حتى يتمكّن العميل من تقبُّل الأخصائي وغرس الثّقة فيه ومن ثم تحقيق الإصلاح.

11 – ممارسة أسلوب الحوار الديمقراطي فيما يتعلّق بممارسة الحقوق وتأدية الواجبات وحمْل المسؤوليات.

12 – معاونة أعضاء الجماعة على القيام بأدوارهم، وحلّ ما يعترض هذه الأدوار من مشكلات.

13 . استيعاب ظروف الأفراد بموضوعيَّة وتقديرها للوقوف على الأسباب والعلل الكامنة وراءها وتصحيحها بمعالجات منطقيّة وموضوعيَّة.

14 . تفهّم الظّروف الداخلية والخارجية للمجتمع، والمستوى القيمي الذي عليه حالة أفراده وجماعاته.

15 . تقدير ظروف المجتمع من حيث الإمكانات والاستعدادات والقدرات والخبرات والمهارات، قبل رسم المجتمع لسياساته وخططه المستقبليّة.

16 . تحديد إمكانات العميل واستعداداته وقدراته، والعمل من خلالها على تغيير أحواله إلى ما هو أنسب وأفضل اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

17 – تنمية وتطوير شخصيَّات الأفراد والجماعات بما يناسب كلّ عضو ووفقًا لقدراتهم واستعداداتهم مع مراعاة الفروق الفرديَّة التي يتميّز بها كلّ منهم.

18 – توزيع الأدوار وفقًا للصلاحيّات والاختصاصات المناطة بكلّ فرد أو كلّ عضو من الأعضاء، تجنُّبًا لحدوث صراعات بين أعضاء الجماعة، حيث تعدّد المسؤوليّات المتعلّقة بكلّ دور.

19 . استبصار الحقائق كما هي والعمل على تغييرها بجهود أفراد المجتمع المشتركة إلى ما يجب أن تكون عليه.

20 . السعي إلى معرفة كل ما يترك أثرًا موجبًا، أو أثرًا سالبًا على نفسية المجتمع أو على قيمه التي تشكّل هويّته، والعمل على تصحيح الأفعال والسلوكيّات ذات الأثر السّالب بإجراءات إيجابية.

21 . تفهّم ظروف العملاء والمستويات القيميَّة التي هم عليها حتى يتمّ إدراك الحلول والمعالجات الواجبة الأداء.

22 – تخفيف حدّة التوتر النفسي الناجم عن شعور عضو من الجماعة بعدم تقبلها له، نتيجة لفشله في أداء الأدوار المتوقَّعة منه وتحفيزه بقوَّة الدّافعية للقيام بممارسة الأدوار الأخرى المتنوِّعة، وكل حسب جهده واهتمامه ودرجات تفضيلاته، مع عدم الإغفال عن توظيف نظريات لعب الأدوار ونظريات التعلُّم.

23 – استثمار طاقات الجماعة وتوجيهها الوجهة الصّائبة وفق خطّة معدّة وأهداف محدّدة، من أجل التغيير إلى الأفضل.

24 . توجيه الأفراد لِما يُمكِّنهم من اكتساب العديد من المهارات المتنوّعة والخبرات المتعدّدة لإنجاز الأهداف وبلوغ الغايات التي تسعى إليها مهنة الخدمة الاجتماعيَّة

25 . توجيه أفراد وجماعات المجتمع إلى كلّ فعل أو خبرة أو مهارة يُمكن أن تُسهم في إنجاز الأهداف التي يأمل المجتمع أن ينجزها أو يصل إليها.

26 . تحفيز الأفراد والجماعات نزلاء مؤسّسات الرّعاية والخدمة الاجتماعيَّة على إدراك الحقائق كما هي، دون القفز عليها أو غض النظر عنها وتناولها بالدراسة المعمّقة حتى تتبيّن الأطراف ذات العلاقة العلل والمسبَّبات التي تكمن وراءها، وتصحيحها وعلاج ما تركته من آثار سلبيَّة، ودفع أصحابها إلى

ما يُمكِّنهم من بناء شخصيّاتهم على المستوى الأسري والمستوى الاجتماعي بشكلٍ عام.

27 . حث العملاء على اتباع أساليب مرنة، تُمكِّنهم من استيعاب الآخرين، وتُمكِّن الآخرين من تقبلهم والتعاون معهم، دون تحفّظات، حتى تسود بينهم علاقات التواد والتقدير المتبادلين.

28 – إعطاء العملاء الفرصة لفهم أنفسهم فهما أعمق؛ وذلك بتمكينهم من ملاحظة مواقف اجتماعيَّة متنوّعة في الماضي والحاضر، بما يمكّنهم من إنارة بصائرهم والقدرة على التعامل بشكل أفضل.

29 – تحفيز العملاء بما يُمكّنهم من ممارسة الحرّيَّة وبشفافية حتى يتمكّنوا من التخلّص من عوامل الخوف، وأن يفسح أمامهم مجالات للتنفيس عن انفعالاتهم من خلال اللعب والتعامل مع مشاكلهم وحلّها بدلًا من غض النّظر عنها أو محاولة تناسيها والتنكّر لوجودها.

30 – مساعدة أفراد الجماعة على أن يجدوا لأنفسهم نشاطات يستطيعون من خلالها أن يعوِّضوا نواحي النقص أو الضعف فيهم، بتبني أنشطة تعويضيّة مقبولة اجتماعيًّا.

31 . تحديد وحدات الاهتمام حسب أولويات المجتمع في التغيير أو في صناعة المستقبل.

التفهُّم قيمة إنسانيَّة:

ولأنَّ التفهّم قيمة إنسانيَّة، فيأمله الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ ولهذا ينبغي أن يراعى في أثناء جمع المعلومات، وأثناء تحليلها، وأثناء إجراء عمليات التشخيص، وفي أثناء الوصول لعلاج موضوعي، وفي أثناء عمليَّات التقويم؛ أي: إنَّ تفهّم الظروف يعني: تقدير ما عليه الحالة من الناحية الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة

والسياسيَّة والنفسيَّة والذوقيَّة والثقافيَّة، بغاية الأخذ بأيدي من هم يعانون من تأزُّمات قيميَّة، وهم في حاجة لمن يمدّ لهم يد العون والمساعدة الهادفة؛ ولهذا عندما يتفهَّم الأخصائي الاجتماعي ظروف الأفراد والجماعات يتمكّن من الإلمام بها عن وعي هي كما هي ثم يتمكّن من الإصلاح أو بلوغ الحلّ.

ولذا تُركّز البرمجية القيميَّة في طرق مهنة الخدمة الاجتماعيَّة، على قاعدة الوعي عن بيِّنة، باعتبارها من أهم القواعد التي تُسهم في إحداث النُّقلة للعملاء الذين هم في حاجة لأن يلعب الأخصائي الاجتماعي معهم أدواره المهنيّة حتى يبلغوا ما هم في حاجة إليه عن وعي وإرادة حرّة.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي القيام بالآتي:

1 ـ تمكين الأفراد والجماعات من المقارنة بين ما يجب وما لا يجب، حتى تُنَمَّى لديهم قاعدة الوعي والإلمام بالحقيقة.

2 ـ تنمية قدرات الأفراد والجماعات، وتهيئة استعداداتهم، واستثمار إمكاناتهم بما يمكّنهم من أداء وظائفهم ومهامهم الاجتماعيَّة بنجاح ورغبة.

3 ـ تمكين الأفراد والجماعات من التأمّل والتفكّر فيما يُفيد ظروفهم حتى يستبصروا حالاتهم كما هي عليه، ويسعوا للتغيير.

4 ـ إعداد البرامج الاجتماعيَّة والثقافيَّة والترفيهيّة بما يدعم سبل الاتصال والتواصل مع الآخرين.

5 ـ دعم روابط التواصل مع الأسرة والبيئة الاجتماعيَّة.

6 ـ الاقتداء بالنماذج الناجحة، وتجّنب النماذج التي لم يثبت نجاحها.

7 ـ طمأنة الجماعة بما يشعر أعضاءها بأنَّهم قدرات هائلة في مواجهة ما يعترض طريقهم.

8 . تمكين أفراد المجتمع من ممارسة حقوقهم بإرادة.

9 . تمكين الأفراد والجماعات من تأدية واجباتهم بإخلاص.

10 . تمكين أفراد المجتمع وجماعاته من تحمّل مسؤولياتهم بأمانة.

11 . تمكين العملاء من الحركة الحرّة التي تمكّنهم من التنقّل والسّفر والتطلّع والاطلاع على ثقافات الآخرين حتى تتوسع مداركهم.

12 . التأكيد للأفراد بأنَّ كلّ شيء خارج دائرة المستحيل هو في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع)، ولذا كل شيء يُفكرون فيه ويمكن أن يُعمل هو ليس بمستحيل.

13 . تنبيه الأفراد والجماعات بأهميَّة التقويم الذي يسند الجهود المبذولة بالسّلامة من العيوب والنقائص، ومع ذلك فالكمال لله وحده.

إذن: فمن الموضوعيَّة أن يتفهّم الأخصائي الاجتماعي الظّروف التي ألمت بالعميل وجعلته نزيلًا في أحد مؤسّسات الإصلاح الاجتماعي، حتى يستطيع أن يدرس حالته دراسة موضوعيَّة وافيّة، ومن بعد يصل معه إلى علاج يمكّنه من العودة إلى تأدية وظائفه الاجتماعيَّة سويًّا.

وعليه:

. أدرك الحقائق بوعي وانتباه.

. حدّد أهدافك وضوحًا واعمل على إنجازها.

. افطن بما يدور من حولك حتى لا تقع في الفخّ.

. أدرك الأشياء كما هي حتى لا تغالبك الأوهام.

. اسع إلى إنجاز ما يجب بعد إدراك وتفهُّم واستبصار وغرس ثقة.

لذا على الأخصائي مراعاة الآتي:

1 . أن يدرك بوعي العملاء وحالاتهم وظروفهم التي جعلتهم يتقدّمون للمؤسسة لطلب المساعدة.

2 . الإلمام بظروف العملاء يجعله قادرًا على إدراك حالاتهم، ويجعله واعيًا بمسبّباتها وبعللها وبما يترتّب عليها من متغيرات تابعة، ما يجعله في حالة حيطة بما هو متوقَّع وما هو غير متوقَّع في دائرة الممكن.

3 . تفهّم الظّروف التي يمرّ بها العميل وتقديرها، والمستوى القيمي الذي عليه حالته، ومستوى قدراته واستعداداته وإمكاناته.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي ألّا يغفل عن الآتي:

1 . استبصار مكامن العلل والمسبّبات للظواهر أو المشاكل حتى يتمكَّن من معرفة العلاج المناسب لحالات العملاء الذين يعانون من تأزُّمات قيميّة.

2 . إدراك حالات العملاء وظروفهم التي تجعلهم يتقدّمون للمؤسسة لطلب المساعدة.

3 . تفهُّم حالات العملاء والظّروف التي تلمّ بهم لأجل أن يتمكّن الأخصائي من إدراك العلل والأسباب الكامنة فيها، وما يجب أن يقوم به تجاه حالاتهم.

ولأنَّ التفهّم إعطاء فسحة قيميّة للمبحوث قيد الدراسة، وتقدير للظروف التي يمرّ بها العملاء، والمستوى القيمي الذي عليه حالاتهم، ومستوى قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم؛ فإنَّ قيم الاستبصار والإدراك والتفهّم هي قيم تمييزية، بها تتمُّ عمليَّة الاستقراء والاستنباط لما يجب وما لا يجب حتى يستطيع الأخصائي

الاجتماعي الإقدام عن وعي على دراسة الحالات بموضوعيَّة إذ لا تمييز ولا أحكام مسبقة.

وعليه:

. استبصر ذاتك قبل أن تستبصر ذوات الآخرين.

. تفهّم ظروف الآخرين مثلما تتفهّم ظروفك.

. أدرك الآخرين مثلما تدرك نفسك.

. اعرف قدراتك واستعداداتك قبل أن تعرف قدرات واستعدادات الآخرين.

. اخرج من غفلتك إذا أردت أن تتطلّع إلى الآخرين وإلى ما هو أفضل.

. أقدم على صناعة مستقبل أفضل إذا أردت الإسهام في إحداث النُّقلة.

. صحّح معلوماتك الخاطئة قبل أن تُقْدِم على تصحيح أخطاء الغير.

مبدأ

غرس الثّقة

(تحسيس المجتمع أفرادًا وجماعاتٍ بأنَّهم موضع ثقة، والعمل على تأكيده قولا وفعلا بما يحقق لهم الطمأنينة ويُمكِّنهم من التفاعل المتبادل مع بعضهم البعض، ومع محيطهم الاجتماعي والإنساني، وتفهّم ظروفهم الخاصَّة لأجل أن يتفهموا القيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني ويتطلَّع إليها).

القواعد القيميَّة للمبدأ:

. المجتمع موضع ثقة.

. تحسيس العملاء بأنَّهم موضع ثقة.

. غرس الثّقة قولًا.

. غرس الثّقة سلوكًا.

. غرس الثّقة فعلًا.

. تحقيق الطمأنينة.

. التفاعل المتبادل.

. تفهّم الظّروف.

. تفهّم القيم والفضائل الاجتماعيَّة.

. تفهُّم القيم والفضائل الإنسانيَّة.

. التطلّع للأفضل.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقا لمبدأ (غرس الثّقة):

1 – منح الأفراد والجماعات والمجتمعات الاعتبار والاحترام والتقدير، بما يسهم في تفاعلهم وتواصلهم مع الأخصائي الاجتماعي والآخرين في البيئة المحيطة.

2 – غرس القيم والفضائل الاجتماعيَّة في نفوس أعضاء الجماعة من خلال برامج معدة مهنيًّا.

3 . التعامل مع الحالات المدروسة فردية كانت أم جماعية بكل صدق وإخلاص.

4 . تحرير العملاء من المشاعر والأفكار السّلبية التي تعوق ثقتهم بذاتهم، وتؤدّي بهم إلى انحرافات يعاقب عليها القانون.

5 . تحسيس العملاء بأنَّهم موضع ثقة.

6 . تحسيس المجتمع بأنَّه مصدرٌ للقيم ومنبعٌ للثّقة.

7 . تحريض الأفراد على التمسّك بالقيم والفضائل الاجتماعيَّة المعزّزة للثّقة.

8 . حث العملاء وتحفيزهم على الأخذ بالقيم التي تمدّهم بالقوَّة الدّافعة إلى تحقيق مستقبل أفضل.

9 . غرس الثّقة في نفوس العملاء والزّبائن قولًا وفعلًا.

10 . طمأنة العملاء أفرادًا أو جماعاتٍ أو مجتمعاتٍ أنَّ المعلومات التي سيدلون بها هي بين أيدي أمينة فلا يتم العبث بها أو تسريبها للآخرين.

11 . العمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من حيث قدراتهم واستعداداتهم ومواهبهم وخبراتهم يُمكّن من تحقيق المستهدف الإنساني الذي تسعى مهنة الخدمة الاجتماعيَّة إلى بلوغه.

12 . تدعيم القيم المحققة للاستيعاب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والذوقي والنفسي.

13 . غرس روح التحدّي في نفوس العملاء، والتأكيد لهم بأنَّهم أهل للثقة حتى لا يقبلوا بالاستسلام، أو ينغلقوا على ذاتهم وكأنَّهم هم نهاية العالم بأسره.

14 . اعتماد منطق الحوار المحقق للتفاعل المتبادل بين العملاء والأخصائي الاجتماعي أثناء عمليات الدراسة.

15 . تفهُّم ظروف العملاء السياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والنفسيَّة والذوقيَّة والثقافيَّة، والبدء معهم من حيث هم.

16 . مراعاة قيم المجتمع وفضائله يسهم إيجابًا في بناء الثّقة المتبادلة بين الأخصائي والأفراد والجماعات الذين يتعامل معهم ويتولى حالاتهم بالدراسة.

17 – تدعيم السُّلوك الجماعي في اتجاه بناء الجماعة قيميًّا، وبناء علاقاتها وظيفيًّا.

18 – مساعدة الفرد والجماعة على الاستقلال وعدم التبعية، من خلال تفطينهم لأداء الأدوار الاجتماعيَّة اللائقة بهم وبالمجتمع الذي ينتمون إليه.

19 – العمل على تماثل ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، في كل أمر يتعلّق بأفراد المجتمع.

20 . التعامل مع الأفراد بكل وضوح وشفافية يمكّنهم من الشعور بالاطمئنان، ويُمكِّنهم من مبادلة الثّقة.

21 . مراعاة الفروق المجتمعية من حيث القدرات والاستعدادات والإمكانات.

22 . مراعاة الخصوصيَّة الاجتماعيَّة التي تميّز كل مجتمع أو أمّة من الأمم وتقديرها دون انحياز.

23 . تحسيس العميل بأنَّه قيمة في ذاته، من حيث خلقه إنسانًا كغيره من بني الإنسان يؤدّي إلى تقبل واحترام متبادل، ويغرس الثّقة في نفسه، حتى يمتد واثقًا في من يبادله هذه الأحاسيس والمشاعر الإنسانيَّة.

24 . تحسيس الأفراد بأنّ أساس خلقهم قوَّة، وأمَّا الضعف الذي ألمّ بهم فاستثناء، وزمن الاستثناءات لا يطول ولا يصمد أمام امتداد القواعد الثابتة التي خُلق الإنسان على أساسها قوَّة.

25 – المواءمة بين إمكانات المؤسسة، وحاجات العملاء، وما يستطيع أن يُسهم به أعضاء الجماعة في تنمية الموارد المتاحة؛ حتى تستثمر في الأوجه التي تزيد من تنميتها.

26 – التأثير في قوَّة الفكرة التي احتضنها العملاء كعلاج للتوتر الذي يعانون منه، من خلال إحلال فكرة محل أخرى تملأ الفراغ بين ما هو كائن وما يمكن أن يكون باتجاه بِناءِ الذات الاجتماعيَّة.

27 . تفهُّم القيم والفضائل الاجتماعيَّة التي تُشكِّل هوية المجتمع وتُسهم في صناعة تاريخه، وتقوّم سلوك أفراده وجماعاته من الانحراف السَّالب.

28 . تفهّم القيم والفضائل الإنسانيَّة التي تُسهِم في تحقيق المستوى القيمي للموضوعيَّة على مستوى سكان المعمورة، والعمل على ترسيخها في نفوس العملاء والزبائن.

29 . إشعار الأفراد بأهمية التأهيل الذي يمكِّنهم من الأقدام والاعتماد على الإمكانات الذَّاتيَّة بلا تردد.

30 . حث العملاء وتحفيزهم على الأخذ بالقيم التي تمدّهم بالقوَّة الدافعة إلى صناعة المستقبل الأفضل.

ومع أنَّ (الثّقة) ليست مادَّة يُمكن التحكم في عناصرها في المعامل والمختبرات، فإنَّها مادّة قيمية لا تُبنى شخصية الأفراد والجماعات والمجتمعات إلَّا بها، فالبناء مثلما هو مادّي هو معنويّ؛ ولكن البناء المادّي سريع وميسر؛ أمَّا البناء المعنوي فبطيء وصعب.

ولهذا لا تغرس الثّقة في الإنسان إلَّا بعد أن يوضع في محكّات عمليَّة ويجتازها بنجاح، وهي القيمة التي تحتوي في مضمونها أبعاد قيم أخرى، من صدق وأمانة والتزام أخلاقي وسلوكي إلى جانب الوفاء بالعهود.

وعندما تتجسّد الثّقة في نفوس الأفراد والجماعات وتنعكس في السّلوك والفعل، تصبح ذات دلائل وثوابت مقدّرة من قبل الآخرين؛ ولذا عندما يثق الأفراد في ذاتهم ويثقوا في الأساليب المهنية للأخصائي الاجتماعي يتمكّنون من التفاعل المرضي، ومن التقبُّل حتى إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات ثمّ نيل المأمول.

ولهذا لا ينبغي للأخصائي الاجتماعي أن يغفل عن توظيف القيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة في أثناء دراسته حالات الأفراد والجماعات؛ لأنَّ إغفاله عنها لا يمكِّنه من نيل ثقة العملاء وفكّ تأزُّماتهم؛ مع العلم أنَّ بناء الثّقة عمليَّة تبادلية بين الأخصائي والعميل، أي: إنَّ الثّقة مطلب يأمله الأخصائي كما يأمله العميل.

ولأجل أن تجد الثّقة مكانًا لتغرس فيه بين الأخصائي الاجتماعي والعميل فعلى الأخصائي مراعاة الآتي:

1 . إشعار العميل بأنَّه محل ثقة.

2 . التعامل مع العميل بكلِّ وضوح وشفافية ليشعر بالاطمئنان.

3 . تحسيسه بأنَّه صادق فيما يقول.

4 . تقديم المساعدة الهادفة للعميل بعد دراسة موضوعيَّة مهنية.

5 . تقبُّله كما هو.

6 . إعادة العيوب للمعلومات التي تشربها العميل بدلًا من إعادتها إلى شخصه.

7 . مناصرته على مغالبة المعلومات الخاطئة.

8 . إظهار حسن النيّة في التعامل معه.

9 . إشعار العميل بالآتي:

أ . أنَّ الأمل ينتظره.

ب . أنَّه قيمة لا يمكن الاستهانة بها.

ج . أنَّه مقدرة تحتاج لإعطاء فرصة.

د . أنَّه قوَّة تحتاج إلى توجيه.

هـ . أنَّه استعداد يحتاج إلى تهيئة.

و . أنَّه في حاجة يحتاج إلى تأهيل12.

[12] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

مبدأ

إحراز التقدير

التقدير قيمة تقييمية، تربط الجهد بالإنتاج أو المدخلات بالمخرجات، قيمة عليها يكون التسابق بكل قوّة مع المحافظة على المسافة التي تسمح للآخر بالحركة في ذات الاتجاه دون عرقلة مقصودة، وبناء على النتائج المنجزة تتميّز كل خصوصيَّة بما تمتاز به عن خصوصيات الآخرين. ولا تسود قيمة التقدير بين النّاس إذا لم يمارسوا الحرية بأسلوب ديمقراطي.

ولأنَّ التقدير قيمة جاء (إحراز التقدير) مبدأ يحتوي مطلبا يشبع رغبة، ممّا يستوجب من راغبٍ في ممارسة السّلطة أو امتلاك الثروة، أن يحسّ بتماثل حاجات الآخرين له في ممارسة هذه الحقوق وامتلاكها. وعندما يصل (الأنا والآخر) إلى هذا المستوى من التقدير ينال كل منهما نصيبه بإرادة، ويتمكّنان من العيش معا في المكان والزّمان الواحد، وينال كل منهما مكانة عند الآخر، مما يجعلهما يحسان بحاجتهما للبعض وأنّ كلّ منهما على درجة من الأهمية التي لا ينبغي أن يستهان بها أو يَغفل عنها.

تنسيق (الخط الأحمر):

لدى عقل الإنسان خط أحمر يفصل بين درجة التقبّل ودرجة الرّفض، فكلما زادت درجة التحمُّل عند الإنسان كانت حركة الامتداد الذهني في مجال التقبّل، وكلّما قلت درجة التحمّل اقتربت من خط التماس الأحمر الذي بتجاوزه يدخل حيّز الرفض الذهني ما يؤدّي إلى الإقدام على تقبّل المخاطرة، أو دخولها بسرعة التعمق في منطقة الرفض.

ولذلك توجد أيضًا منطقة توازن ذهنية تفصل بين امتداد الرّغبة في حيّز الرفض، وما يشبع الحاجة في حيّز القبول، وعندما يكون تفكير الإنسان في منطقة التوازن الذهني يصبح سلوكه اعتداليًا.

وعليه هناك ثلاثة مجالات للامتداد الفكري أو النشاط العقلي:

1 . التقبّل رضا.

2 . الرفض غضبا.

3 . التوازن اعتدالا.

ولذا؛ فإنَّ عقل الإنسان في حاجة لتنسيق قدراته واستعداداته لكي يحافظ على عقله، وإذا انفلتت قدراته العقلية عن التنسيق الداخلي فلا بدَّ أن تسوء العلاقة بين العقل والنفس، وفي هذه الحالة لا بدَّ أن يقع الصّراع الذي تكون نتيجته فقدان السيطرة، وهكذا تستمر الحالة إلى أن يعود إلى منطقة التوازن (التنسيق) التي من بعدها يعود إلى منطقة الاعتدال (اعتدال النفس مع العقل)، وإن لم يعد إلى منطقة التوازن ذهنا وعقلا فلا شكّ ستكون المواجهات السّالبة مع الآخر عن غير إرادة (بلا سيطرة) ممّا يجعل الآخر الواعي يلتمس العذر لغيره.

إنَّ منطقة التنسيق أو التوازن هي منطقة التفاوض والحوار بين الأنا والذات في حيز الضمير Conscience، الذي يضبط حركة امتداد الأفكار وامتداد السُّلوك من الداخل إلى الخارج أو بالعكس.

إنَّ التنسيق متلازم مع الحياة الاجتماعيَّة للإنسان، فلا يمكن أن يسود النظام والتعاون بين أفراد المجتمع إلّا إذا جلس الجميع في منطقة التنسيق (منطقة الجميع) أو منطقة الخط الأحمر الذي يُعد تجاوزه دخول في منطقة الرفض، ويعد الوقوف عنده جلوس على مائدة التفاوض في منطقة الاعتدال.

إذن: التنسيق بين الأنا والآخر ضرورة؛ لتفادي الصّدام والصّراع سواء أكان صراع بين النفس والعقل لدى الفرد الواحد، أم صراع بين الفرد والآخر. وقد يتساءل البعض:

. هل كل فرد وجماعة ومجتمع في حاجة للتنسيق؟

نعم، التنسيق حاجة وضرورة ينبغي للأنا والآخر أن يستبصراه، وإلّا سيكون النزاع والخلاف والصدام في الوقت الذي لا ينبغي له أن يكون إلّا دفاعا عن النفس والقيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

مبررات التنسيق:

1 . الخوف:

الخوف دائمًا قيمة موجبة؛ ولهذا العبد يخاف المعبود، والسليم يخاف المرض، ومشبع الحاجات يخاف الحاجة عوزا وفقرا، والصّادق يخاف الكذب، والآمن يخاف الاعتداء؛ ولهذا وجب الخوف على الشرف، والخوف على الدين والعرف واللغة، والخوف على التاريخ بكامله، وعلى البلد بكاملها. فعندما تضع اعتبارا لأهمية كل ذلك بالنسبة إليك فلا تنس هذه الأهمية بالنسبة إلى الآخر. ولذلك فإنّ عمليَّة التنسيق ضرورية على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي والإنساني فلا تغفل عنها.

إنّ الإحساس بالخطر يستوجب أخذ الحذر الذي يترتّب عليه أخذ الحيطة باختيارات المواجهة أو اختيارات الانسحاب، ولكن إذا لم يكن الأمر محسوما لصالح أحد الاختيارين، يصبح التنسيق هو الحلّ، وذلك حسب التقديرات والاحتمالات الممكنة.

وسيظل هذا الحال كلّما توافرت اشتراطات وجود الخوف الذي يترتّب عليه بالضرورة وجود خائف ومخيف. وعندما يحس أيّ طرف بأن هناك من

يشكّل خطرا عليه فقد يبادر هذا الطرف الذي يحس بالخطر بالهجوم على مصدر الخوف ليباغته بضربة قاسمة يمكن أن تضعف الخصم وتعيده إلى طاولة المفاوضات (طاولة التنسيق).

فعلى سبيل المثال: الصّراع بين العرب والإسرائيليين على الأرض أنتج الشعور بالخوف المتبادل، خوف العرب من إسرائيل أن تمتلك الأرض المحتلة، وخوف إسرائيل من العرب أن يخرجوها بالقوّة؛ ولهذا سيستمر الصّراع ما دام الإحساس بالخوف مستمرا.

وعليه: فإنَّ انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان بلا قيد ولا شرط هو نتيجة الخوف. وفي المقابل يعيش العرب حالة من الخوف نتيجة الاختراقات الأمنية والجرائم البشعة التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي في فلسطين، وهكذا الحال بالنسبة إلى الإسرائيليين الذين هم في حالة رعب من أطفال ثورة الحجارة، والكل يحس بأنّه في حياة غير آمنة.

ولأنّ العولمة تستوجب قبول الآخر وفقا للضغوط الشديدة التي يمارسها القطيع الإلكتروني فإنّ الطرفين العرب والإسرائيليين بالرغم من عدم توافر الثّقة بينهما أصبحا يجلسان على طاولة التنسيق (طاولة التفاوض).

2 . المصلحة:

تستوجب المصلحة التي تُرتِب على الفرد مسؤولية ألا يُضحّي بالمصير وألّا يدخل الصّراع المؤدّي إلى الخسارة؛ ولأجل ذلك يحدث التنسيق أمام كل الاعتبارات التي قد تؤدّي إلى المخاطرة، فمن أجل المصلحة العامّة يحدث الصّراع بين الحين والآخر كما هو حال الصّراع بين البلدين الجارتين الهند وباكستان على إقليم كشمير في المنطقة الحدودية المتصارع عليها، وفي ذات الوقت، من أجل المصلحة العامّة يحدث التنسيق بين البلدين حتى لا تتطور الأحداث إلى ما لا

يحمد عقباه وبخاصّة أنّ الدولتين يمتلكان السّلاح النووي. وعليه، في بعض الأحيان يُعد الصّراع ضروريا من أجل المصلحة كما يُعد التنسيق هو الآخر ضرورة من أجلها.

في الماضي كان التمسك بالقيم المعنوية كبيرا جدا، أمّا اليوم فلا يعد ذا أهمية كبرى، بل وصل الحال في أفكار بعض المنظرين للعولمة أنّ التمسك بالقيم الوطنية والدينية يُعد عائقا ينبغي التحرر منه. وتعد المصلحة اليوم من أفضل المتغيرات الرئيسة لربط العلاقات بين الأنا والآخر. ولكن هناك فرق كبير بين الزّمن الذي تستمر فيه العلاقات المبنية على القيم المعنوية، والعلاقات التي تبنى على القيم المادّية المصلحية، فالأولى: تستمر فكريا بزمن الاعتقاد، والثانية: تنتهي بانتهاء زمن المصلحة الذي قد ينتكس الأمر من بعده إلى صراع شديد وبخاصّة إذا اختلفت المصالح. وهذا ما نتوقعه أن يحدث لدور الولايات المتحدة الأمريكية الذي سيتغير وفقا للمصلحة من داعم لإسرائيل إلى داعم للعرب، والمسألة في البداية قد تكون غير مستساغة التصديق بالنسبة للعقل العربي؛ إلا إنّها من وجهة نظرنا ستحدث، ولا غرابة في ذلك، فالعرب استقروا في الأندلس 850 عاما تقريبًا وخرجوا منها كأنّهم لم يدخلوها إلا سياحة؛ ولذا من يُريد أن يحلل ويُفسّر بموضوعية عليه بقراءة التاريخ ومقارنة ستين عاما من عمر دولة إسرائيل في فلسطين، والثمانية قرون من عمر العرب في الأندلس، وعليه أن يعرف أنّ جسم الإنسان بطبيعته سيرفض الغريب عنه عاجلًا أم آجلًا مهما استخدمت من قوّة لفرضه بلا إرادة؛ ولهذا وجب على العرب وإسرائيل أن يجلسا في منطقة الاعتدال.

ولأنّ الدور بطبيعة الحال هو في حالة تغير فلا ينبغي الاستغراب فيما قد يحدث، كلّ شيء ممكن، ولا شيء في السياسة مستحيل، ولا مطلق إلَّا من عند الله تعالى، وعليه فتخلّي أمريكا عن إسرائيل أمر ممكن، فهذا لا يمس الكرامة الأمريكية ولا الدين الأمريكي لا من قريب ولا من بعيد، فالدين اليهودي لبني

إسرائيل وليس للشعب الأمريكي. وفي ذات الوقت إذا أصبحت مواقف أمريكا مع إسرائيل تشكل خطرا على مصالحها مع العرب التي تزداد يوما بعد يوم فإنّ الموازين ستتغيَّر إثباتا.

وهكذا بتغيّر المصالح ستتغيَّر المواقف والأدوار، فعندما كانت مصالح أمريكا مرتبطة بدولة إسرائيل المحتلة لفلسطين كانت مواقف أمريكا منحازة معها، وبعد أن تتغيَّر مصلحة أمريكا إلى العرب بالتأكيد ستتغيَّر موازين القوّة إلى كفّة العرب الرَّاجحة.

وأعتقد أنَّ الإسرائيليين يعرفون أنَّ الأمر في طريقه إلى التغيّر، وبالتَّالي بدأت سياساتهم تتغيَّر تجاه تقبّل الآخر واستبصاره، فبدأت كفّة سياسات الترغيب تتأرجح مع كفّة سياسات الترهيب، وكفّة مدّ اليد تتأرجح مع كفة مدّ العصا، وبدلًا من الجفاء بدأت تؤسّس الشركات المشتركة بين بعض العرب وبعض الإسرائيليين، وهكذا سيتطوّر الحال إلى أن يصل بإسرائيل أن تصبح المتحدثة عن صنع السّلام.

3 ـ الطَّمع:

إنّه إحساس الفرد بوجود منافع عند الآخر تجعله في حالة ترجٍّ وتوسُّل، مع إعطاء تنازلات تجاهه. وكذلك نظرة الأقوى تجاه ما يمتلكه الأضعف تجعله هو الآخر في حالة مناورة على المنفعة التي يمتلكها ولم يعرف أهميتها بعد، أو لأنّه لم يمتلك التقنية التي تُمكّنه من الاستفادة منها، أو لمجرد الموقع الجغرافي الذي يعيش عليه، كل هذه تولِّد شعور الطمع تجاه الآخر. وعندما يحس الطرفان بالخطر على الذات، أو على الثروة أو على الموقع السياسي والجغرافي وهما لا يقدران على المغالبة، حينها يكون التنسيق الذي يُمكنهما من البقاء إلى أن ينتهي الطمع. وهذا ما نلاحظه اليوم يجري على بقاع كثيرة من العالم سواء بنظرات الفقراء والمتخلفين تقنيا تجاه الدّول المتقدمة أو بنظرة تلك الدول المتقدمة تقنيا تجاه بقاع

أو ثروات الدّول النامية. وخير مثال على ذلك سياسة أمريكا تجاه منطقة الخليج العربي، وسياسة فرنسا في أفريقيا، والمنافسة التي تجري بينهما وبين الدّول الصناعية الأخرى تجاه بلدان المجتمعات النامية وثرواتها كلها نتاج للطمع الذي ينبغي أن يحرّر منه السُّلوك البشري. وحتى لا تجتاز إحدى هذه الدول القوية الخط الأحمر يحدث التنسيق بينها خوفا وطمعا.

وعليه: إنَّ الأنا والآخر دائمًا قوّة متى ما جلسا في منطقة الاعتدال حيادا عن الطمع، وكلّما تمكّن الأنا من تحسيس الآخر بأنّه قوّة في رأيه ومعتقده ورغباته وإمكاناته أحرز التقدير منه، وفي المقابل كلّما غيّبه أو همّشه اتسعت الهوة بينهما عداء وكيدا ومكرا.

ولهذا فإنَّ تفطين أفراد المجتمع من الغفلة وتوجيههم إلى العمل المنتج يُمكِّنهم من إحراز التقدير وتبادل الاحترام مع الآخرين. وكذلك تنبيه مؤسسات المجتمع ومجالسه وهيئاته وجمعياته إلى أهمية مشاركة أفراد المجتمع القادرين على أداء المهام التي تناط بهم في تحقيق التقدم والتطوّر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي والذوقي والثقافي يمكّنهم من إحراز التقدير.

كل إنسان يسعى لإحراز التقدير:

ولأنّ كل إنسان يسعى لإحراز التقدير. إذن من لا يسعى إلى إحرازه تكاد أن تنعدم الإنسانية فيه. ومن تنعدم الإنسانية فيه، لا يستحقّ التقدير.

ولهذا فالقاعدة الإنسانية والأخلاقيَّة:

إحراز التقدير.

والاستثناء:

فقدان التقدير.

ولأنّ القاعدة الأخلاقيَّة تستوجب من الإنسان أن يسعى إلى إحراز التقدير، إذن: فعلى الأنا والآخر أن يعملا على هذه القاعدة وألّا يغفلا عنها عندما يلتقيان في مناطق الاعتدال.

وعليه:

. أسع إلى إحراز التقدير تقدّر.

. اعمل على تحصله بالحُجّة.

. اكتسب المهارات المتنوّعة التي تُمكّنك من المنافسة حتى تُقدّر.

. قدّر الآخرين تحرز التقدير منهم.

ولأنّ الإنسان إمكانات هائلة ومتعدّدة. فلِم لا يُمكّن من أداء المهام وفقا لإمكاناته حتى يتفوق وينتج ويبدع في مجالات اهتمامه ورغباته. فالإنسان كمفردة بشرية يمكن أن يكون شاعرا، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون مهندسا أو طبيبا، وكذلك رياضيا، أو رسّاما أو نجّارا. ولأنّ الإنسان إمكانات متعددة، فهو قوّة لا يستهان بها؛ ولذا ينبغي أن تُوجه إمكانات الإنسان سواء أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا إلى ما يجب؛ حتى يستفاد منه اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ومن ثمّ يحرز التقدير.

إذن:

اكتشف إمكاناتك لتتمكّن من إحراز التقدير.

. اظهر إمكاناتك؛ لتنال الاحترام.

. طوّر من إمكاناتك؛ لتحدث النقلة.

. استثمر إمكاناتك؛ لتصنع مستقبلا.

. وجّه إمكاناتك؛ لتُبدع وتتطوّر.

ولأنّ الإمكانات في بعض الأحيان كامنة، فهي إن لم تستفز قد لا تظهر إلى حيّز الوجود، وإذا لم تستثمر قد تؤدّي إلى انحرافات سلبية ليست هيّنة؛ لذا معظم الشباب هم في حاجة ماسّة لمن يساعدهم على إخراج إمكاناتهم وتوجيهها وتهذيبها؛ ولهذا فعلى الأنا والآخر ألّا يغفلا عن أهمية ذلك إن أرادا إحراز التقدير اجتماعيًا أو وطنيًا.

ومن ثمّ فمن يرغب إحراز التقدير فعليه أنْ:

. يكتشف إمكاناته ويستخدمها بثقة.

. يكتشف قدراته ويستثمرها بيسر.

. يكتشف طاقاته وينمّها إلى أقصى حد.

. يكتشف استعداداته ويهيئها للإقدام على ما يجب ارتقاء.

. يمنح نفسه فرصة التعرُّف على تجارب الآخرين.

. يتعلّم وينوّع معارفه وفقا لحاجة السّوق.

. يحترم الآخرين مثلما يرغب أن يحترموه.

. يتقبّل الآخرين كما هم من أجل مستقبل مشترك فيه تُصحّح المعلومة الخاطئة بالمعلومة الصّائبة.

. يتطلّع إلى كلّ مفيد ونافع دون غفلة، ودون أن يكون على حساب القيم والفضائل التي بها يحرز التقدير.

. يتذكّر الماضي وما فيه من تاريخ مفيد، وأن يتدبّر أمره بما يفيد، وأن يفكّر فيما يفيد ويحدث النُّقلة والفوز بالمأمول.

ولأنّ الإنسان قوّة، والتاريخ قوّة؛ لذا فإنّ الإنسان عبر الزّمن يضيف إلى قوّته المزيد من القوّة من أجل أن يحرز التقدير؛ ولذلك لا تستغرب.

ولأنّ الإنسان قوّة، من مجموع مكوّناته، فإنّ فقدان حاسّة من حواسّه لا يعني إنّه ضعيف وفقد القوّة، بل في حقيقة الأمر فقد شيئا بسيطا من مجموع إمكانات القوّة؛ ولهذا عليه أن يستثمر باقي قواه ويعمل على تنميتها تحديا للضعف؛ فيحرز التقدير ويكتسب قوّة لم تكن في الحسبان.

إذن: من لا يستمر في العطاء هو في حاجة لمن يساعده على اكتشاف الإمكانات ليعرف أنّها مستمرة، وبالرغم من تغيُّر الزّمن والعمر فإنّ الإنسان قوّة إلى أن يموت من حيث الآتي:

قوّة في ملكاته العقلية.

قوّة في حواسه.

قوّة في احتوائه للتاريخ، وصناعته له.

قوّة في استطاعته.

قوّة في تحمُّله.

قوّة في قراراته.

قوّة في استقرائه واستنباطه واستنتاجه.

قوّة في خبراته ومهاراته ومعارفه.

قوّة في تطلّعه وآماله.

قوّة في حكمته.

قوّة في صبره.

قوّة في حجّته.

قوّة في عفوه وتسامحه.

قوّة في هيبته وقدوته.

إذن: من يفتقد هذه العناصر هو في حاجة للمساعدة، والمساعدة الرئيسة التي يحتاجها الإنسان مهما طال به العمر تتمثل في المساعدة الهادفة التي تُمكّنه من اكتشاف القوّة في نفسه؛ ولهذا فالعجزة وكبار السّن في حاجة للمساعدة التي تُمكّنهم من معرفة قواهم التي تجعلهم قادرين على المشاركة.

ولذا؛ فمن الممكن استثمار الجزء من الكل، فالإنسان قوّة متكاملة ولكن في حالة عطل أيٍّ جزء منها فالمتبقي قوّة بالرغم ممّا يتركه الزّمن من أثر.

وعليه:

اعرف أنّك قوّة.

لا تغفل عن مكامن قوّتك.

هيئها لكل حين.

ادعم مواطن القوّة فيك.

عالج نقاط ضعفك.

اكتشف مواطن قوّتك.

ابحث عن أساليب جديدة لاستخدامها.

اجمع نقاط القوّة حتى تزداد قوّة.

ولأنّ الإنسان يسعى لإحراز التقدير، إذن: لديه من الطموحات التي يعمل على إنجازها، ولهذا كلّما أنجز طموحا أو أملا، أحرز التقدير من الآخرين

الذين يعترفون له بالقوّة العقلية أو العلمية أو المهارية أو الحرفية أو المهنية التي تَمكَّن من خلالها من الإبداع وتحقيق الفوز. هذا وقد يحرز الإنسان التقدير بما يمتلئ به من أخلاق وقيم وفضائل مُقدَّرة من قبل أعراف المجتمع ومعتقداته الدينية التي تُشكل إطاره المرجعي.

ولهذا؛ يتمّ إحراز التقدير بالآتي:

. بذل الجهود المثمرة.

. الأخلاق الحميدة.

. السُّلوك الاحترامي.

. الإبداع واكتشاف الجديد المفيد.

. استيعاب الآخر والاعتراف به.

. الدفاع عن قضايا المظلومين أو مساندتهم.

. التفوق العلمي والفني والرياضي.

. القدوة الحسنة.

وعليه:

. تعلّم تحرز التقدير.

. تفوّق تحرز التقدير.

. اعمل تحرز التقدير.

. أنجز المهام المناطة بك بنجاح تحرز التقدير.

. افعل خيرًا تحرز التقدير.

. تحدّى الصِّعاب تحرز التقدير.

. استوعب الآخرين تحرز التقدير.

. قُل الحقّ تحرز التقدير.

. احكم بالعدل تحرز التقدير.

لا تقدير إلّا بأفعال تستوجب التقدير:

بما أنّه لا تقدير إلا بأفعال تستوجب التقدير، إذن: التقدير يترتّب على أفعال مقدّرة من الآخر الذي يعترف بالجميل وأثره ويعترف بردّه لمن قدّمه له؛ ولهذا الأفعال الخيرة تحدث أوَّلًا ثمّ يأتي إحراز التقدير لاحقًا عليها.

ولأنّ التقدير يُحفِّز على الاستمرار في العطاء.

لذا فإنّ إحرازه يرتبط بالتاريخ وصناعته.

فعلى سبيل المثال:

. عمر المختار شخصية مقدّرة.

. عبد القادر الجزائري شخصية مقدّرة.

. نيلسون مانديلا شخصية مُقدّرة.

. والمهاتما غاندي شخصية مُقدّرة.

فهؤلاء جميعهم اشتركوا في صناعة التاريخ، الحديث وأحرزوا التقدير؛ ولهذا فالتقدير لا يجعل الإنسان مُهمشا، بل الذي يجعله مهمَّشا هو عدم حصوله على التقدير.

وعليه: إحراز التقدير مبدأ أخلاقي في مقابل مطلب نتيجة دور أو مسؤولية أو اتخاذ موقف يستوجب التقدير، والتقدير هنا ليس المادّة، بل القيمة

المعنوية التي بها تعظّم المواقف، ويقدروا أصحابها؛ ولهذا فالنّاس يختلفون بين مقدّرٍ ومقدَّر، ومن هنا؛ يعدّ التقدير منبعا من منابع بلوغ الأمل؛ إذ الجميع يرغبه ويأمل إحرازه.

ولذا؛ فأمر الاختلاف والخلاف بين النّاس يتعلّق بالخُلق والمعرفة معا، وهذه لم تكن لدى الكائنات الأخرى؛ ولهذا تنمو الاختلافات بين النّاس من أجل الأفضل، وتشتدّ الخلافات بينهم بما يتمكّنون منه تذكّرا، وتدبّرا وتفكّرا؛ وذلك من أجل الأهم والأعظم.

ولذا، لا يحرز التقدير إلّا عاقل يميّز بين ما يجب، وما لا يجب، وعندما يميّز بينهما، يستطيع أن يَقدم على ما يجب، ويستطيع أن يتجنّب ما لا يجب. وهنا يكمن الاختلاف والخلاف كما يكمن التقدير.

فالعاقل بسداد رأيه، وحكمته، وحُسن أدائه، واستنارة علمه ومعارفه، يستطيع إحراز التقدير من الآخرين إرادة، وهكذا من يقدّر النّاس يقدّر، ومن لم يُقدِّرهم لا يقدّر، وكلّما سادت قيمة التقدير بين النّاس أفرادا وجماعات ومجتمعات امتدّت بينهم جسور المودّة، والاحترام، والتعاون والتفاهم، والتفهُّم.

وعندما يسعى الإنسان تجاه الآخرين لإحراز التقدير بما يقدم عليه من عملٍ رفيع، أو بما يقدم عليه من أداء واجبات بتفوّق، ولم ينل مسعاه، ستكون ردود أفعاله تجاه المجتمع سالبة (انطواءً، أو انسحابا، أو أنانية)، ولهذا؛ كلّ شيء يؤسّس على الإرادة، تكون نتائجه مرضية لفاعله، حتى ولو كانت نتائجه سلبية، ممّا يجعل المفسد، يُفسد في الأرض إرادة، بأسباب ردود أفعال عدم تقدير ما أقدم عليه، أو عدم تقدير ما قام به من عملٍ يختلف أو يخالف ما قام به الآخرون من أعمال، ولكن عندما يبلغ الحال إلى هذا المستوى الذي لا يُميّز فيه المِجدّ من المهمل، والمصلح من المفسد، تصبح صفة الإفساد هي السائدة، فتسوء الأحوال بين الأفراد والجماعات، كما تسوء مؤسّسات الدّولة أيضًا؛ فتنقلب الأحوال فيها

من الجدّ إلى التسيب، ومن الاهتمام إلى الإهمال، ومن التقدّم إلى التخلّف، ومن الموضوعيَّة إلى الأنانية.

ولكن عندما يصل الأمر إلى هذا المستوى ويعمّ الألم، تنتفض الشّعوب من آلامها وأوجاعها؛ فتثور على ما ألمّ بها من آلام من أجل أن تنهض، وتتغيَّر أحوالها، وتبلغ غاياتها، وهكذا هي سُنن الحياة تتبدّل ومنابع الأمل لا تنضب.

ولأنّ التقدير قيمة حميدة؛ فيسعى العاقل المدرك إلى إحرازه من العقلاء، ومن أجل إحرازه يدرك أنّ الموت ثمن في سبيل تحقيقه يُمكّن من بلوغ الحياة مرّتين:

المرّة الأولى: أن يكون قبول الموت ليس تهلكة، ولكن من أجل أن يصبح التقدير سائدا بين النّاس من بعده درسا، وعبرة لمن أراد أن يكون مقدّرا في شخصه، أو عمله، أو أن يكون مقدّرا في جهاده واستشهاده.

المرة الثانية: أن يكون الموت في سبيل الله كما هو الحال عند المسلمين من أجل الفوز بالحياة الباقية في دار الخلود.

ولذلك؛ يتحوّل الموت إلى قيمة عالية تنال التقدير، وبخاصّة عندما يكون الموت عملا يرجو من ورائه الإصلاح، أو تحرير الوطن، أو صدّ خطر يحاك ضدّه، أو ضدّ الشّرف، أو الدّين، أو القيم الحميدة والفضائل الخيِّرة؛ ولهذا دائمًا الشهداء مكرّمون.

وعليه: إنَّ الموت (السّلبي) – الذي هو فرار من الموت (الإيجابي)– هو موت بلا ثمن؛ فمن أقدم عليه ضلّ؛ ذلك لأنَّه لم يكن قيمة حميدة، ولا يُحقِّق تقديرا.

ومن هنا فإحراز التقدير لا يكون إلّا بما يُبذل من جهد جاد ومتميّز تجاه الأنا والآخر؛ فالآخرون عندما يلاحظون ما يبذله الإنسان من جهد في سبيل الرّقي الأخلاقي، أو الرّقي العلمي والمعرفي، أو في سبيل زيادة الإنتاج، والإصلاح،

والإعمار، والبناء بشكلٍ عام، يقدّرونه تقديرا عاليا، وفي مقابل ذلك لا يقدّرون الضّالين، ولا المجرمين، ولا المتكبّرين، الذين يفسدون في الأرض.

ومن ثمّ؛ فإنَّ تعظيم قيمة التقدير منبع الأمل لا يكون إلّا بإظهار كلّ ما من شأنه أن يُفخّم تلك المعاني المكوّنة للقدوة الحسنة، حتى يصبح المدرس قدوة حسنة، والطبيب قدوة حسنة، ويصبح الأب قدوة حسنة، وكذلك تصبح الأم قدوة حسنة، ويصبح المسئول خير قدوة في الأمانة والنزاهة والحرص على الوحدة الوطنية، وسلامة تراب الوطن، وأمن شعبه، ورأس ماله الدّيني والاقتصادي والثقافي والحضاري.

ولأنَّ إحراز التقدير قيمة مأمولة من قِبل الجميع؛ فيجب أن يفخّم ويعظّم حتى يحفّز الجميع على أداء كلّ ما من شأنه أن يمكّنهم من إحرازه، وبتفخيم قيمة التقدير تتماسك عُرى المحبّة والمودّة بين أبناء الشَّعب الواحد، وتقوى حتى ترتقي بأصحابها إلى مقامات الرّفعة المأمولة.

فالتقدير قيمة حميدة، تربط الجهد بالإنتاج؛ ممّا يجعل التسابق على إحراز التقدير بكلِّ قوّة، مع المحافظة على المسافة التي تسمح للآخرين بالحركة في ذات الاتجاه، ودون أيّة عرقلة مقصودة، وبهذا؛ تتميّز كلّ خصوصيَّة بما تمتاز به عن خصوصيات الآخرين، وفي مقابل ذلك لا يمكن أن تسود قيمة التقدير بين النَّاس إنْ لم يمارسونه من حرّية.

ولهذا؛ فمبدأ إحراز التقدير مطلب يشبع رغبة، تستوجب من راغبٍ في إحرازه أن يستشعر بتماثل حاجات الآخرين مع حاجاته ورغباته، وعندما يصل (الأنا والآخر) إلى هذا المستوى من التقدير، يتمكّنان من العيش ومعا، ومن ثمّ، ينال كلّ منهما مكانة عند الآخر، ممّا يجعلهما يشعران بحاجتهما للبعض؛ فكلّ منهما على درجة من الأهمية التي لا ينبغي أن يُستهان بها، أو يُغفل عنها.

والتقدير قيمة حميدة تُميِّز من يجب أن يُميَّز بما عليه من مكارم أخلاق وقدرات ومواهب، ممّا يجعل لكلّ خصوصيَّة خاصيّة تستوجب التقدير والاحترام والاعتراف. ومع ذلك نجد لكلّ قاعدة شواذ، وأكبر الشاذّين الجاحدين، وأكبر الجاحدين الذين يعرفون الحقّ وينكرونه، ثمّ يلبسونه باطلا.

وعليه، تتعدّد الأدوار، والأذواق، وتختلف، وتتنوّع من مجتمع لآخر، باختلاف المعتقدات والأعراف، وفي مجملها تتكامل وتتمّم بعضها البعض بمختلف أساليب إشباعها، وهذا التنوّع والتعدّد في الحاجات يجعل الأنا والآخر في مستويات غير متساوية إذا لم تُقدّر هذه الحاجات ومشبعاتها من الطّرفين المختلفين.

مبدأ

ترسيخ المكانة

المكانة تبوؤ مقام على الرّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي ما يبلغ بالكلمة الحجّة، والعمل المنتج، والخُلق الرّفيع، وتنال التقدير والاعتبار من قِبل النَّاس، والنَّاس تأملها وتسعى إلى ترسيخها قيمة.

المكانة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاءً إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلٌ، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائلٌ؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاءً مأمولًا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيمًا وفضائلٌ؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقًّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّمَ علّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النَّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

ولذلك؛ فالتمسّك بالقيم لكونها قيمًا، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولًا وسلوكًا، ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربيةً وتعلّمًا وتعليمًا حتّى يجسدوها سلوكًا كما جسَّدها أهل المكانة.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍ قيمي قولًا وسلوكًا؛ علوٍ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكبرياء تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكرامًا أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيمًا وفضائلٌ لا يكون إلّا في دونية وسُفلية، ولهذا فإنَّ أوطان المتخلّفين تتخلّف بأسبابهم إذ لا مسؤولية ولا أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النّواقص والرّذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

إذن: المكانة والكبرياء تعظيم شأن؛ فالكبرياء كونه قيمة حميدة لتعظيم الشأن فهو الذي به يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا في الأماكن الدّونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملًا وسلوكًا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير؛ ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا؛ فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأنًا بما اختار أن يكون عليه بذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة، أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض

النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أنَّ للتكبّر صفتين:

الصفة الأولى: التكبُّر بالحقّ عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ وإن حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته لكونه قيمة حميدة، ولا مبرّرات له ألَّا يكون قيمة حميدة، ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قلبهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن التَّاريخ دائمًا يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسًا حيًّا.

ولذا فالمفسدون هم الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة فهم الذين يتكبَّرون بفعله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[13]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارًا

[13] البقرة، 34.

عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرًا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعبّرُ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تؤمل من الخيّرين.

والمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب؛ فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية، ذلك لأنَّ الكبرياء لا يكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته، والذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانيَّة؛ ولذا ينبغي للإنسان أن يتكبّر عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفًا، لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير) لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء؛ ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليّات يتمّ حملها، فهم لن يناموا ساعة واحدة نومًا هادئًا وهنيئًا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نومًا آمنًا هنيئًا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليّات مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمساءلة للجميع إذ لا قمّة سلطانية إلّا من الشَّعب، ممّا جعل الحكّام

في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورًا؛ وهم بذلك يقبلون ولا يتجاوزون قرارات ودستور الشَّعب قمّة؛ ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشهوات:

إنَّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والفساد، قال تعالى: {زُيِّنَ للنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ}[14]؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خُلق ليكون إنسانًا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي له أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدّنيا؛ ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون وارثًا في الدّارين؛ ولهذا لا ينبغي له أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي له أن يتجاوز الحدود القيميَّة والفضائليّة التي أقرَّ لها الخالق حدودًا؛ ليكون فائزًا في الدّارين.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابية في أوطان المتقدّمين علمًا وثقافةً تُكشف الأوراق من قِبل الجميع؛ حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهمًا بارتكاب المفاسد الأخلاقيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، وبين الأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير فغير

[14] آل عمران 14.

ذلك، الحاكم يورّث حكمه أوَّلًا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط؛ لذلك لا بدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله؛ فالشهوات عندما تجعل الإنسان عبدًا لها لا يملك لنفسه شيئًا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[15].

ولأنَّ أمر المكانة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل فمن يبلغ المكانة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير؛ ومع ذلك وراء كلّ مكانة مكانة لآمال أرفع.

[15] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

مبدأ

تفخيم الكرامة

الكرامة قيمة للاستشعار بالشّرف الذي إذا مُسّ بسالبٍ ساد الألم ضمير الإنسان الذي تتجسّد في نفسه قيمة الكرامة؛ ولهذا فإنّ تفخيمها سلوكا بين النّاس مبدأ. وبهذا المعنى يصبح الإنسان قيمة في ذاته، وذلك بتفخيم قيمة الكرامة في شخصه عِبرًا ومواعظًا وشرفا وفضائلا خيّرة.

فالكرامة قيمة ذاتية تأصيلية تربط الإنسان بالتاريخ، والفضائل الاجتماعيَّة والإنسانية حتى يصبح الشّرف والوطن والأمّة والدّين من المكونات الرئيسة لذات الفرد، الذي إذا تخّمت في نفسه قيمة الكرامة يقبل أن يموت أو يستشهد في سبيلها.

فتفخيم الكرامة يجعل من الإنسان شخصية مقدّرة، وله من الاحترام والاعتبار ما يجعله شخصية مهابة؛ ولهذا تعد آراؤه وحكمه وجهوده وتجربته وخبرته مرجعية دون أيّ تمييزٍ لدينٍ أو عرقٍ أو ثقافةٍ.

ويحتوي مبدأ (تفخيم الكرامة) على أنّ الثّقة في الإنسان خَلقًا وخُلقًا ينالها بالاحترام والأخذ بالتعاليم المستمدّة من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ومن هنا يصبح الإنسان قيمة في ذاته يحترم رأيه ودينه وجنسه ونوعه ولونه وهويّته.

ولهذا؛ ينبغي أن يتمّ تقدير الأفراد والجماعات بما يليق بتفخيم الكرامة الإنسانية، وتجنّب معاملتهم وكأنّهم مجرّد أرقام في أحد سجلات إثبات القيد الوطني.

وبما أنّ تفخيم كرامة الإنسان مبدأ، فتفخيمها لا يكون إلّا قولا وفعلا وعملا وسلوكا؛ ولهذا وجب اعتبار الآخر وتقدير دوره وما يبذله من جهد في

سبيل استقرار الأمن والارتقاء بالوطن والحفاظ على شرفه وشرف الآخرين وعلى جميع المستويات في دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) سواء أكانت موضوعية، أم تطلعية، أم ذاتية، أم انسحابية، أم أنانية.

ولذا؛ فإنّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية ينبغي تفخيمها بما يحافظ ويعظّم قيمة الإنسان أينما كان؛ ذلك لأنّ تفخيم الكرامة يمكّن من الحفاظ على التاريخ والحضارات والثقافات المتنوّعة مع احترام الخصوصيات الاجتماعيَّة والوطنية.

الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية:

ولأنّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية؛ إذن فتفخيمها واجب لا ينبغي أن يغفل عنه الأنا والآخر؛ ذلك لأنّ تفخيمها تفخيم مكانة، أي: تفخيم مكانة كلّ من الأنا والآخر.

ولهذا؛ عندما تهان كرامة الأفراد، تهان كرامة الشعوب. وهذا يعني أنّ الكرامة مكوّن مجتمعي من القيم المتضمنة في الأعراف والأديان والتقاليد. ولذا كلّما قُدّمت الإهانات لقيمة مجتمعية أثرت سالبًا في نفوس الأفراد والجماعات المنتمين للمجتمع. وعليه تكون المواجهة مع من يُقدّم الإهانات للقيم والفضائل الاجتماعيَّة الخاصّة بمجتمع معيّن أو لمن يُقدِّم الإهانات إلى قيم وفضائل إنسانية.

إذن: المجتمع بلا كرامة لا ينال التقدير ولا الاحترام، وهكذا حال الأفراد والجماعات بلا كرامة لن ينال أحد منهم التقدير ولا الاعتبار.

وعليه:

- عش كريما تقدّر.

- عش كريما تنال الاعتراف.

. عش كريما تبادل الاحترام.

. عش كريما تُعتبر.

وفي المقابل من يقبل العيش مهانا لن تكون له كرامة، ومن يقبل أن يعيش مهانا يقبل بإعطاء التنازلات إلى النهاية، ولهذا فالتمسّك بالقيم الإنسانية يكوّن الضمير الإنساني، والتنازل عنها لا يكون إلّا تنازلا عن المكانة والكرامة.

ومن أجل تفخيم الكرامة:

. مارس حقوقك بتماثل مع الآخر.

. أدي واجباتك بتماثل مع الآخر.

. احمل مسؤولياتك بتماثل مع الآخر.

. تبادل الاعتبار بتماثل مع الآخر.

وبما أنّ الضمير الإنساني استيعابي. إذن غرس القيم والفضائل الإنسانية وجوبي.

ولذا فإنّ غرس القيم والفضائل الاجتماعيَّة ضرورة من أجل تحقيق الكرامة الإنسانية وتفخيمها في نفوس الأفراد والجماعات والمجتمعات أينما كانوا على رقعة المعمورة بأسرها.

وبما أنّ اعتبار الخصوصيَّة يُمكّن من استيعاب الآخر. إذن القاعدة الأخلاقيَّة استيعاب الآخر، والاستثناء إقصاؤه. ولذا؛ فمن يشعر بعدم تقدير خصوصيته، يصاحبه القلق والخوف. وهكذا سيكون الحال عندما يحس بأنَّ الآخر يقلل من شأنه.

وعليه:

تفخيم الكرامة مبدأ يجعل الإنسان على المكانة التي بها يتبوأ مقام الرّفعة المأمولة؛ أي: إنّ الكرامة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاء إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاء مأمولا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيما وفضائل؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّمَ علّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

ولذلك؛ فالتمسّك بالقيم لكونها قيما، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولا وسلوكا؛ ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربية وتعلّما وتعليما حتّى يجسدوها سلوكا كما جسدها أهل المكانة والكرامة.

فأهل الكرامة دائمًا في علوٍ قيمي قولا وسلوكا؛ علوٍ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكرامة تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكراما أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيما وفضائل لا يكون إلّا في دونية وسُفلية؛ ولهذا فإنَّ أوطان المتخلّفين تتخلّف بأسبابهم حيث لا مسؤولية ولا أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النّواقص والرّذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

ولأنَّ الكرامة تفخيم شأن؛ فهي التي بها يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا الأماكن الدّونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملا وسلوكا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير، ولهذا فالكرامة قيمة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل الكرامة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا؛ فأهل الكرامة أهل مكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فهم يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق للكرامة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأنا بما اختار أن يكون عليه بذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أن للتكبّر صفتين:

الصفة الأولى: هي التكبُّر بالحقّ عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على

إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ وإن حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ هم الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا، وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته؛ لكونه قيمة حميدة، ولا مبرّرات له إلّا أن يكون قيمة حميدة؛ ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قبلهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائمًا التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسا حيّا.

ولذا؛ فالمفسدون هم الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة والكرامة فهم الذين يتكبَّرون بفعله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}16. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعبِّرَ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تُؤمل من أهل الكرامة التي ينبغي أن ترسّخ بين الأنا والآخر مبدأ ثابتا في المعرفة والسّلوك والفعل.

ولهذا؛ فالمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب

16 البقرة، 34.

وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر، ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب؛ فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية، ذلك لأنَّ الكرامة لا تكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته وكرامته، وكرامة الذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانية، ولذا ينبغي للإنسان أن يتكبّر عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفا؛ لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه؛ فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير)؛ لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء، ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليّات يتمّ حملها، فهم لن يناموا ساعة واحدة نوما هادئا وهنيئا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نوما آمنا هنيئا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليّات؛ مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمساءلة للجميع حيث لا قمّة سلطانية إلّا من الشَّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورا، وهم بذلك يقبلون، ولا يتجاوزون قرارات الشَّعب ودستوره قمّة؛ ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشهوات:

إنَّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والمفاسد، قال تعالى: {زُيِّنَ للنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}17؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خلق ليكون إنسانا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدّنيا، ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون وارثا في الدّارين؛ ولهذا لا ينبغي أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتجاوز الحدود القيميَّة والفضائلية التي أقرَّ لها الخالق حدودا، ليكون فائزا في الدّارين وتكون له كرامة راسخة.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابية في أوطان المتقدّمين علمًا وثقافة تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهما بارتكاب المفاسد الأخلاقيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، وبين الأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير؛ فغير ذلك، الحاكم يورّث حكمه أوَّلًا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط ولا كرامة، لذلك لا بدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره

---

17 آل عمران 14.

الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله؛ فالشهوات عندما تجعل الإنسان عبدا لها لا يملك لنفسه شيئا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة18.

ولأنَّ مبدأ ترسيخ الكرامة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل؛ فمن يبلغ المكانة والكرامة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير، ومع ذلك وراء كلّ كرامة مكانة لآمال أرفع.

[18] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

مبدأ

تعزيز الموضوعيَّة

الموضوعيَّة قيمة أخلاقيَّة أحكامها بلا انحيازات، وموازين عدالتها بلا مظالم، ومضمونها نزاهة المقصد والبعد عن الهوى، والتجرّد من العواطف الشخصانيَّة وسلامة الموضوع الذي اصطبغت بصفته. ومن ثمّ فالموضوعيَّة اعتدال في الفكرة والقول والفعل والسُّلوك، لا انحياز لغير الحقّ في مكوّناتها المنطقية، وهي التي تعتمد على العقل في التمييز بين ما يجب وما لا يجب. بها تُدرك الأشياء كما هي عليه، ثم تقوَّم إلى ما ينبغي لها أن تكون عليه. وهي الوعي بالحقائق بعد إخضاعها للقياس المعياري دون غض النظر عن مكوّناتها ومعطياتها وعلاقتها بما يؤثر سالبًا وإيجابًا على أطراف الحوار (الأنا والآخر).

إذن: ينبغي أن تعزيز الموضوعيَّة بغاية تقديم الحقائق هي كما هي لا كما ينبغي لها أن تكون عليه إرضاء للأنا على حساب الآخر؛ ولهذا في الموضوعيَّة تكمن الحقيقة التي تهدف إلى كشف الزيف عن المعلومة التي يجب أن تقدم كما هي لا كما يود لها أن تكون.

ولذا؛ تُعد الموضوعيَّة مكوّنا قيميّا استيعابيا تندمج فيها المعارف الإنسانية والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا وسلوكيات تؤدّىَ من قِبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميّة ذات أبعاد ومرامي إنسانية خالية من التعصِب والتحيّز.

وتتمركز الموضوعيَّة على الاستخدام العقلي، الذي به تتجاوز الشخصيّة مرحلة العاطفة والمنطق، ما يجعلها تحتكم بالعقل دون سواه في تناول القضايا والمواضيع بالبحث والدراسة.

وتُقيّم الظروف والمواقف الفردية والجماعية والمجتمعية بموضوعية عندما تتوفر معطياتها واشتراطاتها المبررة لوجودها، ولا تبرر بغير ذلك؛ ولذا فالموضوعيَّة مرحلة وعي متقدّم ينبغي أن تقر على مستوى الثقافة والفكر الإنساني؛ لتصبح الالتزام بالحقائق المجردة قولا وعملا، فلا تميل كل الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة، ولهذا فالموضعية ضمير لا يؤلِم ولا يؤلَمْ.

فمبدأ تعزيز الموضوعيَّة مرحلة تيقُّن ومعرفة يتجاوز بها العقل كل مراحل الانحيازيات والميول السالبة التي تحيد أفعالها كثيرا أو قليلا عن الحقيقة، إنّها المبتعدة عن المنقوص والمتمسكة بكل فعل تام.

ومن هنا فالموضوعيَّة حالة مستقلة بذاتها تُقيّم الأمور بنزاهة لا بعاطفة، فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع الذَّاتيَّة في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي الأنانية وذاتية تميل إلى الأنانية، إنّها حالة الانسجام والتطابق مع مبررات المواضيع ومعطياتها العلمية.

تتمركز الموضوعيَّة في خماسي تحليل القيم على الآتي:

1 ـ التجرد من رغبات الأنا وأطماعه ومصالحه الشخصانيَّة.

2 ـ لا تعترف إلا بما يجب، ولا تؤدّي إلا الأفعال الواجبة السُّلوك.

3 ـ تُقيّم الأنا والذات والآخر بمنظور قياسي لا بمنظور مزاجي.

4 ـ السُّلوك والأفعال الحضارية المتماثلة مع الثقافة المستوعبة لكل خصوصيَّة.

5 ـ الاعتراف بوجوبيّة أخذ الحقوق.

6 ـ الاعتراف بأحقّية أداء الواجبات.

7 . الاعتراف بأهمية حمْل المسؤوليات.

8 . التقدير لمن يجب ولِمَ يجب.

وعليه: فإنَّ الاطمئنان صفة من صفات الشخصية الموضوعيَّة، المعتمدة على قوّة البصيرة التي تمكّنها من معرفة الحقيقة، وتميّزها عن غيرها من الأنفس قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}19 فالبصيرة قوّة عقلية واعية يتبيّن من خلالها الإنسان الموضوعي معرفة ما يجب وما لا يجب، وعندما يسلك لا يتردد، وذلك لثقته فيما يفعل أو يسلك عن معرفة صائبة.

إذن: تعزيز الموضوعيَّة هو الإقرار بإعلان الحقيقة بين الأنا والآخر مهما اختلف الزمان والمكان والثقافة أو الدين والعرف، فالحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثر سالب أم ذات مؤثر موجب، فالكذب حقيقة والصدق حقيقة، والنفاق والرفض والتمرد حقائق كغيرها من الحقائق، والموضوعيَّة هي قول الحقيقة وفعل الحقيقة، في المنطق الموضوعي ليس عيبا أن يقال للكاذب كاذب، وللسارق سارق وللصادق صادق، بل العيب الّا يقال ذلك حقيقة. هذه هي الموضوعيَّة حقيقة لا تتبدل، ولا تتغيَّر مهما تغيّر الزمان والمكان أو تغيّر الأفراد وتبدّلوا نتيجة تعرّضهم إلى مؤثرات ومتغيرات جذابة.

وبما أنّ الحقيقة هي ما صدق على الموضوع، إذن: ليس بالضرورة أن تكون الموضوعيَّة منطقية، وذلك لأنّ معايير الحقيقة ليست هي المعايير المنطقية، فمعايير الحقيقة هي الصدق والثبات، أمّا معايير المنطق فهي الافتراض والتوقّع. فالإنسان وجوده حقيقة موضوعية وليس وجودا متوقعا، وتفكيره منطق، حيث إن التفكير مرتبط أو مترتب على وجود الإنسان باعتباره متميّزا بقدرات العقل المفكّر، والحكم على أنّ الإنسان موجود وأنّه مفكّر هو الحقيقة الموضوعيَّة، ولكن

---

[19] القيامة 14.

ليس بالضرورة أنّ كل إنسان موجود هو مفكّر، فالبعض من الموجودين هم فاقدو حاسة التفكُّر والتذكُّر التي يفترض أنّها خاصية إنسانية، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضرورة أن يكون حقيقة.

ولإزالة اللبس والغموض عن الموضوعيَّة ينبغي أن نفرِّق بين التزام الباحث بخطوات البحث العلمي أثناء تقصيه للمعلومات التي تعكس حقيقة الموضوع، وشخصانية الباحث التي لا تعكس حقّيقته (حقيقة الموضوع)؛ ولذلك التزام الباحث المسلم وتحيّزه إلى دينه لا يعد عيبا، بل العيب الّا ينحاز إليه بما أنّه الحقّ من عند الله تعالى، ومن الموضوعيَّة أن يتميّز موضوع الباحث المسلم عندما يكتب عن الدين أو الأعراف أو الشخصية المسلمة وعاداتها عن كتابات ومؤلفات الباحث غير المسلم عندما يكتب عن الموضوع نفسه. ولذا في اعتقادنا عندما يكتب المسلم عن مجتمعه هو أقرب إلى المعلومة الصادقة من الكاتب غير المسلم، وكذلك يكون الكاتب غير المسلم أكثر معرفة بالحقيقة من الكاتب المسلم عندما يتعلق الموضوع بمجتمع الباحث غير المسلم.

وعليه فإنّ قول البعض بأنّ الموضوعيَّة ألّا يدرس الباحث مجتمعه؛ لكي يكون موضوعيا فيما يبحث أو يكتب قول لا تسنده ألمصادقة، فهذه المناداة تزعّمها بعض من المستشرقين الذين لا يريدون أن تقدّم معارف صادقة عن أخلاقيات المجتمعات النامية ومعتقداتهم وأعرافهم وبخاصة التي تدين بالإسلام؛ وذلك حتى لا تنتشر تعاليم موضوعية قد تهزّ نظم المجتمعات غير المسلمة، ولهذا وُجِهت التهم إلى البحوث والدراسات العلمية التي تُبرز أهمية الدين الإسلامي وحججه وأخلاقياته بأنّها بحوث ودراسات وتعاليم غير موضوعية، ومن يقوم بهذه المهمة العلمية الرائعة يُتهم بأنّه غير موضوعي، وللأسف الشديد صدَّق بعض من أساتذتنا هذه الادعاءات وعملوا بها، في حين ازداد تمسك أهل الغرب والمستشرقين منهم بصفة خاصة بدراسة مجتمعاتهم سواء في استطلاعاتهم العامّة

أو في دراسات قُراهم أو حالات مجتمعاتهم الخاصة دون أن يصف أحدهم الآخر بعدم الموضوعيَّة، وفي مقابل ذلك هم يصفون بُحَّاثنا وكُتَّابنا بعدم الموضوعيَّة عندما يولون اهتماما بأمّتهم ومجتمعاتهم التي لها خصوصيَّة تميزها عن خصوصيات الآخرين كما للآخرين خصوصيات تميزهم.

وعلينا أن نميز بين التزام الباحث بمبادئ أمته وتاريخها الذي به تعتزّ، وبين تزمّت الباحث وأنانيته على حسابها، وحساب خطوات البحث العلمي في أثناء تتبعه للمعلومة في عمليات الدراسة، فعندما يلتزم الباحث بمبادئ أمته ودينها، فإنّه في هذه الحالة يكون ملتزما بمبادئ عامّة (ملك للجميع)، وإلّا هل يُعقل موضوعيا أن يفكّر الباحث المسلم في أثناء قيامه بمهمة البحث والدراسة بأنّه غير مسلم؟ وهل الإسلام والثقافة والعادات والأعراف أملاك لفرد بعينه حتى يقال له: تجرد منها أن أردت أن توصف بالموضوعيَّة.

عليه تكون الإجابة موضوعيا بـ(لا)، وعليه ينبغي لنا أن نعزّز الموضوعيَّة مبدأ عاما لا يخص مجتمعا بعينه، وعلينا أن نعزّز الموضوعيَّة مبدأ ينبغي أن يسود بين الأنا والآخر في الدراسة والحوار والجدال والبرهنة والتفاوض والأحكام.

فإذا كان الدين والعرف والعادة ومجموع القيم هي المقياس العام للموجب والسالب والمستقيم والمعوج، فكيف إذن يوصف الباحث المنسلخ عنها بأنّه الموضوعي؟ وهكذا كل باحث عندما ينتمي أو يعتقد في اتجاه سياسي أو فكري قد يصعب عليه التجرّد منه، فالباحث الاجتماعي الذي يعتقد في الفكر الرأسمالي لا يمكنه القيام ببحثه إلا داخل هذا المنظور (الرأسمالي)، وإذا وجدنا باحثا من داخل المجتمعات الرأسمالية يقوم ببحث وهو متجرد من هذا المنظور؛ فهذا يعني أنّه غير منتمٍ إليه وقد يكون منتميا لغيره، أي: منتميا للآخر. وهكذا إذا وجدت باحثا من المجتمع الماركسي غير منتميا أو غير ملتزما بمعطيات الفكر لماركسي؛ فهذا يعني إنّه الآخر، والآخر قد يكون سالبا له وموجبا لغيره وقد يكون غير

متبيّن بعد. وعليه: الموضوعيَّة نسبية وليست مطلقة، وعلى هذا الأساس تعزّز مبدأ، ولهذا التمسك بها وكأنّها المطلقة في غير محله، إنّه تحيّز سالب يضعف حجّة الباحث وقد يسفّهها، ولأنّها نسبية ينبغي لها أن تمارس بمرونة لا باشتراطات مسبقة. ولهذا يقول الدكتور على عبد المعطي محمد: ليس هناك موضوعية، بل هناك وجهات نظر تنضوي على أحكام قيمية وتحيز لِما ينبغي أن يكون.

مع أنّني لم أوافق على أنّه ليست هناك موضوعية، إلا أنّني واثق بأنّها نسبية وليست مطلقة وعلى هذا الأساس ينبغي أن تعزّز.

وبما أنّنا نتحاور مع الموضوعيَّة حينا ومع المتعصبين بها حينا آخر فعلينا أن نتساءل: عما هي ركائزها؟

في اعتقادنا ترتكز الموضوعيَّة على الموضوع أوَّلًا، والباحث ثانيا؛ ولذا لا يمكن أن تكون هناك موضوعية في غياب الموضوع أو الباحث. وفي هذا الخصوص يقول الدكتور محمد السرياقوسي: إنّ الفصل التام بين الذات الدارسة والموضوع المدروس مستحيل لِما بينهما من علاقات متبادلة تربطهما وتدمجهما في وحدة معرفية لا تمايز فيها بين ذات وموضوع.

وعليه تفاعل الباحث مع الموضوع وعدم خروجه عنه يؤدّي به إلى الموضوعيَّة، وفي مقابل ذلك خروج الباحث عن الموضوع لا يؤدّي به إليها؛ ولذلك يكون الباحث هو العنصر الأساسي في إبراز الموضوعيَّة أو إخفائها، وبما أنّ الأمر كذلك فلا داعي إلى تغييب دوره أو إغفال أهميته ومراعاة خصوصيته التي قد تفيد كثيرا في التعرُّف على الجديد وتطويره بما يحقّق نجاحا للبشرية بأسرها. وهذا يجعلنا نقول: من الموضوعيَّة عدم إغفال بعض الأدوار الفردية وقدراتها دون أن نتعمد طمس شخصية الفرد وأهميَّة دور الجماعة والمجتمع في تطوير العلوم والمعارف وتنمية المجتمعات البشرية.

وبما أنّ الباحث هو الذي اكتشف القوانين وصاغ النظريات، وهو الذي أسهم في المعرفة العلمية التي تطوّرت بها العلوم وتتطوّر باستمرار، فلأنّه هكذا، فلا ينبغي لنا أن نجحد أو نغفل إسهاماته وجهوده الكبيرة في التطور العلمي نظريا ومادّيا وتقنيا، والذي يجب أن يُطمس هو أنانية الفرد وأطماعه الشخصانيَّة التي تكون على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ مثلما له، ولهذا تعزّز الموضوعيَّة مبدأ عادل.

إذن: فمن الموضوعيَّة أن يبتعد الباحث عن الأحكام المسبقة أو الأخبار السماعية عند دراسة الظواهر والمشاكل والمواضيع أو الحالات في العلوم الاجتماعيَّة والإنسانية.

ومن الموضوعيَّة أن يلتزم الباحث بالموضوع ولا يحيد عنه عند دراسة الظاهرة.

ومن الموضوعيَّة أن يميّز الباحث بين رغباته وأمانيه التي كان يأملها قبل البحث، والنتائج التي توصل إليها والتي تخالف توقعاته وأمنياته؛ ولهذا يجب أن تقر الموضوعيَّة بين الأنا والآخر.

ومن الموضوعيَّة ألّا تعمم نتائج العينات على المجتمع الذي لم تستهدفه الدراسة بالبحث، فالعينة لا تمثل إلا نفسها، ولا تعطي إلا مؤشرات Indicators عن المجتمع الذي تؤخذ منه، وإذا عُممت أحكامها فلن تمثل المجتمع؛ وذلك لفقدانها للمصادق، ولهذا موضوعيا لا ينبغي أن تعمم نتائجها والأحكام المترتبة عليها على من لا تُجرى عليه الدراسة أو البحث، ولكن تؤخذ النتائج المتوصّل إليها مؤشرات لدراسة المجتمع مكمن الحقائق بموضوعية؛ ولهذا وعلى هذا الأساس ينبغي أن تعزّز الموضوعيَّة.

ومن ثمّ فتعزيز الموضوعيَّة (هي كما هي عليه) مبدأ قيمي بلا ميل ولا انحياز شخصاني ولا عاطفي والاحتكام بالحُجّة والمنطق هي المعيار، يُحسس أفراد المجتمع بقيمة التوازن، وبما لهم وما عليهم إنسانيا دون تمييز بين الأنا والآخر، وأن الحُجّة والبرهان يؤدّيان إلى نتائج مرضية تمكّن من الوقوف على الحقائق كما هي عليه دون تطويع تعسفي.

ولهذا فتعزيز الموضوعيَّة مبدأ مؤسّس على الاعتدال والتوازن الأخلاقي الذي يجعل الأنا والآخر على مستوى قيمي لا مجال فيه لممارسة المظالم. فيه الاعتدال السُّلوكي دون مبالغة في تضخيم المشكلة أو الظاهرة ودون التقليل من شأنها. وفيه أيضًا التحريض على اعتماد الحجّة في تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومة صائبة، ومنه وجوب التشجيع على قول الحقّ دون انحياز عاطفي كي يتمّ التمكّن من اتخاذ قرارات موضوعية وبلوغ حلول مناسبة وغايات إنسانية. والهدف منه حث الأنا والآخر على التمسك بالحقّ والعمل على إحقاقه دون تردد مع التوازن في القول والفعل والسُّلوك، والغرض من ورائه: حث الأنا والآخر على ممارسة الديمقراطية في كل ما يتعلّق بهم من أمر. واستثمار قدراتهما فيما يحقّق لهما النُّقلة من مستويات الأنانية والانسحابيَّة، إلى مستويات التطلعية والموضوعيَّة.

والنظرة الموضوعيَّة تقول: بما أنّ الإنسان مقوّم قيمي متمركز على قول الحقّ وفعل الحقّ. إذن: من يمتنع عن قول الحقّ وفعل الحقّ يتخلى عن قيمة الموضوعيَّة وقيمة الإنسانية من جوهره.

ولأن قول الحقّ وفعله تمسك بالقيم والفضائل الإنسانية.

وعليه:

– الاعتراف بممارسة الحقوق وأداء الوجبات وحمْل المسؤوليات لكلٍّ من الأنا والآخر يعزّز الموضوعيَّة.

– الاعتراف بأنّ المواطنة حقّ عام، والعمل على تمكين المواطنين من حرية الاختيار والتعليم والعلاج والإقامة والتّنقل على كفتي الميزان بين النّاس، تعزّز الموضوعيَّة.

– الاعتراف بحقّ التمّلك والعمل والإنتاج، يعزّز الموضوعيَّة.

– الاعتراف بأنّ الرعاية الاجتماعيَّة تقدم للجميع دون تمييز حسب الحاجة، على المستوى الأسري والوطني والإنساني، يعزّز الموضوعيَّة.

– الاعتراف بأنّ الاختيار واتخاذ القرار وتنفيذه إلى المستوى الوطني مسؤولية عامّة، يعزّز الموضوعيَّة.

– الاعتراف بأن التجّرد من الانحياز غير العادل، يحقّق العدل العام بين النّاس ويحقّق الرضا لجميع الأطراف يعزّز الموضوعيَّة.

– الاعتراف بأنّ العودة للمصادر الطبيعية كالدين والعرف والقيم والعودة على الدساتير في التحكيم، يعزّز الموضوعيَّة.

– الاعتراف بأنّ ممارسة العدل بين الأنا والآخر قيميّا يعزّز الموضوعيَّة.

– الإيمان بأنّ الرجل والمرأة والصحيح والمعاق أمام القانون متساوون يعزّز للموضوعية.

– العمل على تقديم الأشياء على ما هي عليه "على حقيقتها" يعزّز الموضوعيَّة.

وفي المقابل: إنَّ التمييز بين الأنا والآخر لا يؤدّي إلى بلوغ نتائج مرضية؛ ولهذا فتعزيز الموضوعيَّة وجوبي بين الأنا والآخر.

ولذا؛ لا يمكن أن تتساوى قيمة الموضوعيَّة مع قيمة الانحياز، إلّا إذا تساوى الاستثناء مع القاعدة في دائرة الممكن المتوقّع والممكن غير المتوقّع. ومع ذلك تتساوى الموضوعيَّة مع الانحياز من حيث إنّ كلّ منهما حقيقة لا يمكن إنكارها. ويختلفان من حيث حجّة الموضوعيَّة وحجّة الانحياز.

وعليه لا يجب أن ينسلخ الأنا عن دينه الحقّ الذي به يعتز ليقول عنه: الآخر موضوعي. ولا يجب أن يتخلى عن قيمه وفضائله الاجتماعيَّة مسايرة للآخر ليقال عنه بأنّه موضوعي. ولا يجب أن يتنازل عن التمسك بالأخلاق الإنسانية ليقول عنه الآخر: غير موضوعي؛ ولهذا الانحياز للحقّ خير حتى وإن رفضه البعض.

مبدأ

تصحيح المعلومة

المعلومة متنوّعة المعاني والمفاهيم، ولها من الدّلائل ما لها، وهي التي تؤسَّس للمعرفة، وهي دائمًا في حاجة للتقصّي والاختبار، ولا تعد مسلّمة إلّا بعد التبيّن؛ ولهذا فكثير من المعلومات تحتاج إلى معلومات تصحّحها.

وتصحيح المعلومة الخاطئة يستوجب توفّر معلومة صائبة، والمعلومة الصّائبة تتطلّب لسان حقّ لقولها، ومستمعًا منصتا لها بكلّ اهتمام، وحَكمًا بها يفصل بين النَّاس؛ ولذلك فالقاعدة المنطقية والعلمية تنصُّ على أنّ:

. المعلومة متأرجحة بين صائبة وخاطئة.

. المعلومة تصحّح بالمعلومة.

. المعلومة السّالبة انحرافية.

. المعلومة الموجبة بنائية.

. التصحيح وجوبي.

ولأنّ الانحراف نتاج معلومات خاطئة.

إذن: الإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة.

ولهذا؛ وجب العلاج بتصحيح المعلومات التي جعلت من المنحرف منحرفًا؛ وإذا لم تُصحّح المعلومات الخاطئة، يصبح المجتمع مهددًا بتفشي الانحرافات فيه.

فالإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة؛ ولذلك ينبغي أن تَحُلَّ المعلومات الصّائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثم تُدعم المعلومات الصّائبة بأخرى أكثر صوابًا

حتى يتمّ تثبيت القول الصّائب، والفعل الصّائب، والسّلوك السّليم الذي ينال التقبّل والتقدير من الغير، لكونه لم يكن مخالفًا للفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي تُمجّد من قِبل النَّاس.

وعليه: فالمعلومة الصّائبة بنائية: حيث احتواؤها للقيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني؛ ولذلك فالذات الإنسانيَّة تُبنى بقيم المجتمع وفضائله التي تترسَّخ في العقول والقلوب، وتتجسّد في السّلوك والفعل، وعلى ضوئها تُبنى الشّخصية المتطلّعة لِما هو أفضل وأجود وأحسن، إذ الاستيعاب لكلِّ مفيد ونافع.

ولأنّ المعلومة الصّائبة تحمل في مضمونها قيمًا إنسانيَّة؛ فهي التي تُمكِّن الإنسان من بلوغ المستوى القيمي الموضوعي، الذي ببلوغه تصبح شخصية الأفراد خالية من قيم التعصُّب والانحياز بغير حقّ.

وفي المقابل المعلومة الخاطئة، لا تنشئ الشخصيّة البنائيّة، بل تؤدّي إلى ظهور الشّخصية الانسحابيّة التي لا تصمد؛ فالشخصيّة الانسحابيّة هي التي تتخلّى عن بعض القيم التي يريد لها المجتمع أن تسود بين أفراده وجماعاته، وباستمرار الشخصيّة الانسحابيّة في الانسحاب من قيم المجتمع وفضائله التي يرتضيها، تصل إلى المستوى الأناني، الذي فيه لا يفكّر الفرد إلّا في نفسه.

وعليه: فالفرق كبير بين من تشرَّب معلومات صائبة، ومن تشرَّب معلومات خاطئة؛ ولأنّ المعلومة الصّائبة ذات حُجّة (مصادق)؛ فهي الأقوى، ولأنّ المعلومة الخاطئة تفتقد للحجّة؛ فهي الأضعف؛ ولذا فهي لا تصمد في أثناء المواجهة مع المعلومة الأصوب (الأقوى)، ولأنّ المعلومة الصّائبة بنائية؛ فهي التي تصمد بقوَّة حجّتها حتى تهزم المعلومة الخاطئة وتحلَّ محلّها.

وعليه: فالقاعدة العلمية تقول:

. الانحراف عن الانحراف السّالب يُعد عودة إلى القاعدة، ولذا؛ فهو الموجب.

– الانحراف عن الانحراف الموجب يُعد خروجًا عن القاعدة، ولذا؛ فهو السّالب.

. الانحراف السّالب يُعد موجبًا بالنّسبة للمنحرفين (الخارجين عن قيم المجتمع وفضائله).

. الانحراف السّالب يُعد سالبًا بالنّسبة إلى المتمسّكين بقيم المجتمع وفضائله الخيّرة.

ومن هنا؛ فالقاعدة المنطقية والعلمية تعد تأسيسية لكلِّ بناء، ومنطلقًا لكلّ هدف، ومرجعيّة قيميّة لكلّ مجتمع؛ ولهذا تعد التربية على قيمها واجبة، ويعد إصلاح حال الأفراد وعلاجهم على قيمها الحميدة ضرورة اجتماعيَّة وإنسانيَّة؛ ولهذا فالإصلاح والعلاج واجب على المسئولين والأخصائيين الاجتماعين والنّفسيين وعلى التربويين وعلى الأطباء، وضرورة للمريض والمنحرف عن القيم والفضائل الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، وكما هو ضرورة لهم فهو ضرورة لذويهم وللمجتمع الإنساني عامّة.

ووفقًا لدائرة الممكن؛ فإنَّ الخروج عن القيم التي يرتضيها المجتمع متوقَّع، ولا ينبغي لنا الاستغراب بما أنّنا نتوقّعه قبل حدوثه في أيّ مجتمع من المجتمعات البشرية.

المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل:

ولأنّ المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل؛ إذن: فالتأثير السّالب نتاج المعلومات الخاطئة، والتأثير الموجب نتاج المعلومات الصّائبة.

فنحن بني الإنسان نتعلّم بالمعلومة التي تشغل المساحة بين مُرسل ومستقبل، وبين منتج لها ومستخدميها، وبها يبلغ المختلفون الاتفاق، أو الخلاف؛ وهي العابرة للعقول والعابرة للحدود؛ ومن ثمّ فهي لا تسجن، وإن سُجن أصحابها المصدِّرون أو الموردون لها.

ولأنّ المعلومات هي التي تشكّل آراءنا وقناعاتنا بما تحمله من حُجج وبراهين؛ فهي التي تشكّل معتقداتنا أيضًا؛ ولذلك ستظل المعلومة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع سواء أكانت سالبة أم موجبة.

ولأنَّ كلّ شيء ممكن ولا استغراب ولا يأس؛ إذن: وجب على النَّاس التبيّن قبل إصدار الأحكام، وعليهم بعدم المكابرة عن التصويب إن اكتشفوا أنّهم كانوا من المخطئين، أو أنّ خصمهم كان من المخطئين وقد تبيّن. وعليهم دائمًا بالمعرفة الواعية حتى لا تجرّهم العاطفة وينقادوا وراءها إلى حيث ما لا يجب، وعليهم أن يميّزوا بين المعلومات الصّائبة والمعلومة الخاطئة؛ وذلك لأنّ:

– المعلومة الصّائبة في دائرة المتوقَّع تُظهر القوَّة البنائيّة والأخلاقيَّة والإنسانيَّة والإصلاحيّة والوقائيّة والعلاجيّة والاستثماريّة، وتُقدّم الحقائق هي كما هي، ويترتّب عليها الفعل المرضي الممكّن من التسامح.

. المعلومة الخاطئة في دائرة المتوقَّع، تُظهر القوَّة الهدّامة، والمؤذية، والمؤلمة، ولا تُقدّم الحقائق هي كما هي عليه، فيترتّب عليها فعل النّدم؛ ولهذا ينبغي للإنسان:

– أن يُميِّز بين ما هو ظاهر، وما هو كامن.

– ألَّا يغفل عن الكبيرة ولا الصّغيرة في دائرة الممكن.

– ألا يستغرب الأقوال والأفعال والسلوكيَّات إذ كلّ شيء ممكن.

– أن يُدحض الحُجَّة بالحُجَّة.

– أن يحافظ على اتزانه وتوازنه أمام المعلومة الخاطئة وأمام الأفراد.

. ألَّا يستعجل بأيّة تصريحات في حالتي الفرح والألم؛ ففي حالة الفرحة قد يلتزم بأشياء وهو لا يستطيع الوفاء بها، وفي حالة الألم قد يصرّح بما لا يجب؛ ممّا يرتّب على تصريحه ألم لاحقّ.

ولهذا ينبغي أن يكون العلاج للفكر المعوج الذي تشرّبه من تشرّبه من النَّاس وأثّر في سلوكهم، فإذا تمت معالجة المعلومات والأفكار الخاطئة أو المنحرفة بمعلومات وأفكار سويّة صائبة يتغيّر أصحاب الاتجاهات السّلبية إلى الاتجاهات الموجبة، ومع أنّ أساس المعلومة الصّواب، فإنَّ النَّاس هم الذين حادوا بها عن مقاصدها ومراميها، ومن ثمّ أصبحت المعلومة المشوّهة من بعدهم هي السّبب في المظالم والمكائد بين النَّاس، ممّا يجعل المعلومات الخاطئة التي تشرّبوها هي المسبِّب في ذلك، فلو تعلّمنا فكرًا معوجًّا ونحن لم نتبيّن نقاط اعوجاجه؛ فإنّنا سنسلك سلوكًا معوجًّا، وإذا تعلمنا معلومات صائبة بقوَّة الحُجّة التي تحملها، تصبح معارفنا وسلوكياتنا صائبة؛ ولذا فمن أراد الإصلاح بين النَّاس فعليه بإصلاح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة[20].

[20] عقيل حسين عقيل، العفو العام والمصالحة الوطنية، ص 162 . 176.

مبدأ

حقّ المشاركة

(الإقرار بأنّ تعزيز التعاون المهني والمشاركة الفعَّالة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته، يُمكّن من إظهار الأفكار والمهارات بتوازن، ويخلق شخصيّة اجتماعيَّة متفاعلة وواعية بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ومسؤوليات، ويحقق رضاءً اجتماعيًّا).

فالمشاركة قيمة ذات مفهوم استيعابي في دائرة الممكن، وفي مفهومها هذا تعد منقوصة الحيويّة؛ ولهذا فهي في حاجة للتّفعيل؛ لكي تصبح مبدأ عمليًّا قابلًا للممارسة، أي: إذا لم تُفعّل لن تكون لها قيمة إلّا نظريًّا، بمعنى: لا تزيد عن كونها مفهومًا ليس إلّا.

ومن ثمّ فالمشاركة باب مفتوح على من له الحقّ وفقا لقوانينها المنظمة، أي: وفقًا لرؤى المشاركين أو المنظّرين لها من أصحاب الفكر والفلسفة والمنطق. أمّا تفعيلها يعني: إدخالها ميادين العمل والتجربة وفي أيّ مجال (سلطة أو ثروة، أو ملكيّة، أو علاقات اجتماعيَّة)؛ ولهذا فتفعيل المشاركة يمكّن من الممارسة الفعلية للسيادة وأساليب الأخذ بها سواء أكانت المشاركة في اتخاذ القرار أم تنفيذه أم متابعته، ويحفّز المشاركين (الأنا والآخر) على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده .كما أنّه يُحرّض على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام ويرسّخ المكانة، وبخاصّة عندما تكون المشاركة الفعّالة لأجل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدم المشتركون عليه من عمل بنجاح، وهذا الأمر يتطلّب استثارة القوّة الذَّاتيَّة للمشاركين بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها؛ لتقرير ما يرونه مناسبًا لإشباع احتياجاتهم .

المشاركة حقّ لِمن يتعلّق الأمر بهم:

وبما أنَّ المشاركة حقّ لمن يتعلّق الأمر به مسلمة منطقية؛ إذن منطقيًّا حقّ المشاركة مبدأ لا ينبغي لنا إغفاله؛ ولأنّ أساس الوجود الاثنان (الذّكر والأنثى) مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}21، إذن: المشاركة أساس الوجود، ولأنّ الوجود متنوّع؛ فالتنوّع لا يكون إلّا مشاركة، ولذا وجب تفعيل المشاركة بما يناسب الحاجات المشتركة والمتطوّرة عبر التاريخ.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه؛ إذن فالمشاركة حقّ، ولأنّها حقّ، فلا ينبغي التنازل عنها أو الحرمان منها.

وعليه:

. لا تتنازل عن حقّك، وشارك الآخرين الذين لهم علاقة بأمرك.

. طالب بحقّك، واعمل على إعادته إذا أُخذ منك عنوة.

. اقبل أو ارفض من أجله.

. تفاعل من أجل حقّك.

. نافس من أجله.

. تعلّم فالتعليم حقّ.

. اعمل فالعمل حقّ.

. انسحب إذا عرفت أنّ ما أقدمت على المشاركة فيه ليس من حقّك، أو أنّه سيؤدّي بك إلى الخسارة أو الهلاك.

. تطلّع فالتطلّع حقّ.

---

[21] الذاريات 49.

ولأنّ المشاركة تؤدّي إلى القوّة (الموحّدة)، والانفراد يؤدّي إلى الضعف أو القوّة (المنفردة)، إذن: فتفعيل المشاركة ضرورة.

ولذا؛ شارك الآخرين إذا أردت أن تزداد قوّة؛ أمّا إذا رغبت الضّعف، فلن تجد لك مكانًا إلّا منفردًا.

وإذا تساءل البعض:

ما معنى أنَّ الشركاء أولى بتقرير مصيرهم؟

أقول:

- ألّا ينوب عنهم أحد وهم قادرون على ممارسة ما يتعلّق بهم من أمر.

- أنّهم يمتلكون زمام أمرهم وهم أدرى به من غيرهم.

- أنّهم وحدهم أولى بتحمّل مسؤوليَّاتهم وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنَّ تفعيل المشاركة ضرورة، إذن: فالأخذ به واجب.

ولأنّ الإنسان قوّة في خَلقه، ويراد له أن يكون قوّة، إذن: ليس له بدّ إلّا تفعيل المشاركة فيما من شأنه أن يسهم في إحداث النُّقلة الحضارية والثقافيَّة علمًا وعمرانًا وأدبًا وفنًا.

ومن هنا؛ فالمشاركة إساهم أو تحاصص في الانتماء أو الملكية أو الأدوار أو الموقف الذي يتطلّب اتخاذًا عن إرادة، ويترتّب على المشاركة حقوق ينبغي لها أن تمارس، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي أن يتمّ حمْلها وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء.

والمساهم هو من يشترك فيما يُسَاهَم فيه، ليكون قابلًا لكلّ مترتّب على إسهامه سواء أكان المترتّب ربحًا أم خسارةً؛ ولهذا المساهم وإن توقَّع أو استهدف

وأمل ربحًا في أثناء مساهمته في الشيء القابل للمساهمة فيه فإنَّه في دائرة الممكن لا ينبغي أنْ يُغيِّب عن عقله احتمالية التّعرّض للمتوقّع ربحًا ولغير المتوقّع خسارَة.

وعليه: فالقبول بالمشاركة يستوجب القبول بالأمرين (الرّبح والخسارة) حتَّى وإن كان أحدهما لا يؤمل في دائرة الممكن المتوقّع ؛ ولهذا في مُعظم الأحيان تظهر الخسارة من دائرة الممكن غير المتوقّع، ممّا يجعل المحلّلين والمشخّصين والمفسّرين للأحوال والقضايا والمشاكل والمواضيع والمواقف غير مستغربين؛ وذلك لمعرفتهم أنَّ كلّ شيء في دائرة النسبيّة ممكن، وخير مثال على ذلك: قصّة النبي يونس عليه الصّلاة والسّلام الذي لم يكن مستغربًا في مساهمته، ممّا جعله يقبل المساهمة دون تردّد وهو راضٍ بما سينتج أو يترتّب على مساهمته، قال تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}22، أي: كما قَبِلَ يونس بالمساهمة من قَبل كذلك كان قابلًا أن يكون من المدحضين، فدُحِضَ إلى مياه البحر وأعماقه لولا أن التقمه الحوت قبل أن يسقط في أعماق البحار مع المدحوضين المغرقين، قال تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}23.

ولأنَّ يونس عليه السّلام كان قابلًا وراضيًا بما وصلت إليه نتيجة المساهمة التي كان فيها من المساهمين فلا داع لأن يُسقط من قِبل الآخرين، بل عليه أن يقفز بنفسه من الفلك المشحون إلى المياه المتلاطمة الثائرة بالأمواج؛ ولهذا عندما همَّ يونس ليقفز كان الحوت على السّرعة المتزامنة للقمه قبل أن يقع في المياه في أعماق البحر.

إذن: المساهمة لا تكون إلّا عن إرادة حرّة ممّا يجعل المترتّب عليها لا يُرفض من قبل المساهمين أي: كلّ المترتّب على المساهمة يستوجب القبول مع كلّ الرّضا.

---

[22] الصافات 141.

[23] الصافات 142 . 144.

والمساهمة قد تكون بالنّفس والمال، وقد تكون بأحدهما وقد تكون بما يُمتلك عينيًّا، وفي كلّ الحالات هناك مترتّب منتظر في دائرة الممكن الموجب والسّالب؛ فإن تحقّق الموجب كان الرّضا متحقِّقًا، وإن تحقّق السَّالب كان النّدم واللوم على النّفس التي قبلت بالمساهمة؛ ومع ذلك لا بدَّ أن يكون القبول هو السّائد بين المساهمين، وعليهم بالعمل الذي من شأنه أن يُصلح ما أفسدته المساهمة إن استطاعوا، وإن لم يستطيعوا فما عليهم إلّا القبول والامتثال للأمر الواقع.

والمساهِم إن ساهم مع الآخرين فيما يشاؤون ويشاء، يكون له نصيب معهم بمقدار المساهمة، وهذا النصيب يجعل له حقوقًا معهم، وله واجبات يجب ألّا يتأخّر عن تأديتها كلّما طُلبت منه؛ ولذلك يترتّب على المساهمة أمران:

. حقّ يؤخذ، ويطالب به.

. واجب يؤدّى، ويلتزم به أو يَلزَمُ عليه.

وهناك من يرى أنَّ المساهمة هي اقتراع فمن قَبِل بها قَبِل بإجراء القرعة أو المقارعة، ومع أنَّ الفرق كبير بين المفاهيم الثلاثة إلّا أنّها ذات علاقة من حيث المعنى الذي يؤكّد على ما تدلُّ عليه الكلمة، وهذا في كثير من الأحيان يتطابق مع المفهوم الذي هو وراء كلّ منها، ممّا جعل لكلّ مفهوم دلالة وخصوصيَّة؛ ولذلك من حيث المفهوم نقول:

المساهمة: أنْ يشترك المشترك بجهده أو ماله أو جزء منه أو جزء ممّا يمتلك؛ لتكون له حصّة مع المتحاصّين بالمساهمة المتّفق عليها مسبقًا؛ ولهذا فالمساهمة لا تكون إلّا على الاستطاعة وحسب الرّغبة وبكلّ إرادة دون إي إجبار، وتكون نتيجة المساهمة مؤدّية إلى التسليم وقبول الأمر الواقع؛ وبذلك تكون المساهمة مادّية (النّفس المال الملك) وفي هذا الأمر يكون حالها كحال الجهاد في سبيل الله بما

تستطيع أن تجاهد ساهم جهادًا تنل خيرًا كثيرًا، وحالها كحال مساهمة يونس عليه السّلام، (فوزًا أو غرقًا)، ولكن حسابات علّام الغيوب تختلف؛ فيونس الذي قَبِلَ أن يكون من المدحضين في البحر، وكان حقيقة ماثلة أمام أبصار المشحونين في الفُلك أنَّ يونس مُلتقم في فم الحوت وظنوا أنَّه قد لبث في بطنه إلى يوم يبعثون، ولكن علّام الغيوب أنقذه من الغرق بما سخَّر له من حوت لينقذه ويلقيه إلى الشاطئ آية كبرى من آيات الله العظيمة.

ولهذا فالمقارعة في المفهوم الدّلالي تشير إلى وجود تحدٍّ بين المشتركين في المقارعة، ممّا يجعل للحُجَّة أهميَّة في الإثبات أو الدّحض والنفي؛ ولذا يكون في مفهوم المقارعة ما يؤدّي إلى المغالبة، ولا يكون الحظّ بها مرتبطًا، ونتيجتها لا تؤدّي إلى التسليم بقدر ما تؤدّي إلى المواجهة، وقد تكون المقارعة كلاميّة (حُجَّة بحجَّة) وقد تكون (قوّة بقوّة) مع تعدّد الأساليب والوسائل الممكِّنة من المغالبة.

فالقرعة القبول بالمشاركة دون أن تكون هناك ضرورة لِما يُمكن أن يُدفع مُسبقًا أو يمكن أن يساهم به، كما هو حال الذين أجروا القرعة على من يكفل مريم مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[24]، وكذلك كأن تُجرى القرعة بين البعض لأجل فرز من تُعطى له الفرصة لقضاء فريضة الحجّ، وهذه القرعة لا تستوجب جهدًا يُبذل في سبيلها، بل تتطلّب أن يتقدّم المتقدِّم كغيره من المتقدِّمين رغبة منهم لأداء فريضة الحجّ. وفي مُعظم الأحيان يرتبط الحظّ مع الذين تكون القرعة من صالحهم أو أنّهم فازوا بها فوزًا محظوظًا، ومع ذلك وإن ارتبط الحظّ مع القرعة فإنَّه لا يقتصر عليها؛ فكثير من الأعمال تكون نتائجها للصّابرين ولأصحاب الحظّ العظيم مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا ذُو حَظٍّ

[24] آل عمران 44.

عَظِيمٍ}25 ونتيجة لأنَّ الأعمال بالنيّات فإنّ الفوز بما هو عظيم لا يتحقّق إلّا مع الذين لهم صفاء النيّة وطاعة النّفس مخافة من الله لا مخافة من غيره، ولهذا بشَّر الله الصَّابرين أصحاب النوايا الخيِّرة والأعمال الصادقة بأنَّ لهم من ربِّهم رحمة، قال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}26.

ومع أنَّ للمشاركة والمساهمة تداعيات الوقوع في الخسارة مثل تداعيات الفوز والكسب وكلّ ما من شأنه أن يحقّق أرباحًا للمساهمين، فإنّ البعض إنْ تعرض إلى الخسارة أصبحت وجوههم عبوسة، وكأنّهم لم يعرفوا حسابات المساهمة (ربح وخسارة).

ولذا؛ فإنَّ تفعيل المشاركة مبدأ قيمي يحفّز على التعاون والتفاعل؛ والمشاركة قد تكون مشاركة خاصّة غير مورّثة، وقد تكون مشاركة ميراث، قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أو كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}27.

وهنا فالمشاركة في الميراث قد تكون على التساوي وقد لا تكون إذ لكلّ نصيب في الميراث المتروك بوصيّة أو بدونها، ولكلٍّ تفصيلاته، ولكن ما يهمّنا هنا أن نعرف أنَّ الحياة مؤسّسة على قاعدة المشاركة التي أساسها الخلق الزوجي؛ فالزوجيّة قاعدة التكاثر النوعي لجميع المخلوقات: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}28، وقوله تعالى: {وَمِنْ كلّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}29، فقوله (وَمِنْ كلّ شَيْءٍ) نزلت مطلقة إذ لا شيء خُلق إلّا والزوجية أساسه، ولأنّ كلّ شيء

---

[25] فصلت 35.

[26] البقرة 155 . 157.

[27] النساء 7.

[28] النبأ 8.

[29] الذاريات 49.

مؤسّس على الزوجية، إذن :كلّ شيء يشارك نوعه في الحياة تكاثرًا وعنايةً ورعايةً، ولكلّ نوع خواصّه التي بها يتكاثر ويشترك في الصّفات والأعمال والسّلوكيات.

ولأنّ الزوجيّة هي قاعدة تأسيس المشاركة بين الأنواع في الفطرة والمشاعر والعواطف والمودّة؛ فكانت المودّة على المستوى البشري قوّة ترابط ومشاركة بين بني الإنسان مصداقًا لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}30. ولأنَّ المودّة جاءت بينيّة (بين النَّاس)؛ فهي قيمة تشارك ورابطة أواصر بين الآباء والأبناء والأقارب وغيرهم ممن يقع في دائرة المعرفة المشتركة مودّة ورحمة؛ ولذا فالأرض هي فراش للجميع، ومُلك للجميع؛ فلا يحقّ لأحدٍ احتكارها أو العبث فيها وإفسادها، قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}31؛ فقوله (رِزْقًا لَكُمْ) أي: رزقًا مشتركًا للجميع؛ فمن عمل منكم صالحًا يجني ثماره خيرًا وافرًا، ومن عمل منكم منكرًا يجني ثماره ألما موجعًا.

ولأنَّ الحياة مؤسّسة على المشاركة كانت المشاركة بين النَّاس سُنّة (سلمًا وحربًا)؛ ولهذا فالجهاد مشاركة بالنفس والمال والتخطيط والتدبّر وإعداد العدّة، قال تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}32. وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ}33.

وعليه: فالمشاركة وفقًا للاستطاعة قيمة حميدة بين النَّاس في سِلمهم وحربهم؛ فينبغي لها أن تُفعّل، وبخاصّة أنّ أمر المشاورة بين النَّاس جاء مشاركةً

---

[30] الروم 21.

[31] البقرة 22.

[32] التوبة 88.

[33] الأنفال 60.

قال تعالى: {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}34. أي: شاركهم يا رسول الله في الأمر الذي يتعلّق بهم؛ لأنَّه حقّ لهم، فإن شاورتهم تمكّنوا من اتخاذ القرارات الصّائبة والصادقة، وإن لم تتمّ مشاركتهم؛ فلن تعرف حقيقة مواقفهم من الأمر الذي ينبغي أن يكون بينهم شورى، قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}35.

وعليه: فالنّاس مجعولون على المشاركة جعلًا؛ ولهذا وجب تفعيل المشاركة في كلّ زمن وعصر، وبخاصّة أنّ الدين قد كفلها للنَّاس كلّما اشترك النَّاس في أمرٍ سواء أكان أمرًا سياسيًّا أم اجتماعيًّا أم اقتصاديًّا أم أيّ أمرٍ من الأمور التي لا ينبغي لها أن تكون وتسود إلّا بذوي العلاقة، ومع أنَّ المشاركة حقّ وفقًا للأمر المشترك بين من يتعلّق الأمر بهم، فإنَّ البعض يحرم البعض الآخر تغييبًا وإقصاءً وحتّى قتلًا لكي ينفرد الدكتاتور بالأمر، ولكن إن قَبِل من قَبل أن يكون خاضعًا له، فعليه بإظهار الطّاعة التَّامّة لذلك الدكتاتور الذي قرّر الانفراد بالأمر كرهًا.

ومع ذلك النَّاس كلّ النَّاس لا يمكن أن يجمعوا على قبول الرّضوخ تحت أقدام الظَّالمين؛ فهم بين رافضٍ ومتمرّدٍ وثائرٍ، وقابلٍ متكيّفٍ مع الأمر الواقع ظلمًا، ومنافقٍ بين خوفٍ وجبنٍ.

ولأنَّ النَّاس يتفرّقون وهم أيضًا قابلون لأنْ يُفرّقوا عنوة؛ فإنَّ الظالمين يعرفون جيّدًا أنَّه كلّما ازداد تفرّق النَّاس ضعفوا ووهنوا واستكانوا؛ ولذا فهم يعملون ليلَ نهارَ على مزيدٍ من الفرقة؛ حتَّى بين المرء وزوجه.

والمشاورة قيمة استيعابيّة تتّسع دوائرها باتساع الأمر، وهي حقّ لكلّ من يتعلّق الأمر به على أيّ مستوى من مستويات الأمر الجماعيّة والمجتمعيّة وفي أيّ مكان وزمان، والمشاور هو الموصوف بالمشاورة التي تعني: أخذ الرّأي بعد تبيان

---

34 آل عمران 159.

35 الشورى 38.

الأمر واستيضاحه: {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}36، وهذا يدلّ على أنَّ مفهوم الشّورى يتعاظم كونه قيمة حميدة لا يقتصر على فئة أو جماعة دون أخرى، بل الشّورى حقّ لكلّ النَّاس وأيّ عددٍ يمكن أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذلك فممارسة الشورى حقٌّ للجميع الذكور والإناث ولا أمر إلّا ويُفْعَل بالشّورى.

ولأنَّ الأمر هو كلّ ما يتعلّق بالإنسان من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته، فهو واجب الأخذ به؛ ولذلك في الآية السّابقة خاطب الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام وألزمه بالمشاورة في الأمر، وكأنّه يقول له، في وجودك يا رسول الله لا ينبغي لك أن تقرّر أيَّ شيء يتعلّق بالنّاس نيابة عنهم، بل ما يتعلّق بهم من أمرٍ يجب أن تكون فيه في حالة شورى معهم؛ ولذلك كانت الآية (وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ) موجَّهة إلى رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام لتبيّن له أهميَّة المشاورة في الأمر مع الذين يتعلّق الأمر بهم.

وبعد أن تتمّ المشاورة في الأمر الذي هو بين النَّاس (شركاء فيه) يجب أن يؤخذ القرار الذي أصبح العزم فيه واضحًا إذ لا تردّد من بعد مشاورة تفضي إلى قرار عن وعي وإرادة ورغبة، (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكلّ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)، أي: إذا بلغت مرحلة اتخاذ القرار، واتّخذته بعد المشاورة فتوكّل على الله لتنفيذه وفقًا لِما صمّمت عليه من رأي، أي: لا يجب أن تتأخّر؛ فامضِ حيثما عزمت؛ فإنَّ الله يُحب المتوكّلين عليه في تنفيذ أمورهم التي هي في مرضاته تعالى؛ ولذلك كانت منابر المساجد في عهد رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام منابر دعوة وتبشير وشورى وفي كلّ أمر يتعلّق بالنّاس؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاورًا لمن يتعلّق الأمر بهم سلمًا وحربًا وعهدًا وموثقًا. ويا ليت النَّاس من بعده كانوا على هدى الشّورى سياسةً واقتصادًا واجتماعًا، بل في هذا العصر

---

36 آل عمران 159.

الانحرافات عن الشّورى هي السائدة، ممّا جعل الأمور في أوطان المسلمين تزداد تأزُّمًا؛ فحكم الدكتاتور بداياته مخالفة، ونهاياته جريمة واختراقًا لحقوق الإنسان وكرامته استعبادًا وإذلالًا وقهرًا؛ ولهذا تزداد التأزُّمات تأزُّمًا والشدّة أكثر ألما.

ومن ثمَّ فقوله: (وَشاورهُمْ في الأمر) هي الباقية حتَّى وإن كانت نتائج بعض المشاورات ليست بالإيجابيّة الظاهرة؛ ولأنّ الكمال لله وحده فلا استغراب أن يكون النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم على غير كمال؛ فيقعون في مثل ما وقع فيه المتشاورون في موقعة أُحد بأسباب عدم التقيّد بما عزم عليه رسول الله وهو البقاء على قمّة الجبل لبعض من الرّماة، ولأنَّ الشورى حقّ فلا ينبغي لها أن تُفسخ بأسباب عدم الكمال، بل به يجب أن تُرسَّخ بين النَّاس ليكونوا على الحقّ أو منه أقرب، أي: إذا كان رأي النَّاس لم يبلغ الكمال؛ فكيف بحال من ينفرد بالرأي بعلّة أو بدون علّة!

وفي حديث عن سيدنا عليّ رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله الأمر ينزل بعدَك لم يَنزل فيه قرآن ولم يسْمع منك فيه شيء قال: اجمعوا له العابِد من أمّتي واجعلوه بينكم شُورى ولا تقضوه برأي واحد"37.

وفي عهد ملكة سبأ كان للمشاورة شأن؛ ولهذا كانت في ذلك الوقت على القوّة التي بها يُضرب المثل، قال تعالى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أولُو قوّة وَأولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}38.

---

[37] التحرير والتنوير، ج 3، ص 263.

[38] النمل 32، 35.

ولأنَّ الله واحد لا شريك له لا يُثنى ولا يُجمع؛ فهكذا الحقّ هو واحد لا يُثنّى ولا يُجمع؛ ولهذا ينبغي لنا أن نجمع النَّاس شورى بالحقّ كي لا يتفرّقوا من بعده.

إذن: الأمر الذي يتعلّق بالنّاس في فترة الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام كان في حالة شورى بين الرّسول والآخرين الذين يتعلّق الأمر بهم؛ أمَّا من بعده فيترك الأمر بين الذين يتعلّق بهم شورى يقرّرون ما يشاءون فيه، وينفّذونه كما يشاءون وفقًا لما يرون؛ ولهذا لا ينبغي لأحدٍ أن يتقدّم لينوب عن النَّاس فيما يتعلّق بهم من أمر دون أن يكلّفوه به تكليفًا إراديًّا.

وكلمة (أمرُهُم) تتكون من جزأين هما:

. أمْرُ.

. وهُم.

فالأمر هو ما سبق تبيانه، أمّا (همّ) فجاءت مطلقة، أي: كلّ من هم على علاقة ارتباط مع الأمر، ولفظة (بينهم) الظّرفية تعني: أن تقتصر الشّورى في الأمر على الذين يعنيهم الأمر فقط ولا مكان لغيرهم فيه، ولتأكيد هذا الخصوصيَّة قال عزّ وجلّ: (بينهم)، ولم يقل: بين الحاكم والمحكومين، أو بين السّادة والعبيد، أو بين المسؤول وغير المسؤول.

والشورى فضيلة خيّرة وقيمة حميدة استمدّت من الدّين والعرف الذي هو المكوّن العام لكلّ الذين تعنيهم الشّورى في الأمر؛ ولهذا وجب تفعيلها مبدأ قيميًّا؛ فالشّورى من أخلاق العقلاء كونها رافدًا مهمًّا في تحسين الاختيار الذي يصبّ في قرار الإرادة الناتج عن الوعي الجمعي، ومن شاور النَّاس شاركهم فيما يعقلون؛ وذلك من أجل تحرّي أفضل السُّبل التي تقود إلى نجاح فكرة ما أو رأي ما أو قضية من القضايا الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، ذلك أن أيَّ قرار بإرادة لا يستند

على المشاورة مبني على نقص في الفكرة؛ ولذا فالعلاقة قويّة بين الإرادة والأمر والواقع والظرف الذي هو فيه؛ فالإرادة قيمة تُمكِّن من اتخاذ قرارات وفق معطيات واقعيّة، وهذا الواقع إنّما يتمثّل في أفراد المجتمع الذين يتعلّق الأمر بهم، وكلّما كانت دائرة المشاركة والشّورى متَّسعة للذين يتعلّق الأمر بهم، كان الاختيار أقرب إلى الواقع، أو مطابقا له، وبالتّالي كان قرار الإرادة ينسجم مع هذا الواقع الذي يُهيّئ له في دائرة الممكن.

ولأنَّ الأعمال تتفاضل وتختلف درجاتها، وشرط نجاح الأعمال سلامة المعتقد، أو نجاح الفكرة أو الأفكار التي تقوم عليها تلك الأعمال، ومن أجل تطابق الفكرة النظريّة مع الواقع العملي قدر المستطاع وجبت المشاركة والشّورى التي تؤسَّس على الإرادة من أجل ممارسة الحقّ والعمل على إحقاقه.

فالشّورى لا تقتصر على فرد أو صديق أو جماعة دون أخرى، وإنّما كلّما اتسعت دائرة الشّورى، اتّسع مجال الاختيار، وحتّى الذين لا تظنّ بهم خيرًا يدخلون ضمن الشّورى التي بأسبابها تتطهّر أنفسهم أو تقتدي للأحسن والأقوم؛ فمن خلال الشّورى يتمّ الحصول على أفكار عقليّة وخلاصة تجارب تستند إلى أساس واقعي، فمجموع الأفكار التي يتمّ استخلاصها شورى إنّما هي نتاج تجارب وخبرات وحاجات متنوّعة ومتطوِّرة إمّا مقتبسة من الواقع من خلال المشاهدة بإعمال الفكر وعمليَّة التأمل، أو مكتسبة منه على أساس تجربة سابقة؛ فهذه الشورى وإن كانت فكرة ذهنية، فإنَّها تكوّنت من معطيات واقعية، وعلى هذا الأساس يستطيع المشاور أن يُركِّب من خلال إدراكه لِما هو واقع مدركات وتصورات جديدة تُسهم أو تؤدّي إلى إنتاج معرفة مضافة بأساليب أكثر فائدة ونفع في صناعة المستقبل الأفضل.

وعليه: المشورة هي إغناء الفكرة من استظهار آراء الآخرين لمعرفة ما لديهم من خبرة ومعرفة ورأي، فهي تشدّ أواصر الرّابطة الجماعيّة والمجتمعيّة بين

من يتعلّق الأمر بهم؛ فالمشورة تنوِّر الأفكار وتوضِّح الأمور، ممّا يضفي زيادة في الفهم عندما يقدم العقل على الاختيار وبخاصّة في الأمور المصيريّة التي تحتاج إلى إمعان النظرة وتقليب الفكرة، ولذا فإنَّ الشّورى أمر يجب الأخذ به والعمل عليه مشاركة؛ فهي قيمة حميدة وفضيلة خيّرة، ومن يريد أن يبقى غير طائعٍ للدكتاتوريين فعليه بتفعيل المشاركة شورى في كلّ أمر مستوجب الاستشارة فيه.

إذن: الاستشارة تؤدّي إلى صواب الرّأي، ولا يكاد المشاور أن يخطئ، وإن أخطأ بأسباب عدم الكمال فقد شارك من استشارهم في حمْل المسؤوليَّة.

ولذا؛ فإنْ أرِيدَ للمجتمع أن يكون قويًّا فعليه بتمكين أفراده من ممارسة المشاركة شورى في المجالات الآتية:

المجال الاجتماعي.

المجال الإنتاجي.

المجال السياسي.

المجال النفسي.

المجال الذوقي.

المجال الثقافي.

ولأنَّ أمر الحرب كأيِّ أمر من أمور النَّاس هو شورى بينهم فلا يجوز فيه الإجبار من أحد، ممّا جعل الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام في عهده لا يتجاوز التحريض على الجهاد، ولذا فمن لا يرغب في ذلك لا يكره ولا يرغم ولا يساق إلى جبهات القتال بالسياط والتهديد بالقتل كما هو حال الجيوش النظامية التي تجنّد بأوّل غرض وهو حفظ أمن الحاكم، ثمّ بعد ذلك إن كتبت حربًا على الحاكم الظالم بما يقدم عليه من أعمال الفساد وأفعاله.

وعليه: لم يكن للرّسول جيوش نظامية كما هو حال المجتمعات من بعده، بل كان معه مقاتلون من أجل إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل وبكلّ اشتياق ورغبة، ممّا جعلهم يوصوفون بـ(المجاهدين)، أمَّا أمر الجيوش فهو عبارة عن موظفين مأجورين من قبل أجهزة الدّولة للدّفاع عن النّظام وقمّته بشكل خاصّ، وعندما تُكتب عليهم الحروب يدخلونها متثاقلين غير راضين، وليس لهم حرّية التخلّف عن تنفيذ الأوامر التي تصدر لهم، وهم لا رأي لهم فيها، ممّا يجعل الهزائم العسكرية علامة من علامات الجيوش المأجورة.

وبالرّغم من الخسارة الحربية للمسلمين في بعض المعارك التي خاضوها ضدّ الذين كادوا لهم المكائد ومكروا بهم مكرًا فإنَّ الانتصارات كانت هي الحليف الأكثر تكرارًا لهم؛ وذلك نتيجة الإيمان بالقضية التي جاهدوا في سبيلها بالقوّة، قوّة العقيدة وقوّة التوحيد وقوّة الحُجّة وقوّة النّفس وقوّة الإرادة التي جعلت للتهيّؤ والاستعداد والتأهُّب أهميَّة ورفعة شأنٍ.

إذن: الفرق كبير بين من يقاتل من أجل قضيّة عن إرادة، ومن يقاتل من أجل حكومة مكرهًا، فالذي يقاتل من أجل قضيّة دينية أو وطنية فهو يقاتل في حقيقة الأمر من أجل كرامة شخصيّة يكون لها اعتبار بين النَّاس ويكون لها اعتبار في المستقبل الخالد، ممّا يحقّق للمقاتل النّصر أو الاستشهاد، أمَّا الذي يقاتل بغير قضية فلا يكون له اعتبار لا في الحاضر ولا في المستقبل، ممّا يجعله في حالة استسلام وهزيمة ويكون النّدم غير مفارق له.

وعليه: جاء الأمر في قوله تعالى: (شاورهُمْ) مطلقًا لا مقيّدًا على أمرٍ محدّدٍ، أي: شاورهم يا محمَّد في كلّ أمر من أمورهم المؤدّية إلى علاقات بينهم؛ فالمشاورة بين المسلمين جاء النصُّ عليها فيما لم يرد بشأنه نص واضح مبيّن؛ فالذي نزل بشأنه نص قرآني لا شورى فيه، بل به يتمّ الالتزام والاتباع مع فائق الطّاعة.

ولأنَّ الشورى هي البوتقة لأخذ الرأي الصواب والرّشاد إلى ما يجب فهي حقّ يجب أن يُعطى ويُمكَّن النَّاس منه، وإن لم يعط سيتمّ أخذه كلّما تهيأت له الظروف؛ والشورى في عهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إن أردنا القدوة الحسنة لها مرامٍ منها:

. تُمكِّن من معرفة خير الأمور بين النَّاس وأشرّها.

. تُمكِّن من اتباع أمر الله بين العباد وبالعباد.

. تُمكِّن المتشاورين من المعرفة الحقّة.

. تُمكِّن من معرفة المتميّزين واكتشافهم في المجتمع فكرًا واستعدادًا وقدرةً وقدوةً حسنة.

. تُمكِّن المشاركين من حمْل أعباء المسؤوليات الجسام.

. تُمكِّن أصحاب الأفكار والرّؤى من بوتقة أفكارهم ورؤاهم في اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ وفقًا لِما هو متاح لديهم من إمكانات.

. تُحسِّن من المستوى المعرفي للمتشاورين وترتقي بهم إلى ما يفيد وينفع.

. تُمكِّن الأفراد والجماعات من الانتماء إلى النظام الذي أقرَّ لهم حقّ المشاركة.

إذن: الشورى تمكّن النَّاس من ممارسة الحكم على قاعدتين رئيستين هما:

1 . إحقاق الحقّ.

2 . إقامة العدل.

وفقًا لهاتين القاعدتين لا مكان لمحتكر لعناصر القوّة، أي: لا مكان للظالمين والمتجبّرين والمتكبّرين والمفسدين في الأرض والفاسدين؛ ولذا لا طاعة لأحدٍ على أحد إلّا في حالتين هما:

. طاعة أولي الأمر في غير معصية الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}39.

. طاعة أولي الأمر منكم، وهؤلاء ليس هم أولي أمركم؛ فالفرق كبير بين أولي الأمر منكم، وأولي أمركم؛ فأولو أمركم همّ الوالدين أو من يحلّ محلّهم من الأخوة والأقارب الذين يتعلّق الأمر بهم، أمَّا أولو الأمر منكم مصداقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}40؛ فهم الذين أوليتموهم أمركم وفقًا لدستور أو عرف أو قانون أو عقد اجتماعي وإنساني، ممّا يجعل طاعتهم طاعة للأمر الذي هو منكم، وفقًا للصّلاحيات والاختصاصات والحقوق والواجبات والمسؤوليات الموثّقة والمشرّع بها.

وعليه: فالمطاع هو الذي يتمَّ اتّباعه عن رغبة وإرادة، والطّاعة الحقّ لا تكون إلّا للحقّ والذي يأمر به، ولهذا في الطّاعة اتباع، ونيل تقدير، ونيل احترام، ونيل اعتراف، وتحقيق اعتبار، وفي معكوس المعنى اللغوي للطّاعة يكون الضلال والمعصية، وهنا يصبح في مقابل الطوع يكون الكره.

---

[39] لقمان 14، 15.

[40] النساء 59.

ولأنَّ الدّين الحقّ من عند الله؛ فالله تعالى أوجب طاعة الرّسول ثمّ تلاها بطاعة أولي الأمر من النَّاس طاعة في غير معصية لله، ولذا فإنَّ قوله (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) لا تعني أولي أمركم، فأولي أمركم تعني: من يتولاكم بالرّعاية والعناية كالوالدين والأخوة الكبار، أمَّا أولي الأمر منكم تعني: الذين اخترتموهم طواعية للقيام برعاية الأمر الذي هو منكم، وهذا الأمر هو أيُّ أمر منكم سواء أكان سياسةً داخليةً أم خارجيّةً أم سلمًا أم حربًا، فالذي اخترتموه لذلك عليكم بطاعته في الأمر الذي اخترتموه من أجله، وهذا يعني لا طاعة له في غير الأمر الذي تمَّ اختياره ليكون عليه وليًّا راعيًا. ولكن هناك من يولّى على الأمر فينقلب على من أولوه رعاية له، ممّا يجعله يخطو بأوّل خطوة لتغيير الدّستور أو العمل بقانون الطوارئ؛ فيقمع الشَّعب بكلّ الوسائل المكمّمة للأفواه المطالبة بالحرّية، ويغيّر عناوين الإدارات والمؤسّسات، كما يغيّر المسؤولين من مسؤولين لهم من القدرات والمهارات والخبرات ما يكفي لإدارتها بآخرين أزلام ليس إلّا؛ فيولّي على النفط من لا علاقة له بعلم النفط وسياساته، ويولّي على التعليم من لم يتأهل حتَّى بالشهادة الإعدادية، ويولي على الصّحة من تخصّصه جغرافي؛، وهكذا كلّ شيء يتغيّر بغير حقّ لتصبح المظالم هي السّائدة وآلام الشَّعب وأوجاعه تتضاعف، والرّفض جنبًا إلى جنبٍ معها يتضاعف إلى أن يبلغ السيل الزبا؛ فَيَهُب الشَّعب بأسره غضبًا من أجل كرامة جرحت، وهويّة طمست ودين شُوّه، وقيم قوّضت.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (تفعيل المشاركة):

1 . تحفيز أفراد المجتمع على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده.

2 – إعطاء الفرصة للعملاء لفهم مشاكلهم وأسبابها والعوامل المؤثرة فيها، من أجل أنْ يتخذوا قراراتهم عن وعي وبحرية تامّة في كل ما يتعلق بهم من أمر لأجل إيجاد حلول ومعالجات مرضية حتى يتم التمسك بها موضوعيًّا.

3 – مساعدة العملاء على إدراك قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم المتاحة والتي يمكن تتاح.

4 . توعية الأفراد بأهميَّة التمييز بين ما يجب وما لا يجب ليتمكّنوا من الإقرار بما يجب ويعملوا عليه ومعرفة ما لا يجب ويبتعدوا عنه.

5 . تحريض الأفراد على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام، وبما يثبت ذاتهم الاجتماعيَّة.

6 . تعزيز التعاون بين أفراد المجتمع وجماعاته على ما من شأنه أن يؤدّي إلى تقديم الحقائق كما هي، ويحقّق نتائج موجبة للمجتمع بأسره.

7 . دفع أفراد المجتمع وجماعاته إلى التخصص المهني الذي بدوره يؤدّي إلى تطوير المجتمع وإحداث التغيير المحقّق للنُّقلة.

8 – تفطين العملاء بإمكانات المؤسّسة وشروطها، وموارد البيئة المحيطة التي يمكن الاستفادة منها بما لا يتعارض مع النُّظم والقوانين.

9 – إمداد أفراد وجماعات المجتمع بالإمكانات المادّيَّة والمعنويّة التي تُمكِّنهم من التخلُّص من عوامل الخوف والتهديد، وتفسح أمامهم مجالات التنفيس عن انفعالاتهم من خلال ممارسة الأنشطة المتعدِّدة والمتنوِّعة.

10 . حث الأفراد على المشاركة الفعّالة لأجل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدمون عليه من عمل بنجاح.

11 . حث أفراد المجتمع وجماعاته على المشاركة الفعّالة التي تُمكِّنهم من إنجاز المهام وتأدية الواجبات الصعبة بتعاون وجهود مشتركة.

12 . تفطين أفراد المجتمع وجماعاته إلى التمسّك بكلّ ما يتعلق بهم من أمر واتخاذ القرارات المناسبة حياله بإرادة.

13 . تفطين أفراد المجتمع إلى أهميَّة مشاركة أفراده القادرين على تنفيذ القرارات التي اتخذوها بإرادة.

14 – استثارة القوّة الذَّاتيَّة للجماعة بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها؛ لتقرير ما يرونه مناسبًا لإشباع احتياجاتهم.

15 – المشاركة في سن القوانين التي تُمكِّن الأفراد من ممارسة حقوقهم وتأدية واجباتهم وتحمّل مسؤولياتهم كاستجابة لممارسة الحرّيَّة بأسلوب ديمقراطي.

16 – ترشيد أفراد المجتمع على أنَّ الدّفاع عن الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة واجب أخلاقي وإنساني تحتويه المناهج والمقررات ويعمل به الأخصائيون الاجتماعيون ويقدمون على ترسيخه مهنيًّا.

17 . تحفيز أفراد المجتمع دون استثناء على متابعة ما اتخذوه من قرارات وما عملوا على تنفيذه حتى لا يحدث الانحراف عن قيم تأكيد الشّخصية الاجتماعيَّة المسؤولة.

18 . إظهار الاتزان النفسي عند تعامله مع الأفراد والجماعات أو مع العملاء في المؤسّسات الاجتماعيَّة.

19 . إظهار المهارات المهنية أو الحرفية المتنوِّعة بتوازن مع مبررات كل موقف ومع مبررات كل ظرف من الظروف التي تختلف من حالة إلى أخرى ومن وقت لآخر.

20 . تمكين الأفراد والجماعات أو العملاء من المشاركة الإيجابية؛ حتى يتمكَّنوا من التفاعل الاجتماعي المرضي.

21 – مساعدة الأفراد والجماعات على الاسهام الكامل والاشتراك الفعلي في عمليات الدراسة وتحديد الأهداف ووضع الأولويَّات ورسم الخطط وإعداد البرامج وتنفيذها.

22 – تفهُّم قدرات الجماعة واستعداداتهم، وتقدير أفكارهم واحترام آرائهم بما يساعد على إنجاز المهمة المسندة إليهم وفقًا للخطط المرسومة.

23. توعية الأفراد والجماعات أو العملاء والزّبائن الذين يعمل الأخصائي الاجتماعي معهم بما يجب حتى يتمّ الإقدام عليه، وبما لا يجب حتى يتم الإحجام عنه.

24. تشجيع الأفراد والجماعات على إظهار مهاراتهم المهنيّة حتى يتمكّنوا من المشاركة الفعّالة التي تُسهم في عمليات التغيير الاجتماعي المستهدف بذلك.

25 . ترسيخ القيم والفضائل الإنسانيَّة وبناء الشخصيَّة المتطلّعة لكلِّ موجب وجديد بتأكيد أهميَّة ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات.

26 . العمل على تحقيق التوازن العلائقي بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات.

27 – تحديد أوجه النشاط المكلف به كلّ عضو من أعضاء الجماعة وممارسته في حدود ما تسمح به قدراتهم وإمكانات المؤسّسة وظروفها.

28 – إعداد برامج تتضمّن أنشطة تهدف إلى تقوية إرادة الجماعة؛ فكلّما كانت إرادة عضو الجماعة قويَّة تمكَّن من التفاعل الموجب مع بقية الأعضاء، وتحقّق بذلك التوازن الانفعالي الذي به يتمكّن من تكوين علائق تطلعيَّة.

29 – المساعدة على اختيار قائد للجماعة، له منهج وطريقة وأسلوب يحقق من خلالها أهداف الجماعة وأهداف المؤسّسة.

30 . تفطين أفراد المجتمع بأهميَّة ممارسة الحقوق؛ حتى تتأكد إرادتهم بحرّيَّة.

31 . التأكيد على أهميَّة أداء الواجبات في ترسيخ حقّ المواطنة وبناء الشّخصية المتطلِّعة مع كلِّ موجب مفيد.

32 . ربط العلاقة القيميَّة بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وما يترتّب عليها من حمْل المسؤوليَّات.

33 . ممارسة الحريَّة قيمة تؤكّد كرامة الإنسان فردًا أو جماعةً أو مجتمعًا عميلًا كان أم زبونًا، فعلى الأخصائي الاجتماعي ألَّا يغفل عن أهميَّة الإرادة في ترسيخ هذه القيمة على أيِّ مستوى من مستويات الشخصية.

34 – التخفيف من حدة التوتّرات الداخلية لعضو الجماعة، وإقناعه بأنَّه قوّة، وأنَّ عليه اتخاذ الكثير من القرارات، وألا يقف عند فشل قرار اتخذه في حياته.

35 – إزالة الضغوط الخارجية التي تحد من حرية الأفراد في اتخاذ الاختيار السليم لمصيرهم، سواء من جانب الأسرة أم المدرسة أم الأصدقاء أم وسائل الإعلام.

36 – تدخل الأخصائي مهنيًّا في تقرير مصير الحالات التي تعاني من الركود والسلبيَّة والتواكل أو الحالات المرضيّة، أو مخالفي القانون.

37 . دفع الأفراد للمشاركة في رسم الخطط والسياسات في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) يُمكِّنهم من تفادي المفاجئة والاستعراب.

38 ـ تفعيل المشاركة الإيجابية في كلّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا الاجتماعي ويُمكِّن من بلوغ النتائج المرضية اجتماعيًّا.

39 ـ المشاركة في رسم الخطط والاستراتيجيات وفقًا لأهداف واضحة ومحدّدة؛ حتى يتمّ التمكّن من نتائج موضوعيَّة[41].

[41] عقيل حسين عقيل، الموسوعية القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية (الوحدة الثالثة البرمجية القيمية لمبادئ الخدمة الاجتماعية، الشركة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م، ص 28.

مبدأ

الأهداف تُنجز

الأهداف أولويَّات معرفيَّة قابلة للإنجاز، ولا تكون إلّا عن وضوح رؤية أو خطة أو استراتيجية، وتكمن مقاصد من ورائها، سواء أكانت مقاصد شخصية، أم وطنية، أم إنسانية، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنّها المدى الممتد من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات، والاتجاهات العلمية والفكرية إلّا بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلّا بوضوح رؤية من حدّدها.

فالأهداف هي ذلك المرجو إنجازا سواء أكان الإنجاز بحثا علميا أم عملا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة، لتكون مرشدة لمراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، وبين الهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها. وفي هذا الشأن الأمر لا يزيد عن كونه أملا، وسيظل أملا، لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا

وإن اتفقنا في بعض منها، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}42.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزُّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة تحدّيًا وعدلا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها. ولهذا:

---

[42] هود 118، 119.

. حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

. وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

. فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

. ثق أنّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

. تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

. إنجاز الأهداف يتطلّب جهدا يبذل برغبة.

. إنجاز الأهداف يتطلّب صبرا وعزيمة.

. إنجاز الأهداف يستدعي وعيا بأهميّتها.

إنجاز الأهداف العظيمة يستوجب قبول تحدٍّ وتحدّيه.

ولهذا: وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملا، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف

الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، وإنجاز الأهداف، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة؛ ولهذا لا يمكن أن تبلغ الغايات العظام بلا أهداف والأغراض من ورائها حافز ودافع.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أيّ مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصاديَّة والمعرفية ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهمية المرجوة.

وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلّا من قِبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوَّلًا بأولٍ.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلّا من قبل القادرين على إنجازها.

. يعد تحديد الأهداف كسر فيما كان يظن أنّه صعبٌ لا يكسر.

. ويعد إنجاز أوّل الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. الأهداف العظيمة تؤسّس وضحا إنّها قابلة للإنجاز.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، ولكنّه ضرورة لطي الهوة بين من كانت لهم أهداف والمستهدف منها؛ ولهذا فالأهداف ترتّب أوَّلًا بأوّل؛ ذلك لأنّ إنجازها متتالٍ ومتلاحق، وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقا جديدة لصوغ أهداف جدية لا تتولّد إلّا من بعد الإنجاز السابق للأهداف السّابقة عليها.

ومع أنّ البداية تعد نقطة الصّعوبة، فإنَّها في النّهاية لا تعد نقطة الاستحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والمأمولات تُنال.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وتحديد الأغراض وتحقيقها، وتحديد الغايات وبلوغها، وتحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوَّلًا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع عندما تكون متطوّرة ومتجدّدة لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي لنا تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تنجز؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا لا ينبغي للأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي: كلّ ما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه

هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن ورائها مأمولا عظيما.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا: يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا؛ فالأهداف ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية ومن ورائها مأمول.

ومن ثمّ، ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة؛ ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. لا ترسم السياسات إلّا على أهداف واضحة ومحدّدةٍ وبيّنة.

. إنّ تحديد الأهداف ليس غاية في ذاته، بل الغاية إيجاد المنجز.

. من يحدّد أهدافه غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. إنجاز الأهداف يولّد أهدافا جديدة في عقول الجادّين.

. كلّ هدف ينجز من ورائه غرض.

. كلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية.

. كلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولا يتمّ نيله.

.كلّما أشبع نيل المأمول حاجة، فتح آفاقا جديدة أمام مأمولات أكثر نفعا.

. الأهداف تحدّد وفقا لمتغيرات محدّدة، ولكن لا تقفل على ذلك؛ فهناك من الأهداف ما يحدّد في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولأنّ الأهداف تحدّد وتنجز، فلا ينبغي لها أن تكون مقفلة أمام المفاجئ النافع، أي: ينبغي أن تضبط دلالة ومعنى، ولا تكون مقفلة أمام ما يتيسّر أمامك من خوارق.

إنّ إنجاز الأهداف أوَّلًا بأوّل وبسرعة لا تسرّع يصحبها، يُمكّن من خوض المنافسات والفوز فيها؛ ولهذا؛ فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء رفعة. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قمّة.

ولأجل إنجاز الأهداف وبلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب نيله من مأمولات.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ومأمول من بعده مأمولات، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يَهدِمُهُ لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، وبين الهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز.

إنجاز الأهداف يُمكّن من معرفة المجهول:

الأهداف مع أنّها لا تولد إلّا من أحشاء الموضوع أو الرؤية، ولكنّها في حقيقة الأمر هي المؤسّسة على فرضيات منطلقة من معلومات متاحة لمعرفة أخرى مجهولة، وأحيانا تنطلق من تساؤلات عن المجهول، فتمكّن من الإضافة الجديدة. والمجهول هنا: ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السابقة؛ فينبغي للبحاثين إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وإن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

أمّا التساؤلات؛ فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول، قال عزّ وجلّ: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[43]؛ فقوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤالا، ولم يكن استفسارا؛ ذلك لأنّ السّؤال دائمًا يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرا ومن

[43] النبأ 1 . 4.

العموم، أمّا التساؤل؛ فهو يستوجب بحثا علميّا وتقصٍّ دقيقٍ من أجل معرفة المجهول وفقا لأهداف واضحة بغايات مأمولة.

ولأنّ المشركين يتساءلون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنّ ما تختلفون فيه، هو: النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلا، أي: إنّ المشركين كانوا يعتقدون أنّ ما جاء به سيدنا محمّد عليه الصّلاة والسلام لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتساءلون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ). أي: إنّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه فلا يُبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يُبلغ إلّا بحثا معمّقا.

ولذلك؛ وجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعية؛ تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ولذلك؛ فالتَّطلُّع يُمكّن الإنسان من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة؛ فلا ينبغي لنا أن نضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم؛ بل ينبغي لنا أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي لنا أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا؛ فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ؛ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نعمل والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك أنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة؛ إذ كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّع.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذوقي. فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا فهما بيد الإنسان مطلبا ورغبة واختيارا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المجهول.

وعليه:

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقا، ولأنّه كذلك؛ فلا يكون إلّا إعجازا؛ إذ لا إمكانية لخلق الشيء شيئا إلّا بمشيء، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثانوية، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول الخالق، إذن: فلا ينبغي لنا أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق: ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق؛ فهو ليس بالخالق؛ ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه؛ فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجودا قبل أن يخلق الخلائق، ولذلك؛ فالسؤال ليس في محلّه؛ لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة؛ إذ لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل،

والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانية له في رؤية عالم مجهول أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا؛ فلا ينبغي للسؤال أن يكون: كيف كان الله؟

بل ينبغي للسؤال أن يكون: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنا، حتى يسأل عنه كيف كان؛ ولذلك فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها فيكون، وبالتّالي فأيّ كائن لا يكون إلّا على هيئة ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علما، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج منه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزيء فيه أو حتى أنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق فهو على غير هيئة كونه على غير صورة، وبالتالي لا إمكانية لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا

يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه. بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف، لعلّك تعرف كيف خُلق، وكيف كانت له هيئتة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلك تعرف كيف خُلقت، وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق، ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ أنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدد بتعدد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدد، ومن ثمّ تعرف من يعلم جهلك وهو لم يكن مجهولًا.

إنجاز الأهداف صُنع المستقبل:

المستقبل زمن لم يأت بعد، وهو الذي فيه تحدد الأهداف وتنجز، وترسم الخطط وتوضع الاستراتيجيات من أجل بلوغه عملا وإنتاجا ونهضة وتقدّما؛ ممّا يجعل الزّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلٌ سلبيٌّ.

والمستقبل غير منزوٍ عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول، وهو الذي بدونه لا يجد الأمل حلّا.

ولأجل المستقبل ارتقاء، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبا مرنا، وطريقة تستوعب التاريخ تجربة ومنهجا ووسيلة، وهذه لا تكون إلّا وفق أهداف موضوعية قابلة للإنجاز.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ (الذي فيه يكمن الحلّ المشبع للحاجات المتطوّرة).

ولأنَّ لكلّ قاعدة استثناء؛ فلا إمكانية لبلوغ الحلّ كمالا؛ فتلك الجهود عبر التّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاء بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنّ الارتقاء هدف تدفعه الرغبة والأمل؛ فسيظل أملا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجا وإعمارا وبناء وبحثا علميا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النّاس.

إنَّ تحديد الأهداف في الزّمن الحاضر يعني: إنّها لن تنجز إلّا في الزّمن المستقبل الذي يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية

كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجية التي وضعت له اللبنات الأولى، فالمستقبل يعد الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة كي يكون الاتساع المرافق ملبّيا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شمولية مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضٌ معيّنٌ يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤية المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات وحتى التداعيات التي تخلّف انفراجا وإن كان وقتيا فإنَّه قد يكون سببا في حلّ الكثير من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة ألا وهي التنظيم المطلوب

ضمن هذه الصيرورة؛ إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبلية المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلّ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه كي يصل التفكّر إلى هذه المرحلة وما بعدها ارتقاء.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل أن تنجز الأهداف بلا عوائق، ويتحقّق المستقبل الأفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلٍ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته وإنجاز أهدافه؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائمًا نحو شمولية يتّسع مداها كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالفٌ للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأهداف تتجدّد والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير؛ لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء

ما يُنتج عبر الزّمن ماضيا وحاضرا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول فيه الأهداف تُنجز كونه لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له أهداف واضحة وقاعدة يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظرية أم عمليَّة؛ فتوجه الحذر يكون متماشيا مع هذه الامتدادات كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز ترغبه.

وعليه: يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعددة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن ينجزه أو يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية فإنَّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب؛ لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تسهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق؛ لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءً مغايرا مبنيا على تشعبات استبطانية وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألا يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النّاس جميعا حياة أفضل، فيها الأهداف تنجز أوَّلًا بأوّل، وفيها التقدم يتولّد أوَّلًا بأوّل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع كونه

يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابية المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل فيه تنجز الأهداف المحدّدة والسياسات المرسومة، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضًا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[44].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر؛ ولهذا فعلينا به هدفا وتخطيطا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا، حتى وإن كان غير متوقّع؛ ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

[44] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

مبدأ

تدبّر الحاضر

الحاضر تدبّرا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطا وعملا حتى يعيشه وجودا كما يأمله، ولذا؛ فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ فالتدبّر دراية عقلية يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسة واقتصادا وعلما ومعرفة، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقا للفرضيات التي تأسّست عليها؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرا سلبيا.

ويتّسع التدبّر ارتقاء ليكون حضوره ملبّيا أو محتويا للأحداث الحاصلة، إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولا دائمة، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائيا، بل وقتيّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر مثالا حاصلا بالكيفية الآنية ما حصل في تشيلي لعمال المناجم بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السلطات التشيليّة إلّا بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن التدبّر، فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عمليَّة الإنقاذ، وهناك استعملت في عمليَّة الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليات إنقاذ العمال. فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ فالبداية تدبّرا كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثانية؛ فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطة وحذرا لم تكن واحدة بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرا عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

ويتّسع التدبّر ليكون حضوره ملبّيا أو محتويا للأحداث الحاصلة إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرر الحلّ نفسه، ولذا أنَّ كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائميَّة، لكنّها في وقتها قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلا ومنتميا لهذه الافتراضات.

ويسهم الحلّ الآني تدبّرا في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلّ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلّ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمرارية حقيقية تكون رافدة للعمليَّة المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عمليَّة نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلا ومؤثّرا.

وعليه تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها كي تشغل حيزا واضحا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة كونها

تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّرا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب.

وعليه:

. تدبّر الحاضر هو تدبّر إشباع حاجات وليس تدبّر زمن.

. حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.

. حُسن التدبّر يجوّد المنتج.

. حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من صناعة المستقبل.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إحداث النُّقلة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. تدبّر الحاضر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إيجاد الحلول.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. تدبّر الحاضر يمكّن من بلوغ الغايات.

. تدبّر الحاضر يحفّز على نيل المأمول.

إذن يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلّا حاضرا، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنية التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية، لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقا لما هو ممكن.

وهنا يباشر التدبّر وجوده من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلا بكيفية متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبّيا للواقع، ويكون الزّمن مفتوحا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملا.

والإنسان في حاضره يبحث عن سبل كثيرة يريد من خلالها الوصول إلى مبتغاه تدبّرا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلا وحدوده يمكن تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل وللتمثّل، إلّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبّيا للمراحل المرادة، فالانزواءات غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب، ذلك أنَّ التدبّر يمرّ

دائمًا بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو45.

وعليه فإنَّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلَّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقا. ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة هي:

. التواصل مع التاريخ.

. تقبّل الآخرين.

. التواصل مع الآخر.

. التواصل مع القدوة.

. التطلّع للمستقبل.

. العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النّافع.

. استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

. عدم التواصل مع التاريخ.

. عدم تقبّل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

[45] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

. عدم التطلّع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفطين ذاكرة العملاء.

. بين لهم نقاط الضّعف التي شوّهت ذاكرتهم وطمستها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكّنِهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

. اغرس فيهم حبّ الآخر.

. حفّزهم على التطلّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكّنهم من المشاركة التي تُيسِرَ لهم النقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذاكرة تُصنع بقوّة الإرادة وقوّة العزيمة التي تخلق شخصية قويّة متحدية للصّعاب؛ فالشخصية القوية هي التي لا تغفل عن معطيات الزّمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي، كي تصنع مستقبلا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرّة كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفطين الذّاكرة وصناعة المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيفاجؤون بغير المتوقّع، ولذا تُفطّن الذاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

. التواصل مع الفضائل الخيّرة.

. التواصل مع القيم الحميدة.

. التواصل مع المعلومة المستفزّة.

. التواصل مع المختلف.

. الالتفات إلى التاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات.

. التواصل مع أهل القدوة الحسنة.

. التطلّع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة.

. قبول التحدّي.

وعليه:

فحسن التدبر يمكّن من التواصل مع التاريخ ويصنع الذّاكرة، كما أنّه يُمكّن من التواصل مع المستقبل ويحقّق المأمول.

ومن هنا، يصبح التدبّر وحسن إدارته مُمكّن من إحداث النُّقلة، ومحقّق للرفعة المأمولة. ولذلك يجب على إخصائي التنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة والرّعاية النفسيَّة إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا يغفلوا عن القواعد المهنية التي تستوجب:

. تقبل العملاء كما هم.

. البدء معهم من حيث هم.

. الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

وهذه لن تتحقّق إلا بمراعاة الآتي:

. تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصّة والعامّة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

. استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

. تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميا وثقافيا وحضاريا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزمن اجتماعيا وإنسانيا.

وبما أنَّ ما يُقدّر اجتماعيا وإنسانيا، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّرا. إذن على الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وإخصائي التنمية البشرية الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسبانهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقا لأولوياتها وأهميتها بالنّسبة لكلّ منهم.

. أن يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النّسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيون أنّها تتعارض في البدائل القيميَّة المقدّرة اجتماعيا أو إنسانيا.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

بناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنية للتنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافيا ومعرفيا مع الأفراد والجماعات، لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعيَّة والإنسانية التي حادوا عنها بنسب متفاوته.

. العمل على تمكين العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعيَّة، دون أن يغضّوا النظر عن أهمية قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصّة) حتى لا يُحلّقوا في الهواء، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

إذن ينبغي على كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ أمّة أن يتدبّروا أمورهم وإلّا سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفِخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينّجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفِخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتّسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقّق النقلة.

. تفهّم وافهم لتتمكن من معرفة الأسباب.

وبما أنّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوة الممكّنة من بلوغه (الممكّنة من تحقيق النقلة).

إذن القوّة المجمّعة في الزّمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي، ولذا يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار تخطيطا بين متوقّع وغير متوقّع.

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمّع قواك لتتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذاكرة وما يمكن أن تستقرأه من الغير حتى تتمكّن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

. اتصل وتواصل وثق أنّ الخبرة لا تستمد إلّا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنافع حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على حساب قيم مجتمعك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس فالمنافسة الشريفة تصنع الرموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة للنجاح والتفوّق.

. استوعب، تذّكر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر، لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُّقلة بعد حُسن تدبّر[46].

[46] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 213 – 227.

مبدأ

الأغراض تتحقّق

الغرض ما في النفس من مقصد تجاه الآخر، أو تجاه الباعث، أو تجاه الغاية المأمولة، وهو المخفي وراء إنجاز الهدف، أي: وراء كلّ هدف غرض (قصد) لا يعرفه إلّا من حدّد الهدف لنفسه أو للآخرين.

ومع أنّ الغرض لا يُعلن عنه، ولا يطلب تحديده كما هو حال الهدف، ولكنّه بالنسبة إلى من يتعلّق الأمر به واضح وجلي، فالباحث العلمي لا يمكن أن يُقدِم على تناول موضوع بحثه إلّا بعد أن يحدد أهدافه البحثية بكلّ وضوح، وفي المقابل لا أحد يسأله عن غرضه (القصد) من وراء اختياره وتناوله لموضوع البحث أو مشكلته الدراسية؛ فهذا الأمر يخصّه وحده ولا دخل لغيره فيه.

فالغرض لا وجود له في ميادين المشاهدة والملاحظ، بل وجوده ضمني مخفي في نفس الباحث، ولكنّه مترتب على الهدف الذي كلّما أنجز استشعر الباحث بتحقق غرضه، فالغرض أثر تحقيقه معنويٌّ؛ أمّا الهدف فأثر إنجازه ماديٌّ.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نغوص في عقولنا تدبّرا حتى نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها، وبين تحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد تفكيرا قبل أن تصاغ أهدافا قابلة للإنجاز، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي ارتقاء أن يتمّ التفكير في أهداف أهم من التي أنجزت، ثم التفكير من بعدها في أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا؛ لا ينبغي لأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة التفكير في تحديد الأهداف مؤسّسة على التفكير في المنجز قبل أن ينجز، ثمّ التفكير في كيفية إنجازه، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي لهم أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن وراء الغايات مأمولٌ.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يفكّر في كيفية إنجازها ولا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية، وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا فالأهداف ارتقاء: ينبغي لها أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة؛ إذ لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين هم يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو: التفكير في كلّ شيء يدفع ويحفّز على الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنية، أو الإنسانية، أو يمسّ معتقدا دينيا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فلا يفكّر فيما يجب؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنّ للألم أوجاعا، وللتأزّم أوجاعا، ولكن أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب أخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنّ نار الحقد تحرق أوّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فإنَّ الحقد يُلهي الحاقد من بني آدم عن نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو في حاجة لمن يطفئ عنه النّار التي يحرق بها نفسه. ومن ثمّ، فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا؛ فإنّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُفلية المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب ترتقي علما ومعرفة وتسامحا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلاما، والسّماء بحثا وارتقاء.

فبنو آدم بلا أغراض قابلة للتحقق لا يعدون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل، فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا، هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس. ولذلك؛ فلا ينبغي لبني آدم أن يكون سماعيّون فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظا، وعليهم بالتدبّر تحليلا وتفسيرا وتخطيطا وسلوكا وعملا، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب؛ حتى يتمكّنوا من الارتقاء وفقا لما لهم من أغراض بناءة من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا؛ فهم يفكّرون والأمل لا يفارقهم بغاية العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه، ولأجل ذلك فمن آمن منهم يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، لهم أغراض فيها فيصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك، المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعا وتمدّدا.

وهنا، أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم، فقد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار الكون؛ ولذا، فَلِمَ لا تفكّرون بموضوعية، وتتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من

التفكير الممكّن من المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النّاس جميعا). فإن كنتم أهل موضوعية؛ فلا يليق أن تتجاهلوا كتابا يملؤه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية وراء آية؛ آملا أن تتهذب أغراضكم من أخذ المواقف منه بأحكام مسبقة، إلى الأخذ بالبحث فيه لما فيه من مقاصد تجعل لكم منه مقصدا يعود بكم إلى تلك المقاصد مصلحين.

ولهذا؛ فلا ارتقاء لبني آدم إلّا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيّرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلّا الانحدار على بلاطة الدّنيا.

ومن ثمّ؛ فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم غرض قابل لأن يتحقّق ومن بعده يتمّ بلوغ الغايات ونيل المأمول، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُلية والدُّنيا؛ فالعُلية هي السّماء، وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمّا الدُّنيا؛ فهي: الأرض، وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة، وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه تفكيرا بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير: (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحا أو تعمل طالحا، تُصدِّق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمّا التّسيير: فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا؛ فالارتقاء قمّة، هو: ما يمكّن بني آدم من تحقيق الأغراض والعيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يمكّنهم من تحقيق الغرض والعيش السّعيد في الحياة العلية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي له أن يعيش والأمل لا يفارقه، فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) إذ الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب تفكيرا واعيا كما تتطلب من بعده عملا مبدعا ومنتجا بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) والفوز بها نعيما مأمولا.

فيجب التفكير في كلّ شيء ولا شيء، ولا سقف ولا موانع توضع أمام الفكر الإنساني، ثمّ يجب من بعد ذلك الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود؛ ذلك لأنّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم. ولهذا، فلا ينبغي لبني آدم أن يرتضوا بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم، لما وجد الفقر مكانا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعا؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك؛ فالغنى رحمةٌ والفقر أزمةٌ ومواجع، ولأنّهما كذلك، وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب ولا يقصرون أغراضهم على ما يشبع حاجاتهم، بل ينبغي لهم أن يعيدوا صياغتها بما يشمل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاء.

فالغنى ارتقاء حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ؛ بل الفقر أوجدته أسباب وعلل ينبغي لها أن تزال، أمّا العجزة والقصّر فحقوق

عيشهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان ذووهم يعيشون اتكالا على الغير فالعيب لا شكّ أنّه سيلاحقهم ومن ورائهم سيلاحق من هم مسؤولون عن إدارة الدّولة.

إذن: فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة إذ لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسؤولياته، وفي المقابل يحدث الانحدار والنّزول سُفلية لمن يتخلّى عمّا يجب التمسّك به حقّا وواجبا ومسؤولية.

ولذلك، ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الرّاقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرّفيع الرّغد يجب أن يفكّروا فيما هو أرفع وأرغد منه، ومن هنا: تتغيَّر وتتطوّر وترشد أغراضهم نفسيا واقتصاديا واجتماعيا إلى ما يمكّن من ترسيخ كرامة الإنسان.

الغرض ارتقاء تجاوز دونية:

الدّونية منزلة سُفلية لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل ولا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرّفيعة وعيا وتدبّرا فعليه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاء إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شؤونه فليس له إلّا الانحدار، فآدم عليه السلام الذي خُلق في العليّة عندما أخفق في إدارة نفسه انحدر إلى سُفلية غير متوقعة، وهناك في دائرة غير المتوقّع واجهته المفاجأة بعد ما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا وهو بلا غرض إليها بعد أن كان في السّماء قمّة.

أي: إنّ الهبوط بآدم على الأرض هبوط ليس فيه غرض لآدم عليه السّلام؛ وذلك لأنّ الدنيا لم تكن هدفه، فلو كانت هدفه لكان له غرض من وراء الهبوط

عليها، لأنّ أدم أهبط به كرها، وليس رغبة، ومن هنا: يرتبط الغرض بالرّغبة والإرادة؛ فإن توافرتا كان لصاحبهما غرض أو مجموعة من الأغراض.

إذن: الأغراض كما ترتبط بالرّغبة والإرادة ترتبط بالتخيير، ومن ثمّ فلا علاقة لها بالتسيير، أي: لا علاقة لها بالإكراه.

ولهذا فآدم الذي خُلق في أحسن تقويم انحدر من القيم التي ينبغي له أن يكون عليها إرادة ومعصية؛ فكان في سُفلية ودونية أمام خالقه، {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[47]. ومع ذلك استغفر آدم ربّه فتاب عليه، ومن هنا، فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[48].

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، لكنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية، فغفر الله له، وتاب عليه بغرض الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هيّنًا؛ إذ لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنّ العمل ارتقاء يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه؛ فهم بين هذا وذاك بين ارتقاء فيه العمل يُتقن، ودُونية بها يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاء في مواجهة الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاء في مواجهة الظّلم انحدارا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيّة في مواجهة الاستعباد، والدّيمقراطية في مواجهة الدّكتاتورية،

---

[47] التين 5.

[48] التين 6.

والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب التحدّي بما يُمكّن من الارتقاء غرضا.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاء لا يكون إلّا وفق أهداف قابلة للإنجاز وأغراض قابلة للتحقّق وعملا منتجا ومتقنا ومبدعا ومرسّخا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والأغراض الفاسدة، لا تكون إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤولية ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا.

ولهذا؛ فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلما وإهمالا وتشدّدا وتطرّفا، ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم غرضا وأملا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف، وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثقافة الواحدة هم مختلفون في قدراتهم ومواهبهم واستعداداتهم وميولهم واتجاهاتهم؛ ولهذا؛ فهم مختلفون في أغراضهم، ومع ذلك؛ فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاء؛ فبنو آدم ارتقاء يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خلقا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم؛ فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئا مذكورا؛ فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقا، ولهذا؛ فهم يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا شئيا؛ فكانوا شيئا وفي أحسن تقويم، {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[49].

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدّونية؛ فهم مختلفون هدفا وغرضا وغاية، ولهذا؛ فهم بين معرفة وعلم يؤدّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وبين جهل يؤدّي بهم إلى الانحدار والدّونية.

ومع أنّ القاعدة المنطقية ترى: أنّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، ولكن الاستثناء يرى: كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة؛ إذ قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاء، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُفلية، وهذا الأمر يشير إلى أنّ زمن الصّراع سيطول بين من غرضه رتق الأرض بالسّموات، ومن غرضه مخالف لذلك.

[49] مريم 67.

ومن ثمّ، ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف متسولين.

تحقيق الأغراض رفعة ينمي الذّاكرة:

ولأنَّ تحقيق الأغراض (المقاصد) يشبع الرغبات المرضية للنفس؛ فهو بلا شكّ ينمّي الذاكرة بمزيدٍ من المخزون المرضي لها (للنفس) ومن ثمّ يحفّزها على اتباع المزيد من المقاصد الرفيعة، وفي المقابل تطوى الحيّزات السلبية التي كانت تتسع بالمقاصد المؤلمة.

فالذّاكرة محفظة ذهنية تستوعب ما يُخزّن فيها من معارف وعلوم وتجارب وأحداث، وتمكّن أصحابها من التزويد بما يتساءلون عنه وهي تحفظه، ولكن إن لم يكن قد حُفظ فيها فلا إمكانية للتزويد.

ولأنَّ الذاكرة هي مكمن الأسرار ومخزن المعارف والخبرات والتجارب الإنسانية؛ فهي قابلة لأن تُنشّط بمزيد من الانتباه والدّراية من خلال سلامة المقاصد وسلامة عمليات التذكّر والتدبّر والتفكّر؛ فينبغي للإنسان أنْ يفكّر عن انتباه إذا أراد أن لا تضمر ذاكرته، وعليه بتنشيط ملكات عقله من خلال المران الذّهني وإجراء عمليات المقارنة التي تمكّنه من التمييز بين الدّقيق والأدق منه، ومن ثمّ تمكّنه من التفكير المتوقّع وغير المتوقّع ارتقاء؛ فالعقول دائمًا في حاجة لأن تُمرّن حتى تمتلك القوّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتيسّر له مشاهدة الآخرين وملاحظتهم وردود أفعالهم تجاه الغير. وخير ما ينشط الذكرة الإقدام على الأعمال والأفعال التي من ورائها تتحقق الأغراض الإنسانية والأخلاقيَّة والفنية.

ومن ثمّ؛ فعلى الإنسان أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل الآخرين.

فالإنسان إذا أراد ارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الغير، حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح ويتحدّى عقله تفكيرا في نفسه حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة، ولهذا؛ فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

ولهذا؛ فتفطين الذّاكرة لا يكون إلّا نتاج الوعي بأهميتها للإنسان الذي له من المقاصد ما له، وله من ورائها آمال تحدث النُّقلة لكلّ مأمول نافع؛ فتفطين الذّاكرة ضرورة تستوجب حُسن التدبّر الذي يصنع المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، ويُمكّن من تحقيق الأغراض العظام التي تجعل من الإنسان قيمة مقدّرة؛ فينبغي له الارتقاء فكرا وعلما ومعرفة وخُلقا، وأسلوبا، وإلّا سيجد نفسه في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة؛ فهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويُشَدُّهم للخلف؛ ممّا يجعل الفارق كبيرا بين الجهد المبذول من أجل تحقيق الأغراض رفعة، والحاصل المنتج الذي تُنتجه القوى العاملة والمتطلّعة أملا وارتقاء.

ومع أنَّ الذاكرة حافظة، ولكنّها قابلة لأن توسّع معرفةً، وتُنشّط تذكّرا من خلال تمكّنها من معرفة الموروث المعرفي الواسع، وتنشّط تدبّرا من خلال حسن الغرض والالتفات لما يجب وقت وجوبه، وليس بعد أن يفلت ويصبح

ماضيا، كما أنّها تُنشّط بالتفكّر الذي يمّدها بالحيويّة المحفّزة على تحقيق الأغراض وبلوغ الغايات ونيل المأمولات.

ولأنَّ الإنسان يولد اجتماعيا إذ لا إمكانية للعيش منفردا، فهو في حاجة لمن يذكّره ويعلّمه كيف يتدبّر أمره وأمر من تربطه به علاقات، ومع أنّ هذه قاعدة، ولكن كما يقولون: لكلّ قاعدة استثناء؛ فآدم وزوجه لم يمرّا بهذه المرحلة، وذلك بأسباب الخَلق الآدمي المتكامل، إذ لا طفولة لهما ولا مراحل نمو قبل النضج، فهما قد خُلقا على النضج خلقا، وبالتّالي ليس لهما ما يتذكّران، ولكن بعد أن علّم الله آدم وأنبأه، أصبح لديه رصيد واسع من العلم والمعرفة؛ فيُمكنه أن يتذكّره، لِيُذكّر به الغير، {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ}50؛ فتلك الأسماء التي أصبحت في محفظة عقل آدم، وتمّ استدعاؤها، أنبأ بها الملائكة حجة؛ فسلّم الملائكة لآدم بعد إن كان الرأي اختلافا.

ولكن على المستوى البشري من بعد آدم؛ فالتّجارب الإنسانية متشابهة، ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلول علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم في الوصول إلى حلّ يحقق أغراضا مرضية للأنا والآخر، حتى وإن كان افتراضيا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها؛ فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وقد يكون الخوف حاضرا فيها؛ لكونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة؛ فالبحث عن اتفاق وحلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّز ويرشد بطريقة أو بأخرى إلى تجنّب ما يجب تجنّبه وأخذ ما يجب الأخذ به؛ فيكون الاستشعار في هذا التوجّه قائما على درجة عالية من

50 البقرة 33.

الحذر كي تكون الأغراض نهاية ملبّية للخوف المجنّب من الوقوع في السُّفليَّة ومؤدّيا إلى ارتقاء مأمول.

وعليه:

. الذّاكرة مكمن المقاصد.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط وعيا وانتباها.

. الذّاكرة قابلة لأن تمرّن بمزيد من المستفزّات العقلية والعلميّة.

. الذّاكرة تنشّط تذكّرا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تدبّرا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تفكّرا.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالتاريخ.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالفضائل الخيّرة.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالقيم.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالمبادئ الإنسانية والأخلاقيَّة.

. الذّاكرة تمكّن الأفراد من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

. الذّاكرة تنبّه بالمخيف والمقلق والمستفزّ.

. الذّاكرة لا شيء يضيع، ولكن قد يصعب الاستدعاء.

فالذاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يعد وقوفا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي؛ فالتاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل

مجموعة من التجارب الإنسانية سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجة ملحةً تكون حاضرة بشكلّ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيا للبداية الافتراضية التي كانت السبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذاكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانية تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدائم متحقِّقا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنية والمستقبلية حلولا مهمة، إلاّ أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة، فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذاكرة وعيا ويقظة.

ومع أنَّ في الذاكرة يدخل الماضي حقل التراث، ولكنّه لم يكن من باب الجمود كأيٍّ أيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح الموقظ لما يجب أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فالإنسان يمر بظروف تكاد تتشابه كثيرا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة ممّا يطرح في الذاكرة وجود أغراض مختلفة تجر إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرا حتى في القضية الواحدة؛ إذ تحكمه الكثير من الظروف التي تتنوّع فلا تقف عند حدٍ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلا

بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور في الذاكرة إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية فإنَّها ممثّلة لاتجاهات فكرية كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعية في الحلول؛ فالذّاكرة تحمَل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعية التي يمكن أن تطرح على أيٍّ صعيد، فلم يكن هناك حلٌّ واحدٌ لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التطابق.

وفي الذّاكرة يكتنف الماضي الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغه عليها من طروحات؛ ولهذا نجد يوما بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة؛ وذلك لاختلاف الأغراض وتباينها، لكن هذا يدلل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان، ولهذا وجب العمل على تفطين الذّاكرة من خلال تمرينها تدبّرا، وتنشيطها تذكّرا وتفكّرا مع تحديد المقاصد الأخلاقيَّة.

ومع أنَّ للذاكرة علاقة بالتّاريخ من حيث إنّها محفظة أحداثه وقضاياه، ولكن التّاريخ دائمًا يطرح مغايرات مهمّة تكون عند أعتابها نهايات قد تتكرّر، وهذا يُسيّر عجلة الزّمن نحو إيجاد تعالقات متشابهة تكون أكثرها منتمية لبداية سعت دائمًا إلى حلحلت ما يمكن حلحلته في سبيل الوقوف على حدود واضحة المعالم، وهنا يكون السير في هذا الرّواق منكفيا على تجارب حاضرة وملبّية في الوقت نفسه للأغراض والتساؤلات التي يمكن أن تُطرح، فتكون التبعات متحقّقة كونها تمثّل امتدادا مطلوبا، والتاريخ فيه من السّعة ما يجعل الكثير من المقولات شاخصة في كلّ زمان ومكان، فمقولة: (التاريخ يعيد نفسه) تتكرّر على كثير من الألسنة لكنّها كما نعتقد أنّها لا تمثّل تشكيلا عاما في هذا النسق الإنساني؛ ولذا

وجب تفطين الذاكرة بمقاصد إنسانية لكي لا يضيع التاريخ ولا يزوّر، ومع أنّ الذاكرة حاوية التاريخ وحافظته، لكنّها لم تكن جزء منه؛ ولهذا أحداث التاريخ تتكرر والذاكرة لا تتكرر؛ فالتكرار قد يحصل لكنَّه هل يحصل كما حصل في الماضي؟

هذا التساؤل يفضي بنا إلى أن نقول:

إنَّ التاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكن هذه الإعادة لا تكون بالتطابق التّام؛ لأنّ هذا الأمر يكون من الصّعوبة بمكان أن يتحقّق، ومع ذلك فالتّجارب الإنسانية متشابهة ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلول علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم بشكلّ أو بآخر في الوصول إلى حلّ.

وكلّ التشكيل الذي ذهبنا إليه يكون الخوف في الذّاكرة حاضرا فيه، كونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة، فالبحث عن حلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّزه ويرشده بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن حلّ يكون من بعده سقوط كلّ المخاوف القائمة وتبددها؛ ولذا يكون الاستشعار في هذا التوجّه قائما على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف الأوّل الذي كان محفّزا بدرجة جعل من آليات البحث عن حلّ خاضعة لهذا الخوف، وما سبقه من أحداث فيها من التشابه ما فيها، وفيها من الأغراض (المقاصد) ما فيها، وفيها من المتوقّع وما لم يكن متوقّعا، ونتيجة لما تحمله الذّاكرة من متناقضات تاريخية؛ فهي دائمًا في حاجة للتفطين والتنشيط حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ[51].

[51] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

الأغراض مولود الفكرة:

الأغراض لا يمكن أن تكون إلّا مولود الفكرة؛ التي هي الأخرى لا تكون إلّا من مولود عقلي؛ ولهذا فهي الدافعة إلى البحث والتدبّر من خلال أهداف تحدد وأغراض تتحقق، فالفكرة استقراء مسبق لما يمكن أن يحدث أو يتحقّق، ينتجها العقل، ويتمكّن من استخراجها من الكمون إلى الظّهور الممكّن من الاستقراء والتحليل والنقد والتطوير أو التحسين.

فالفكرة لا تكون إلّا من إعمال العقل، الذي بإمكانه أن يستمدّ الشيء المجرّد من الشّيء المشاهد أو الملاحظ، كما هو استمداد القوانين من المعطيات الكونية والطّبيعية، ولأنّها مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه وَلَّدَتْ منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين الغرض وتحقيقه.

ومع أنّ الفكرة تخلّص من الحيرة، ولكنّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدها فالحيرة بالنّسبة إلى الفكرة تعد مخاض ولادة، وولادة الفكرة بدون حيرة تسبقها: هي ولادة قسرية؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتلد مشوّهة، وبالتّالي ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف لتحقيق الأغراض ارتقاء.

ومع أنّ هذا الأمر يعد سالبا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاء، ولكنّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنّ زمن الحيرة الفكرية مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، ولكنّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث

العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة المقاصد المحفّزةِ على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من تحقيق أغراض أكثر نفعا.

ولا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يقتنص له حلّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشّيء استحالة أو إعجازا أو ممكنًا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلّا يمكّنه من تغيير أغراضه أو إضافة الجديد إليها.

ولا يعني ذلك أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها غرضا وحلّا، وهذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غرض الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ فلا إمكانية لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة.

ولسائل أن يسأل:

هل الفكرة والحيرة ولدتا مع مولد آدم، أم أنّهما اللاحقتان عليه؟

بالنّسبة إلى آدم لم يكن مولودا، بل مخلوقا خلقا مباشرا بلا أب ولا أم، وكلّ ما وُجِدَ معه فهو المخلوق معه خلقا، ولكن بنوه كلّ شيء فيهم خُلق سلالة من نطفة؛ فآدم خُلق في أحسن تقويم، وهذا يدلّ على أنّه معد للحياة لحظة خَلقه، أمّا بنوه من بعده؛ فحالهم حال الولادة والنّمو والتعلّم والتعليم، أي: إنَّ حالهم حال من لا يستطيع أن يفكّر لحظة الولادة، ومع ذلك في دائرة الممكن ينجز أهدافه تعلّما وتعليما.

فآدم كانت علاقته بالخالق والمخلوقات من حوله علاقة فطرة مباشرة، ولكن المحيّر بالنّسبة إلى آدم هو حياته في كونين مختلفين على التّمام، كون الارتقاء (الجنّة) وكون الدّنيا (الأرض)، فهو بعد أن كسب الجولة خَلقا، خسرها خُلقا،

وذلك بعد أن أهبط به بسبب المعصية التي ارتكبها، ومن هنا، بدأ يفكّر كيف يمكنه الارتقاء ثانية من الحياة الدّنيا إلى تلك الحياة العليا؟ وفي ذلك اليوم وُلدت الحيرة، أي: وُلدت الحيرة إنذارا بولادة الفكرة فكان الاستغفار والتوبة نتيجة الفكرة التي أخرجت آدم من حيرته إلى ما يُمكّنه من بلوغ الارتقاء إلى تلك الجنّة التي أهبط منها. وهي الحيرة ذاتها التي ألمت بابنه في لحظة قتله أخاه، ولكنّه وقف قاصرا عن المعرفة؛ إذ لا فكرة له عمّا جرى بيديه؛ فبعث الله غرابا ليريه سلوكا وعملا يمكّنه من المعرفة بلا فكرة من عنده.

ولهذا؛ فالفكرة ينتجها العقل، وتأخذها العقول، وتوظفها فيما يمكن أن يوظّف ويفيد وفقا للأغراض المتباينة.

وعليه:

لقد استلهم آدم الفكرة من أمورٍ منها:

الأمر الأوّل: من طبيعة الفطرة التي خُلق عليها واصطبغ بها وجوده في أحسن تقويم، ولكن لأنّه خُلق على التسيير والتخيير؛ فكان للتسيير الطبيعة الخَلقية، وكان للتخيير فسحة الإرادة التي مكّنت آدم من الأكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل منها، فخالف أمر النّهي معصية؛ بأسباب قصور معرفته أمام كمال الخالق وإحاطته؛ ذلك لأنّ آدم وبنيه لا يعلمون إلّا ما يُعلّم، ومن هنا: كان الإنباء لآدم مصدر المعرفة ومكمن الفكرة ارتقاء.

فالفطرة التي فُطرت المخلوقات عليها هي التي جعلت لكلّ زوجين خصوصيَّة، دفعتهما تجاه بعضهما، وهي ذاتها التي حالت بينهما وبين الأزواج الأخرى إلّا بما يفيد، فكانت حياة الفطرة ميسّرة لكلّ الأنواع تيسير جاذبية نوعيّة، وغريزية، ومع ذلك ظلّ الإنسان مهيأ لما هو أعظم فكان عقله مقلّدا لما يراه في دائرة الممكن تخييرا.

الأمر الثاني التقليد: وهو الذي لا يكون إلّا عن عقلٍ، ولكن القصور على التقليد لا يمكّن من توليد الفكرة؛ ذلك لأنّه لم يمرّ بزمن الحيرة الممكّن من التعمّق في التفكير حتى كشف اللثام عن الحقيقة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فآدم تقليدا: قلّد إبليس؛ فأكل من المنهي عنه، وكذلك ابنه قلّد الغراب فعرف كيف يواري سوءة أخيه، وهكذا، هي الحياة تطوّرا من الخَلق، إلى الفطرة، إلى التقليد، إلى توليد الفكرة، التي توليدها لا ينقطع فكرة من بعد فكرة وغرضا من بعد غرض. ولكن يظل التقليد قاصرا، والفكرة في حيّز العقل مهما عظمت؛ فهي لا تخرج عن دائرة الممكن؛ ولهذا بعث الله الأنبياء والرّسل بالنبأ العظيم مبشّرين ومحرّضين ومنذرين وداعين للتفكير ارتقاء.

الأمر الثالث: النبأ العظيم: مع أنّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم، ولكنّه لم يُخلق على الكمال، ولهذا؛ فتفكيره لا يمكن أن يخرج عن حيّز دائرة الممكن؛ فكان الإنباء بما يجب من الخالق إلى المخلوق يمكّن المخلوق من الوقوف على المعجِز، ومعرفة المستحيل مستحيلا؛ فأنزلت الأحكام المنظمّة للعلاقات بأسباب تنوّع الأغراض في دوائر الاختلاف والخلاف.

ومن ثمّ؛ تعد الفكرة هي الأمر الرّابع الممكّن من المعرفة والبحث في دائرة الممكن، وهذا لا يعني: أنّ الإنسان قبل ذلك لا يمتلك الفكرة، بل قبل ذلك كانت حياة الفطرة هي السّائدة، ثمّ حياة التقليد، ثمّ من بعدها حياة الإنباء الذي جاء تنزيلا على الأنبياء والرُّسُل عليهم السّلام، بهدف تقييم الأخطاء، وتقويم السّلوك والعمل الذي ولّد الفكرة، وولّد منها أغراضا متعددة ومتنوّعة.

فالفكرة إنتاج العقل وإعماله، وهي بالنّسبة إلى من تولّدت في عقله مثل البذرة، أو النّواة التي يراها المفكّر مخزّنة في محفظة ذاكرته وكأنّها الشّجرة متكاملة، جذورا وجذعا وأغصانا وأوراقا وثمارا؛ فهو يراها على هيئة الصّورة قبل أن تتجسّد

في الشّكل والصّورة. ومن هنا، تكون الأغراض مولود الفكرة محفّزة على الإبداع الذي يُسهم في إضافة الجديد النّافع ارتقاء.

والفكرة في ذاتها مجرّدة؛ إذ لا هيئة لها إلّا في ذهن المفكّر الذي نضجت في عقله مثلما تنضج النّواة من تربتها شجرة متكاملة، ولذا؛ فالهيئة تكون للصّورة التي أساسها فكرة، ومن ثمّ؛ فالفكرة ترتبط بالمشاهد والملاحظ مثلما ترتبط بالمجرّد، والفكرة متى ما تكون نتاج تذكّرٍ، يكون التفكّر هو المهيأ لاصطيادها، أمّا التدبّر؛ فلا يكون إلّا نتاجها سلوكا وعملا.

والفكرة وإن كانت مجرّدة في الذّهن، لكنّها على أرض الواقع تتجسّد في المشاهد والملاحظ، سواء أكانت معرفة قيم وفضائل ونظم وقوانين، أم أنّها معرفة ملموسة مادّيّا، ومن هنا، كانت هيئة الخلق سابقة على صورته مخلوقا، وهيئة المصنوع سابقة على وجوده مصنوعا.

وكما أنّ الحيرة يقظة عقلية تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعد معطية مثيرة للعقل ومستفّزة لملكاته، التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى ما اعترض طريقها، ومن هنا: بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يقدِّم التنازل من بعد التنازل بما يشيع الرغبة والمقصد رفعة.

ولسائل أن يسأل:

أين تكمن صعوبة تحقيق الغرض؟

أقول:

صعوبته أنّه لا يتحقّق مباشرة، فهو دائمًا متكئٌ على إنجاز الهدف، فإذا لم تنجز الأهداف عملا أوّلًا بأوّل لا يمكن أنْ تتحقّق الأغراض؛ لأنَّ الأغراض مجموعة المطالب المرغوبة والمأمولة، وهذه في ذاتها لا تزيد عن كونها مفاهيم

تستوجب ميادين لتتحقق فيها عبر الأهداف المرسومة التي في مضمونها تحمل تحقيق الأغراض.

وعليه: فالهدف يشار إليه أنّه هناك بعيد، أمّا الغرض فيتواجد هنا في العقل فكرة وفي النفس مطلبا مرغوبا؛ ولذلك العقل في حيويّة إنتاج الفكرة كلّما كانت المقاصد (الأغراض) متحدّية لواقعٍ لا يرضي النفس، فتجود الذاكرة على النفس بما يخرجها من الصعاب، وهنا فالصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز، حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب هي فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا خوف من مواجهة الصّعب، بل الخوف أن لا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقلية معه كلّما حدثت عن تدبّر بفكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاء، وبخاصة عندما تكون الأغراض غايتها الارتقاء، ولذا، ستظل الفكرة عقلية إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والذي يتجسّد في العمل والسّلوك.

ومع أنّ العقل مكمن الفكرة، ولكنّه أيضًا منبع الأغراض، ومع أنّهما معا من إعمال العقل وفي محفظته، ولكن الأغراض تتعلّق بالأهداف الخارجية، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤولية، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك وراء كلّ غرض فكرة ووراء كلّ فكرة شيء جديد.

ولهذا؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق على الزّوجية، عاش حياة الفطرة جنّة إلى أن عصى ربّه؛ فأهبط به والأرض أرضا، فظلَّ من بعد الهبوط لا مقصد له إلّا العودة إلى تلك الجنّة، وظلّ بنوه من بعده، يسعون ويعملون كلّ ما من شأنه أن يرتقي بهم إلى المأمول غاية؛ فتولّد التفكير في عقولهم، فكرة من بعدها فكرة؛ فأنتجوا الثّقافات، وبنوا الحضارات، ومع ذلك فهم يعلمون أنّهم كلّما أنتجوا فكرة

واجهتهم صعاب تستوجب المزيد من إنتاج الفكرة؛ ولذلك فهم قبلوا التحدّي، والصّعاب كلّ يوم تُهزم صعوبة من بعد صعوبة ولا يأس والأغراض تتحقّق.

ومع أنّ الفكرة مولود العقل، ولكن مستفزّتها خارجية، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}52؛ ولذلك؛ فالفكرة لا تستمدّ من العالم الخارجي كما كان يراها أرسطو، بل العالم الخارجي هو مصدر استفزازها، فيخرجها من الكمون إلى حيّز الوجود وكأنّها تُبعث من العدم.

فالفكرة في ذاتها هي مجرّدة، ولكن في مفهومها ومضمونها تحمل رسالة، أو مشروعا، أو رؤية، أو حلّا يمكّن من تحقيق الأغراض وفكّ التأزّمات وكسر القيود، والإقدام على ما يمكّن من الارتقاء؛ فالفكرة لم تكن خاطرة عابرة تأتي هكذا وتذهب وكأنّها لم تأت، بل الفكرة كما تستمدّ من السّابق، فهي تضيف الجديد، ثمّ تفتح آفاق الارتقاء مع المستقبل المأمول.

فالفكرة تمكّن من استخراج المجهول من المعلوم، أي: تستكشف المعلوم وتخرج المجهول منه؛ فيصبح معلوما، وليس مخلوقا، فالفكرة تستنبط وتستمدّ من المخلوق شيئا لا ينقص من المخلوق شيئا، وفي المقابل تزداد المعارف أشياء مستكشفة.

والفكرة لم تولد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف، فيبدأ العقل إعماله تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى يبلغه، وحينها لا تجد الحيرة مكانا لها عند المستكشف معرفة، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، بل تبقى مع بقاء اللبس والغموض، وفي المقابل تزول بزوالهما.

---

[52] الغاشية 17 . 21.

والفكرة تعد صوغا عقليّا لمولودٍ لم يولد بعد؛ وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئا غيرها، ولكنّه المؤسّس عليها؛ فلو لم تكن ما كان، ولهذا فالفكرة هي استنباط الشيء من الشيء، بعد تهيّئه على الشّكل أو الصّورة أو الرّسالة أو الموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام، إذ لا تفصيل؛ فالتفصيل لا يكون إلّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة فيه بداية ونهاية، والفكرة هي الفكرة، والموضوع ارتقاء لا يكون إلّا المفسّر للفكرة إيضاحًا.

فبعد أن تطوّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافا، وليس خَلقا، ذلك لأنّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقات، ثمّ يكتشف منها أسرارا كانت مجهولة فيكتشفها بحثا، وتأملا، واستنباطا، واستقراء، ثمّ يوظّفها وفقا لأغراضه بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة، ومع ذلك لم يكن التفكير كلّه مؤسّسا على استنباط الفكرة ارتقاء، بل هناك من الفكرة ما يؤدّي إلى السُفلية والانحدار، وهذا الأمر يتعلّق بالرغبات والأغراض التي من ورائها.

ومع أنّ الفكرة تولد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجية، ولكنّها بعد أن تولد منه إنتاجا، تصبح وفقا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى عقلٍ مع وافر التأثير، سواء أكان تأثيرا موجبا، أم سالبا كلّ حسب الأغراض، وعندما تكون الفكرة بنائية، تدفع المتلقّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة؛ فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونية. ومع ذلك فالعيب لا يلاحق الفكرة، بل العيب يلاحق الأغراض التي كانت ورائها، وهنا تكمن العلّة، أي: تكمن العلّة في أصحاب الفكرة الهدّامة سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها وفق أغراض سلبية.

ومع أنّ الفكرة في دائرة الممكن (بنائية أو هدمية)، ولكنّها بين هذا وذاك، يمكن أن تكون (إصلاحيّة)، وهذا يعني: أنّ الفكرة البنّاءة تصحّح أخطاء الفكرة

الهدَّامة متى ما كان الحوار والجدل بين النّاس موضعيّا، ولا إمكانية أن تكون الغلبة للفكرة الهدّامة كلّما ساد الحوار والجدل منطقا (حُجّة بحجّة)، ولذلك؛ فالمعلومة الصّائبة تصحّح المعلومة الخاطئة كلّما طرأت؛ ذلك لأنَّ أثر الفكرة اليائسة يصحّح أو يعالج بالفكرة المملؤة أملا، فالفكرة الأمل تحفّز على البقاء المرضي، وتدفع تجاه المستقبل الأكثر إرضاء.

ومع أنَّ الفكرة تدفع تجاه المستقبل الأكثر إرضاء؛ لكنّها لا تدفع إلّا لغرضٍ، ومن هنا، جاءت مقولة: وراء كلّ هدفٍ غرضٌ. أي: إنّ الغرض سابق على الهدف (لو لم يكن الغرض ما كان للهدف وجودٌ.

والفكرة كونها مجرّدة؛ فلا علاقة لها بالاقتناع من عدمه؛ فالاقتناع من عدمه مسؤولية من ينتج الفكرة، أو يتبنّاها، أو يأخذ بها من صاحبها أو متبنيها؛ فالعقل السّليم في معظم الأحيان يأخذ بأحسن الفكرة، والعقل العليل في معظم الأحيان يأخذ بأسوئها، ومع ذلك فللفكرة الحسنة مسوّقون، وللفكرة السّيئة مسوّقون، ومتى كان المسوّق على مقدرة إقناعية راجت فكرته حتى وإن كانت هدمية، وإن لم يكن له مقدرة إقناعية انكمشت فكرته وإن كانت بنائية، وهذه العلاقة هي بالتّمام علاقة بين من يسعى إلى الارتقاء، ومن يسعى للدّونية والسُفلية، أي: فمن أراد ارتقاء فعليه أن يأخذ بفكرة الغرض ارتقاء، أمّا من أراد سُفلية فأفكارها في الأسواق الهدّامة كثيرة.

ولذلك؛ تعد الفكرة ارتقاء مصدرا للرّؤية البنائية، سواء أكانت رؤية فكريّة (تتعلّق بالنّظم والقوانين ورسم السياسات، وما يؤدّي إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ) أم أنّها كانت عمليَّة، (تتعلّق بالاقتصاد والتجربة والبناء والإعمار)؛ فالفكرة سواء أكانت نظرية أم عمليَّة، تخلق جدلا بين مُنظِّر، ومسوّق، ومؤيّد، ومعارض، وتابعين مختلفين.

وعليه:

فالفكرة حرّة، لا تُسجن وإن سُجن أصحابها ومسوّقوها، إنّها مولود العقل الذي فكّر في إيجاد كيفية تسمح له بالتمدّد داخل حدوده أو خارجها على حساب الغير، ثمّ من بعدها فكّر فيما يخالفها غرضا؛ فأوجد كيفية تكبح السّلوك وتقيّده متى ما تمدّد على حساب الغير. ذلك لأنَّ الفكرة من طبيعتها التمدّد بين العقول، كما تمدّدت ارتقاء من النّظر إلى الخَلق، إلى البحث عمّا يُمكّن من معرفة الكيفيّة التي هو عليها، وذلك بغاية البحث ارتقاء عمّا يمكّن من معرفة المشاهد (هو كما هو)، ويمكّن من معرفة المعجز (آية بعد آية)، ثمّ يمكّن من بلوغ معرفة المستحيل مستحيلا، وهكذا هي الفكرة تتمدّد بين أيدينا غرضا وارتقاء.

فنحن بني آدم عرفنا أنّ الشّيء في أساس خلقه قد خُلق من غير موجود، وعرفنا أنّ بلوغ المستحيل مستحيل، وعرفنا نشوء الشيء من الشيء معجزة، وعرفنا أنّنا نعرف ما عرفنا ارتقاء، ثمّ عرفنا أنّنا في حاجة لمعرفة المزيد والأمل لا يفارقنا.

ومن ثمّ؛ فالفكرة لا تخلق الشّيء، ولكنّها تستكشفه، ولا علاقة لها بالخَلق؛ فالخَلق لم يكن من الفكرة، ولا من المفكّر. الخَلق من العليم، وبالأمر كن، ومن هنا؛ فالخالق لا يفكّر، بل الخالق يعلم كلّ شيء؛ وفي المقابل الذي يفكّر هو الذي لا يعلم؛ ولهذا يفكّر ويبحث بغرض وغاية أن يعلم.

والفكرة كمفردة تتشعّب فكرا، فتتمدّد في شؤون الموضوع الذي يحملها في ثناياه فروعا؛ فهي مثل النّواة التي تغرس في التّربة والمناخ المناسبين لها؛ فتنمو شجرة ضاربة في الأرض وجذعها إلى السّماء فروعا متفرّعة، أي: تتفرّع الفكرة الواحدة فكر متعددة التفاصيل حتى يكتمل الموضوع رسالة أو رؤية. بمعنى: تتعدد الفِكَر المتفرّعة من الفكرة بما يمكّن من استيعاب الموضوع فِكَرا مفصّلة.

وتعد الفكرة قاعدة التنظير، فلسفة وسياسة واقتصادا واجتماعا، أمّا الدّين فلا تنظير فيه؛ فهو لا يكون إلّا من خالق؛ ذلك لأنّ الدّين لم يبن على الفكرة،

مع أنّ الفِكَر الثّمينة لا تستمدّ إلّا منه، أي: كلّ شيء يؤسّس على الفِكَر، لا يكون إلّا من مفكّر، والدّين ليس كذلك، ولهذا؛ فلا فكر ديني كما يعتقد البعض، بل الدّين لا يكون إلّا علم من عليم، ولهذا؛ فهو لا يستند على الفكرة، بل يستند على المعجزة، التي تتنزّل نباء ورسالة تنسب لخالق، ولا تنسب لمفكر.

وتعد الفِكَر من إنتاج العقل؛ ويعد الفِكْر من إعماله، ولأنّ الفِكَر هي مجموع الفكرة؛ فهي على الكثرة التي في حاجة لأن تصنّف بين ما يؤدّي إلى تحقيق الأغراض ارتقاء، وما يؤدّي إلى الانحدار؛ ذلك لأنَّ الإنسان سواء أكان هو مصدر الفكرة، أم متلقيها؛ فهو المخيّر قبولا، أو رفضا، أو حيادا.

ولأنّ الإنسان مخيّر، فيما هو ليس بمستحيلٍ؛ فهو يفكّر كما يشاء، دون أن يتجاوز الحقائق والشّواهد الدّالة على الوجود، سواء أكان وجودٌ مستحيلا، أم معجزا أم ممكنا؛ فالإنسان لا ينبغي له أن يغفل عمّا يمكّنه من تطوير فِكْره، بغاية تنشيط إعمال فكره ليكون عقله متهيأ ومتأهبا للاستنباط من المجرد والمعجز، والاستقراء من المشاهد والملاحظ، وهذه من صفات العقل المتدبّر أمره. كما أنّه لا ينبغي له أن يغفل عمّا يمكّنه من تطوير فِكَره (مجموع الفكرة) أي: لا ينبغي أن يتوقّف عند حدود إنتاج الفكرة، بل ينبغي له أن يتجاوز ذلك إلى ما يمكّنه من تطوير الفكرة بالفكرة حتى يبلغ تطوير ما بلغه من فِكَر. ولهذا؛ فالفِكْر، هو: إعمال العقل، أما الفِكَر: فهي إنتاج العقل، وهما يقودان المفكرين إلى ما يحقق غر رفيعا من ورائه أغراض عظيمة.

مبدأ

الغايات تُبلغ

الغاية نتاج الفكرة بعد استقراء واقع، وهي لا تكون إلا مترتّبة على تحقيق غرض مترتّب على إنجاز هدف، أي: لو لم يرسم الإنسان أهدافا له، ويقدم على إنجازها، فلا يُمكن أن تتحقق له أغراضا، وهذا يعني: لو لم تكن للإنسان أغراض معينة وراء الأهداف (سابقة عليها)، ما كانت له أهداف واضحة محدّدة، وفي الوقت ذاته لو لم تكن له غايات بعيدة المنال، ما كنت له أغراض قابلة للتحقّق.

إذن: الغايات بعيدة المنال مولود الفكرة أوَّلًا، ثمّ الأغراض القابلة للتحقق ثانيا، ثمّ الأهداف القابلة للإنجاز ثالثا، هكذا الفكرة تولد الفكرة، أمّا من حيث التطبيق فالأهداف أوَّلًا، ثم الأغراض تتحقق، ومن بعدها الغايات تُبلغ.

ومع أنَّ الغايات بعيدة المنال تبلغ، لكنّها لم تكن النهاية كما يظن البعض، بل من وراء الغايات البعيدة مأمولات لا بدَّ أن يتمّ نيلها. وهكذا مبادئ تحدّي الصّعاب تترتّب وتختلف من حيث المفهوم والدلالة والمعنى. ولتبيان ذلك، أقول:

الغرض تدفعه الفكرة رغبة ومطلبا تجاه ما يحقّق الارتقاء، أمّا الغاية فتدفعها الفكرة بما يحقّق المكانة والمنزلة، أي: إنَّ في الغاية الطموح يتمدّد إلى نيل المكانة رفعة.

وعليه، فالغاية هي: ذلك الشيء البعيد الممكّن من بلوغ المأمول، ولكن بلوغ المأمول لا يعني نيله، فعلى سبيل المثال: عندما يكون هدفك الحصول على المؤهل العلمي للدكتوراه، فلا بدَّ لك من التعليم حتى تتخرّج، وحينها يصبح هدفك قد أنجز، والسؤال: لماذا أنجزت هذا الهدف عزيمة وإصرارا؟ فالإجابة عنه تُظهر الغرض الذي لا يعرفه إلّا من أنجز هدفه بالحصول على الدكتوراه جدارة،

أي: أنَّ الغرض لا يكون إلّا مختبئا خلف الهدف المنجز، وليكن افتراضا: أنّه بغرض الحصول على فرصة عمل ذات دخلٍ لائق جدّا. هذه الإجابة المفترضة تتطلّب طرح سؤال آخر: وما الغاية التي وراء حصولك على فرصة عمل مُجدية الدخل ارتقاء؟ الإجابة هي الأخرى لا يعرفها إلّا الذي أنجز هدفه وأوضح غرضه، ولتكن افتراضا: الترقي في دواليب الدولة حتى بلوغ المستويات القيميَّة الممكّنة من بلوغ المكانة، أي: إنّه أصبح على أعتاب نيل المكانة، ولكن لم ينالها بعد (إنّها مرحلة الانتظار أقدمية أو زمنا). ومن ثمّ يولد سؤال آخر: وما هو المأمول؟

أقول نيل المكانة وليس بلوغها والتوقّف دونها كما هو حال الغاية التي تمكّن أصحابها من بلوغها دون أن تمكّنهم من نيلها، ولهذا فنيل المأمول مبدأ من مبادئ تحدّي الصّعاب سيتم تناوله والبحث في مفهومه وتمييزه عمّا سبقه من مبادئ متحدية للصعاب.

والغاية مع أنّها تُبلغ لكنّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفا مشاهدا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضمير، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلًا بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة

القبول، أمّأ أغراض الباحث وغاياته فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرّا وجهرا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق؛ فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن؛ فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}53.

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}54، وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون بالرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، لكنّهم يتّفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم

---

53 الذاريات 47.

54 الأنبياء 104.

يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه، أو الفوز به شيئا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول؛ ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول أو كيف ينال شيء منه، أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله، وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقا للجهد الموضوعي. ولهذا؛ فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تُبلغ، ومن

بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصّعاب وصبرا لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تُبلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرا.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، ولكن الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ؛ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئا، بل الغاية بلوغ الشّيء ليكون من بعد بلوغه عملا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته؛ فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبول تحدّي الصّعاب.

. صبرٌ لا إحباط من بعده.

. ثقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود وإن كانت الصّعاب تصاحبه مؤقّتا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

. عمل مؤسّس على التفهّم والتبيّن إذ لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا؛ فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا أنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفِقَ غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك: ينبغي للإنسان أن تكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي للغايات التي بُلغت أن يكون وراءها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النفسيَّة والذهنية والعاطفية بقوّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع. والإنسان بلا غايات هو إنسان بلا آمال، ومن ثمّ؛ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة.

وعليه:

فالغاية: هي ذلك الشيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنَّها تُبلغ لكنّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفا مشاهدا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد، وهنا يتماثل مفهومها مع مفهوم الأمل الذي هو الآخر يدرك ولا يشاهد.

ولهذا؛ فالغايات والآمال لا تكون كالأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل وضمير الضامر والآمل، الذي وحده يعرف ماذا يريد غاية؟ وماذا يريد أملا؟

ولذلك يتضح التمييز بين الغرض والغاية والأمل؛ فالغرض اشتهاء متأرجح بين الإقدام والاستمرار والتوقّف أو الانسحاب ممّا يجعل الغارِض غير قادرٍ على الصّمود.

والغاية حيّويّة ذهنية أو قلبية تحفّز على العمل وتمكّن من بلوغ المأمول ولكنّها لا تمكّن من نيله.

أمّا الأمل: فهو الحيويّة المثلى التي تمتلئ رغبة وحرصا على نيل المأمول تماما.

كلّ الذي سبق ذكره لا يخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا الخارج عن الدّائرة فسرّه علم غيب، لا يعلمه إلّا العليم المطلق الذي يعلم ما في الدّائرة وما في خارجها؛ ولهذا فالإنسان لا يمكنه معرفة سرّ التمدّد الكوني المتجاوزة لدائرة الممكن، ولكنّه يعلم أنّه يتمدّد: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[55].

[55] الذاريات 47.

وعليه: فالهدف والغرض والغاية والأمل لا مكان لها إلّا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا خارج الدائرة فهي أسرار لا يعلمها إلّا الله تعالى.

ولذا يفهم من الآية السابقة: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأراضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}[56] وهو الخلّاق الذي خلقه لن يتوقّف، بل يزداد سرعة واتساعا.

ومن ثمّ؛ فالغاية قابلة للتجاوز، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، ولأنّ الغاية تُمكّن من بلوغ المأمول، فهي لم تكن المأمولة، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟، أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ هنا يصبح الأمر حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

وعليه:

. الغاية تبلغ، والأمل يتمّ نيله مأمولا.

. الغايات يسبقها غرض وهي تسبق الأمل.

. الغاية مع أنَّها في النفس وتحت سيطرة العقل، ولكن الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه؛ ليصبح إجابة مشبعة لأملٍ سابق.

. بلوغ الغاية يُمكّن من فتح الطريق أمام الآمل وأمله في نيل المأمول.

---

[56] لأنبياء 104.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئا، بل الغاية بلوغ الشّيء ليكون من بعد بلوغه عملا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا وفقا لأملٍ سابقٍ؛ ولهذا فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها، فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

إذن: بلوغ الغايات ونيل المأمول يستوجب:

. وضوح الغاية والأمل.

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبول تحدّي الصّعاب.

. صبر لا إحباط من بعده.

. ثقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود وإن كانت الصّعاب تصاحبه مؤقّتا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها والآمال المأمول نيلها.

ولذا: فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لغايات يتمّ بلوغها، وآمال يتم نيلها.

الغاية كشف المجهول:

المجهول معرفة هو الذي لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه بالرّغم من وجوده، أي: كلّ ما تمّ التعرف عليه، كان مجهولا؛ ولهذا فلو لم يكن المجهول موجودا ما كانت الإمكانية متاحة لمعرفته.

ومن هنا: ليس كلّ موجود (مخلوق)، هو مكتشف، أي: إنّ الإنسان لا يخلق؛ فالخَلق من صُنع الخالق تعالى، ولأنّ الخالق هو الخلّاق، إذن: خلق الله كلّ شيء وهو يخلق ما يشاء في كلّ برهة من الزّمن تسليما، ولكن ليس كلّ ما خُلق ويُخلق هو ميسّر للمشاهدة والملاحظة بالرّغم من وجوده، ولذا وجب البحث حتى يتمّ التمكّن من معرفة المجهول الذي يستوجب تصديقا بأنّ وراء كلّ مخلوق خالق.

ومن ثمّ؛ فالمجهول هو ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه؛ ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة؛ فينبغي للبحّاث إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية، لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وأن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

ولذلك؛ وجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعية تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان من معرفته وإدراكه.

ولذلك؛ فالتّطلُّع يُمكّن الإنسان من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة؛ فلا ينبغي لنا أن نضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم. بل ينبغي لنا أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي لنا أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا، ولذا؛ فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ؛ فوجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب، ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة إذ كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّعٍ.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذوقي: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[57].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا فهما بيد الإنسان مطلبا ورغبة واختيارا؛ ولذلك ينبغي لبني أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكِّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

[57] الكهف 88.

. التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانا بأنّه لم يؤت من العلم إلّا قليلا.

. البحث عن المجهول يفتح آفاقا واسعة أمام المعارف الإنسانية وينمّي الذاكرة ويحفّزها على المزيد.

. الانطلاق من المعلوم بحثا علميا يمكّن البحّاث من إضافة ما كان مجهولا بالنّسبة إليهم.

. التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

. التعرّف على المجهول ممكنٌ؛ فاسع حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

. البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدا، فابحث حتى تكتشف المجهول.

. التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغة.

. الشّطحات العلمية تؤدّي إلى الاكتشاف العلمي فلا تُقولب عقلك وفكّرك ولا تقبل بوضع إشارة قف أمامك في أثناء قيامك بالبحث العلمي.

. فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلوما.

. ثق أنّ وراء كلّ مجهول كمّ كبير من المجهولات؛ فلا تقنط.

الغاية تطلّع شخصيّة:

هو المستوى القيمي الذي يجعل الشّخصية في حالة ميل من المستوى الذاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصادية علاقات مجتمعية لأجل خدمة الجميع دون تمييز أو تحيز، ولأنّها تعتمد على التحليل المنطقي فإنّ

الاكتشاف العلمي سيكون من مميزاتها الموضوعيَّة والإبداعية؛ ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج؛ لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنّها شخصية متطلعة للمستقبل فإنّها تميل إلى التّعرف المباشر على التقنية؛ ولذلك لا تتأخر عن الاتصال لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها معطيات التّقدم ومبررات العصرنة، إنّها الشخصية المنسجمة القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة.

ولهذا فالشّخصية المتطلعة هي التي تتطلّع لِما هو أفضل على مستوى الذّات ومستوى الآخر، الاعتدال في قول الحق منطق، الاعتراف به اعتراف بما ينبغي، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أنّ إنكار الحقيقة لا يُلغيها، وعليه: إنّ الشّخصية المتطلِّعة هي التي تتمسّك بحقوقها وتمارسها، وتؤدّي واجباتها وتتحمّل مسؤولياتها، وتعترف بأنّ للآخرين ما يماثل ما لها. فهذه الشخصية تعيش حالة التقمّص؛ إذ تستعير شخصية الآخر وتسعى للذوبان فيها، باعتبارها القدوة التي تعتقد أنّها الأفضل، وهذا يدلّ على أنّ الشّخصية في حالة تطلّع لِما ينبغي له أن يكون، وبالمنطق ينبغي للإنسان أن يفكّر ويسعى لأن يكون على مستوى أفضل ارتقاء، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة، وهذه الظّروف تمكّنه أيضًا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها سواء في حالة التمركز التّام أو في حالة التطلّع لِما ينبغي، هذه هي الشخصيّة المتطلِّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كلّ تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كلّ ظرف وكلّ حالة، لا تعمم سلوكياتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنّها الشّخصية التي توصف بذاتية تميل إلى الموضوعيَّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقّع منطقي، إنّها الشخصيّة التي تميل إلى

المشاركة في الأحداث الموجبة، وتبتعد عن المبررات السّالبة، مستوى لغتها الحوار الجامع، الذي لا يعتقد إلّا في الحُجَّة المقبولة بين أطراف الحوار.

إنّها الشّخصية الاستنتاجية القادرة على الاستنباط المعرفي المجرد؛ إذ تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقلية أكثر من التجائها إلى التفسير المادّي المباشر نتيجة لتجاوزها مستويات الذَّاتيَّة الاجتماعيَّة، ولبلوغها مستويات ذاتية تميل إلى الموضوعيَّة، وهي تنتهج الأساليب العلمية في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكنها من التمييز المنطقي. إنها الشخصية الطموحة المتطلعة للأفضل والأجود، وترى أن التحصيل العلمي هو المؤدّي إلى الوصول إلى ما هو أجود أو أفضل، فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي.

مبدأ

نيل المأمول

المأمول: Expectation hope ما تأمل النفس تبوُّءَه رفعة ومكانة، وهو ما لم يكن مستحيلا حتى وإن كانت السُبل المؤدية إلى نيله صعبة.

والمأمول ليس خيالا، بل الممكن نيله أو الفوز به في دائرة المتوقّع، وتصاغ الأهداف من أجله فتُنجز، وتحدّد الأغراض في سبيله فتتحقّق، وتضمر الغايات من أجله فتُبلغ، ومن ثمَّ يتيسّر للمنال فيتم نيله.

إنّه ذلك الشيء المرتقب الذي لم يكن مجهولا بالنسبة إلى من يأمله، إنّه مولود الأمل فكرة ورغبة ومطلبا، بل وحاجة لإشباع حاجة؛ ولهذا يتُوق إليه باشتياق وينتظر وقت نيله بأملٍ لا يفارق.

وعليه:

فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصا وعملا جادا. تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا فلا داعي للعمل؛ فهو المتوقّع الذي

حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدية إلى نيله.

ولأنَّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله: (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني فقدان العزيمة (تصميما وإصرارا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي

يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنْ يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدّد ويتنوّع وفقا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة

تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[58].

ولهذا؛ فالجنّة مأمول ولم تكن أملا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضًا عامّا فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنوايا فردية؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا يؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذا المثال؟

---

[58] الأنعام 135.

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم. أي: إنّ المسلمين يميّزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه: فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه، ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيا أم مطلقا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابت، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالًا مجرّدًا.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاقا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جبنا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا كي لا تتسع دوائر التُبّع.

ومن ثمّ: فالأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغا ثم نيلا، سواء أكانت بحثا علميا أم عملا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملا، والهادمين له انحدارا ما لم يضع

الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدد وفقا لمأمول مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا ومنزلة.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي لنا الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء ومكانة، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سانحة فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنَّ تحديد المأمولات مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها. ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى نيل المأمول.

. تحديد المأمول يمكّن من التدبّر.

. وراء كلّ مأمول أمل.

. المأمولات لا تُنال إلّا بالعمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول؛ فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهدافًا قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لم يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهمية المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جديدة لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، فإنَّ في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال.

ولهذا؛ فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّ ما نال بنو آدم مأمولا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة بها يتم تحدّي الصِّعاب.

وفي دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يصنع له أملا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاء: ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولٌ يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا؛ فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء[59].

[59] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 153 – 160.

صُنع المستقبل المأمول:

المستقبل إذا تمّ قصره على الزّمن لا يُصنع، ولكن إن نُظر إليه سعة يمكن أن تملأ بما هو مأمول ليتم العمل من أجله قبل بلوغه بالتأكيد سيكون المستقبل قابلا لأن يُصنع عملًا ومعرفة وتخطيطًا وأخذ حيطة وحذر. ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، لكنّه اختيارا انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقيَّة أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندما؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكن لم يتمّ ذلك إلّا بعد نفاد الأمر وهو الهبوط به والأرض أرضا، ومن هنا أصبحت تلك الحياة الخَلقية، التي خُلق فيها الإنسان الأوّل (آدم) جنّة لم تفارق عقله، وظلّ يأملها حتى جاءت الاستجابة حافظة لأمله في العودة إليها ارتقاء.

فبعد أن كان آدم قد خُلق على الارتقاء خلقا، أصبح الارتقاء بالنّسبة إليه مجرّد أملٍ، ومع ذلك فالأمل لا يتحقّق إلّا عملا؛ فمن عمل من أجله بلغ مأموله، ومن لم يعمل فلا ارتقاء.

ومع أنّ الأمل بالنّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، فإنَّه بالنّسبة إلى آدم يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا؛ ولهذا فالأمل بالنّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنّة التي فُقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، ولكنّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنّ الجنّة حقيقة على قيد الوجود، فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

وعليه:

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقلية والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل.

. استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر.

. اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُّقلة إلى الأفضل المرتقب.

ولهذا؛ فالرفعة قمّة، هي: ما يُمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يُمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العلّية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي له أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) إذ الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولذلك؛ ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنّة على الأرض الدّنيا، التي جُرِّدت من الصّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن ثمّ، أصبح الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيئ، وكذلك من سيئ إلى حَسن قال تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}60. فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما اختلفوا، بل تخالفوا فيما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه، ومع ذلك فالإصلاح بين المختلفين والمتخالفين لم ينقطع، وكذلك العفو والصفح ظلّا جنبا إلى جنب مع القصاص الحقّ.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، لكنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية، فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لم يعد هينا؛ إذ لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملا وعملا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه إرادة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى المأمول بأمّ عينه.

---

60 الكهف 29.

وعليه:

.كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ فاعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها؛ فصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

. الخُلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفلية؛ فعليك بالخُلق ولا تفارق.

. الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيّا.

. ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواءك عثرة من بعد عثرة.

. اعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

. ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنس ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام، فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي: إنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيّا، أم خُلقيّا، فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولذلك؛ فبأفعال المخالفة والمعصية يتمّ استشعار الذّنب؛ فيولد النّدم والألم في نفس من يأمل الارتقاء عمّا وقع فيه من معصية، ومن ثمّ، ليس للإنسان إلّا أن يلتفت إلى نفسه استغفارا وتوبة تخرجه من التأزّم إلى الانفراج، وتعيده إلى

حيث ما يجب أن يكون عليه ارتقاء؛ فآدم بعد الهبوط على الأرض الدّنيا لم يظلّ له أمل سوى أمل العودة إلى تلك الجنّة التي خسرها بعلل الشّهوة والرّغبة والإرادة.

ومع أنَّ الزّمن في أذهاننا مقسّم بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، فإنَّ التفكير تدبّرا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا، ولذلك فالزّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاء يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، فإنَّ آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلّة قد ألمت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطا دونيّا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنّسبة إليهما الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

وهنا يتداخل الزّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحون هو: تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنّة خُلقت وجودا في الكون المرتق إذ لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، إذ لا مجال للشّروق والغروب، ولأنّه كذلك؛ فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيئا مسجّلا إلّا في الزّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك؛ فكلّ حياة الإنسان زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها ويتمّ استدعاؤه من الذاكرة لا يكون إلّا حاضرا في الزّمن الحاضر. أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجِّله الحياة في صفحاتها حاضرا.

فالزّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعد هي مركز منتصفها، وفي ذات الوقت تعد نقطة نهايتها، وهنا، يعد الزّمن كلّه حاضرا، أمّا الأعمال في الزّمن؛ فهي الشّاهدة على من يقوم بها، ولهذا؛ يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة إذ لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرًا.

ولهذا؛ فالآمال هي ما يحتويها الزّمن كلّه؛ فلا تقصر آمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز؛ ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنز لا يفنى.

وعندما تتاح لك فرص الاختيار؛ فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي لك أن تتأخر؛ فلكلّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبذر؛ ولذلك فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنّسبة إلى إنجازها أو بلوغها لا يعد إلّا مستقبلا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضٍ ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا؛ فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاء فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه، فمن شاء بلوغه فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء، ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الوراء، بل يعني: التقدُّم تجاه المأمول نشوءًا وإبداعا منتجا لكلّ جديد مفيدٍ يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، حيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم قمّة.

فالزّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمّى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا يزيد عن كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تعد السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء، ومن خفّت موازنه انحدارا؛ إذ لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطا، لا يلغي من دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[61].

يُفهم من هذه الآية أنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونا أوّلًا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي لها أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا فأوّل المغتنمين لها استغفارًا وتوبة كان آدم عليه السّلام فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

[61] العنكبوت 20.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن: فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق على من يرغبها أملا لاحقا، ومن هنا؛ فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله ما يحتويه الزّمن وجودا؛ ولذلك فالزّمن هو الزّمن، فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثية في الزّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورا يوم تحديدها وصياغتها.

ولأنّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاء يُمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرّع بحركة إحداث النُّقلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية.

ومن هنا أقول: إنَّ الحياة الأمل هي التي لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملًا محفّزًا بالرّغبة والإرادة. فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمّا الإنسان الأمل فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التأزّمات وتصنع لهم مستقبلا يحدث لهم نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق حتى يعرفوا أنّ المعجز معجزٌ.

ولذلك فالواعون دائمًا هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل الذي يقرّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

وعليه:

. فكّر فيما يجب قبل وجوبه حتى تكون سبّاقا قبل غيرك.

. اعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

. تحدَّ كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. اصنع أملًا؛ فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، واعلم أنَّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك حتى تستكشف نقاط ضعفها؛ لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجا.

. اعمل بحيويّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل المعيق لك من بلوغ المأمول.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق آمالهم، وحفّزهم على التحدّي؛ ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى ذلك غير المتوقّع الذي تملؤه الحيوية بما يرشد إليه من جديد أكثر وضوحا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُّفليّة والدّونية كما وقع فيها أبونا آدم عليه السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهداف أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفٌ.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرض ووراء كلّ غرض أغراض جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أن التقدُّم خطوات فأسرع تقدّما دون تسرُّعٍ.

. اعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) ولهذا؛ فلا إطلاق لقوّتك، ومن هنا يكون الضّعف والوهن، ومن هنا يجب الاستعانة بالغير لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة من إنجاز ما يفوق القوّة الفردية؛ ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائمًا لا يتحقّق إلّا بتهيُّؤ الآملين: تهيؤًا نفسيًّا وعقليًّا وبدنيًّا وصحةً وتعليمًا وتأهيلًا وتدريبًا؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ آمالٍ عريضة.

. أعرف أنّ المأمول لا يأتي إليك أبدا، بل المأمول تسعى إليه؛ فاسع فهو في دائرة الممكن يتم نيله.

. بلوغ المأمول يستوجب عدة وإعداد لها، فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغه.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنّفس البشرية، وخير الحوافر والدّوافع (الرّغبة)؛ إذ لا عمل ولا أمل بلا رغبة؛ ذلك لأنّ الأعمال والأمل بدونها تصبح أمنيات ليس إلّا. ولهذا؛ فالأمنية شيء لا يستوجب الإقدام عملا، أمّا الأمل فلا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذا مع وافر الرّغبة.

. الأمل عملٌ يستوجب الاستعداد له تأهّبا وعدة وإعدادًا ومن ثمّ استعدادا يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

. الأمل يستوجب متأهّبا للإقدام على الفعل الممكن منه أملا، وذلك من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو استراتيجية قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يسأل:

ألَّا تكون العلاقة بين الآملِ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل لا يزيد عن كونه شعور مرغوب، ولكنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل بدونه يكون اليأس هو ما تمتلئ به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون له من آمال، ولذا؛ فإن حدث ذلك أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مراحل الآمال.

إذن: وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس فيه. ومن أراد مزيدًا من الآمال فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها. إنّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النّاس[62].

[62] منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 152 – 178.

مبدأ

نيل الاعتراف

الاعتراف قيمة إثبات وجود الآخر الذي له من الأهمية ما يساوي أهمية الآخرين، وهي القيمة الانتشارية التي يرغب الكل في نيلها من الكل؛ فهي تربط الفرد بالمنزلة، وتربط الخصوصيَّة بالمكانة.

ومع أنَّ العبودية من المحرمات الإنسانية فأنّ الذي تجبره الحاجة على قبول العبودية يريد هو الآخر أن يعترف له سيده بأنّه عبدٌ ناجحٌ؛ ولذلك فإنّ جميع النّاس يريدون نيل الاعتراف من الجميع. ومن هنا نجد الوالدين يخلصان في رعاية أبنائهما؛ لكي ينالا منهم الاعتراف. ويحاول الأبناء أن يكونوا صالحين لكي ينالوا الاعتراف أوَّلًا من آبائهم، وثانيا من الآخرين. وهكذا المسؤول الديمقراطي يكد ويجد لكي ينال الاعتراف من ذوي العلاقة به. وفي مقابل ذلك نحتفظ بأنّ لكل قاعدة شواذّ.

ولذا فمن الضرورة أن يُحسّس الأنا الآخر بأهميته، وأن يعترف له بوجوده وبمقدرته على العمل والمشاركة والتفاعل والعطاء إلى النهاية؛ لأنَّ الاعتراف المتبادل يقوي العلاقة بينهما ويسهم في غرس الثّقة.

وعليه: تمكين أفراد الشَّعب من نيل الاعتراف بأنّ لهم حقّوقا، يمكّنهم من ممارستها، وأنّ لهم واجبات يمكّنهم من أدائها، وأنّ لهم مسؤوليات يمكّنهم من حملها وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام. وهكذا لعب الأدوار يزيد المجتمع وحدة وتماسكا. وهكذا الاعتراف بما يقوم به أفراد المجتمع من جهود ناجحة يزيد من عطائهم الموجب، ويدفعهم إلى المنافسة الشاملة.

وبما أنَّ نيل الاعتراف بما يلعبه الأفراد والجماعات من أدوار موجبة يزيد من عطائهم الموجب ويمكّنهم من التفاعل والتعاون. إذن نيل الاعتراف ضرورة فلا ينبغي لنا إغفاله.

وبما أنّ القاعدة المنطقية تقول:

. الفرد قوّة.

. الجماعة أقوى.

. المجتمع أكثر قوّة.

وفي مقابل ذلك الاستثناء يقول:

. المجتمع ضعيف.

. الجماعة أضعف.

. الفرد أكثر ضعفا.

إذن: الاعتراف إقرار بوجود، وجهود، وحقّوق، ومقدرة، ومكانة، ومعرفة، وهذه في ذاتها مكامن قوّة فلا ينبغي إغفال عن أهميتها عند رسم الخطط والاستراتيجيات على أيّ مستوى من المستويات الشَّعبية أو الإنسانية.

الاعتراف يحقّق النُّقلة النوعية: ولأنّ نيل الاعتراف يحقّق النُّقلة النوعية، فهو الممكّن من تجاوز المستويات القيميَّة الواردة في تصنيف تحليل القيم (الذَّاتيَّة – الانسحابية – الأنانية) إلى المستوى القيمي التطلعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة وبالعلائق النفسيَّة والذوقيَّة والثقافيَّة.

لذا فالاعتراف بما يُبذل من جهد موجب، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسيَّة والرضاء النفسي ويغرس الثّقة التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب؛ ولهذا فالاعتراف قيمة، ونيله مبدأ.

ولأنّ الاعتراف قيمة، ونيله مبدأ، يؤكد فرنسيس فوكوياما أنّ الرغبة في الاعتراف والتقدير باعتبارهما المحركين للتاريخ من وجهة النظر الليبرالية هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبرالية. وكذلك يؤكّد هيجل كيف أنّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التاريخ في معركة دموية من أجل المنزلة[63].

ولأنّ نيل الاعتراف مبدأ قيمي رفيع، فالكل يسعى إلى نيله حتى وإن كانوا عبيدا؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبودية، يأمل أن يكون سيده راضيا عنه، ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التعب من أجل شيء مهم جدا، هو نيل الاعتراف من سيده بأنّه عبد مخلص ومطيع ومهذّب. ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيده منه. وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهم ومن ذوي العلاقة بهم ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني، وإلّا لماذا يبذلون المزيد من الجهد؟ وهكذا حال من يقول الحقّ، أو يعدل إذا حُكّم أو حكم، أو إذا عمل أو حتّى تصوّف وتعبّد بموضوعية، أو أنّه شارك في المنافسات والمناشط المتعددة (الرياضية والفنية والثقافيَّة والعلمية والجمالية)؛ فجميع هؤلاء ومن على مثلهم يسعون لنيل الاعتراف تمييزا وتميُّزا عن الفاشلين.

وعليه: ـ كن إيجابيًّا لتنال الاعتراف. ـ كن متفهِّمًا لتحدث النُّقلة.

---

[63] فرنسيس فوكو ياما، الثقة، ص 174.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. ثق أنّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبّل.

. ثق أنّ الجحود مفسدة.

ثق أنّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

وعليه: يعدّ الاعتراف بالآخر منبعا من منابع تحقيق الأمل؛ لأنَّ الاعتراف قيمة حميدة والجميع يأمله، ولكن في الوقت الذي يأمله الجميع، هناك من لا يأمل أن يتمّ الاعتراف بالمختلفين والمخالفين، ولأنّ نيل الاعتراف مأمول؛ ينبغي أن تُعظّم قيمته وتفخّم حتى تسود بين النّاس.

ولأنّ الاعتراف بالآخر قيمة حميدة؛ لذا، نجد الكثير من النّاس يجتهدون من أجل أن يُعترف لهم بأنّهم مميّزون، وذلك بما لهم من ملكات وقدرات جعلتهم يتبوؤون المراتب الأولى على أقرانهم، ممّا يدعو المقدّرين لأهمية التميّز إلى الاعتراف لهم بذلك، والشدّ على أيديهم، ومساندتهم من أجل بلوغ المواقع الإدارية والمهنية والعلمية التي من خلالها يستطيعون إظهار مهاراتهم وقدراتهم في أداء المهام التي تناط بهم.

ولهذا، فمن يبذل جهدا متميّزا عن الآخرين يتمكّن من نيل الاعتراف منهم مع وافر التقدير عندما تكون مقاييسهم موضوعية. ومن هنا، وجب على المسؤول "أن يُشعِرَ مواطنيه أفرادا وجماعات بأهميّته مسؤولا مقدّرا، وذلك بإحقاقه الحقّ، وعدله، وسماحته، وحِلمه، ولين جانبه، كي يعترف له مواطنوه الذين ارتضوه حَكما بمقدرته على العمل، والعطاء للوطن إلى النّهاية، وفقا لقواعد الدّستور المشرّع من قبل الجميع، حيث لا تغييب ولا إقصاء ولا حرمان"[64].

[64] المصدر السابق، ص 140.

فقيمة الاعتراف لها من الأثر النفسي والمعنوي ما يكفي لقبول التحدّي وخوض الصّعاب من أجل ما يفيد وينفع، وفي المقابل عدم الاعتراف بالتميّز يؤدّي إلى إحباط نفسي ومعنوي يعيد المتحدّي إلى المربّع الأول وكأنّه لم يكن كما كان عليه.

الاعتراف مؤسّس لقاعدة (نحن معا):

مع أنَّ قاعدة (نحن معا) مُعطية إنسانية أخلاقيَّة، فإنّها في بعض الأحيان تسود داخل الوطن، ولا تسود بين الأنا والآخر، ذلك بأسباب امتداد الأنا على حساب الحيِّز الخاصّ بالآخرين؛ فتصبح المضايقات، في الحركة والسّكون، والمأكل والمشرب، والمنام والصّحوة، ممّا يدفع المختلفين والمخالفين على المستوى الدّاخلي، أو الخارجي إلى إعطاء التنازلات، بداية من أجل تفادي المؤلم، ثمّ من أجل اغتنام الفرصة عندما تتاح إلى أن يتمّ نيل الاعتراف سياسة واقتصادا واجتماعا.

إنَّ قاعدة (نحن معا) قاعدة مؤسّسة على بناء الذّات العامّة، التي تنشأ وتمتدّ في المجال العلائقي الاجتماعي، ثمّ تنمو في الضمير جنبا إلى جنب مع نمو العاطفة، وتتّسع مع اتساع دائرة المعارف على مستوى الأسرة، والقرابة، والجيرة، والأصدقاء، وبني الوطن والإنسانية بأكملها، وعندما تتوقّف ثقافة الفرد عند حدّ المستوى الذاتي وتقف عنده، ولا تتطلّع إلى معرفة ما هو أوسع وأكبر، عندها تتمركز شخصية الفرد على الذَّاتيَّة، ولا تفكّر في غيرها.

ولكن عندما تنفتح الذّات على الآخرين تصبح ذاتا معترفة بالآخر، ومتطلّعة إليه، تبادله علما، وثقافة، ومعرفة، وتجربة، حتى تصبح الشخصية الذَّاتيَّة على صفة جديدة تتجاوز التوقّف عند حدود الذات، إلى المستوى التطلعي؛ فتصبح صفتها الجديدة (تطلّعية).

ولذلك؛ فعندما يعترف الأنا بالآخرين، يصبح لسان حالهم مشتركا في الضمير (نحن) كما هو حال نحن العرب، وحال نحن المسلمين، أو نحن الأوربيين، أو نحن بني آدم، وهكذا لسان حال كلّ جماعة أو شعب بينهم روابط مشتركة.

وعليه؛ فالمنطق الذي جعل لسان حال الشّعوب والأمم لسان حال خصوصياتهم، هو الذي جعل منهم أطرافا متواجهة في الضميرين (نحن أم أنتم) وبخاصّة إذا ما تمسّك كلّ طرف بخصوصيّته على حساب خصوصيَّة الطّرف الآخر.

فالاعتراف بالآخر (المختلف أو المخالف) يحرّر الإنسان من أطماع نفسه ومظالمه، كما يحرّره من أطماع الآخرين ومظالمهم، سواء أكان الآخرون من بني الوطن أم من خارجه، ولذا؛ فبالاعتراف لن يسود منطق التهميش الذي منه:

. أنا فقط.

. أنا أملك ما أشاء، وأنت لن تمتلك شيئا.

. أنا الزّعيم، ولا زعيم معي.

. أنا الرّئيس، وغيري مرؤوسون.

. أنتَ مغيّب ومُقصى، وأنا السيّد وحدي.

. أنا أقرّر، وأنت تسري القرارات عليك.

. أنا أُحاسب ولا نحاسب.

. أنا من حقّي أن أغضب، وأنت من واجبك امتصاص غضبي.

. أنا عندما أمتدّ كما أشاء، ليس لك بدّ إلّا أن تنكمش.

. أنا عندما أقصيك، عليك بالصّمت.

. أنا عندما أعزلك سياسيًّا؛ فلا نقاش.

إنّ مثل هذه السياسات هي التي أنتجت بين النّاس الظّلم، والقهر، والخوف، كما أنّها أشعلت نيران الغضب في الأنفس، وجعلت من البعض تحت الاضطرار يقولون ما لا يفعلون، وجعلت من الخائفين يعملون سرّا وعلانية من أجل استبدال الواقع المؤلم بواقع آخر شافٍ من الآلام حتى وإن كانوا الضحيّة، وهذه السياسات هي التي جعلت من الأجنبي مترقّبا ومتحيّن الفرص المناسبة لغزو الأوطان واحتلالها، وسلب خيراتها.

وهكذا، سيظل الألم سائدا بين النّاس شعوبا وأمما، إلى أن يصبح الاعتراف بينهم قيمة سائدة، تسمح بالامتداد إلى النّهاية، دون أن يكون امتدادا على حِساب الغير.

الاعتراف قيمة حميدة بين النّاس الذين كلّ منهم يُقدّر الآخر اعترافا بأنّه معطية إنسانية لا ينبغي غض النّظر عنه، بل يجب الأخذ بيديه ليكون مشاركا، وفعّالا، وواعيا بما يجب، وما لا يجب، ممّا يستوجب تقدير الأنا للآخر في الزّمان والمكان المناسبين للأداء والفعل، سواء أكان إقداما أم تجنّبا وإحجاما.

ومن ثمّ؛ فالاعتراف بالآخر دليل انعدام الإقصاء والتغييب والهيمنة، ولكن إن سادت قيم عدم الاعتراف ساد في المقابل الإقصاء والتغييب والعزل السياسي، وإن سادت هذه القيم بين النّاس تحت أيّ مبرّرٍ ساد العناد والإفساد والتحدّي والمواجهة، وإن سادت هذه القيم السّلبية، سادت بينهم الفرقة والتشتت، والانقسامات، وتجزئة الوطن بأسباب الخلاف دون مراعاة المتخالفين لما يجب، والأخذ به[65].

[65] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 299.

مبدأ

تبادل الاحترام

الاحترام respect سيادة للشعور المرغوب والمفضَّل بين الأنا والآخر، ومن يناله يشار إليه بالمحترم، ومن لم يبلغ نيله يظل في حاجة إليه، إنّه الصفة الأخلاقيَّة المفضلة والمرغوبة عند النّاس. ويقول فرنسيس فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ: نطمع في أن يحترمنا الآخرون بالطريقة التي نعتقد أنّنا نستحقّها. ولذا عدم تجاهل الآخر فيما يجب أن يمارسه أو يؤدّيه أو يقوم به، يجعل بين الأنا والآخر لغة ومنطقا مقدّرين66.

ولأنَّ الاحترام قيمة حميدة فتبادله مبدأ أخلاقي وإنساني وتشريعي، {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أو رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}67، أي: أنّه مبدأ مقرّ من الأديان والإنسانية.

وعليه: الاحترام منبع قيمي يمكّن النّاس من التواصل والاستمرار به وكأنّهم أخوة، وهو منبع أمل يرجوه الجميع، ويأملون نيله من بعضهم البعض، وذلك بما يُثبّت علاقاتهم على الفضيلة وحسن المعاملة، وإظهار التواد بينهم وكأنّه الغاية المأمولة.

ومع أنّ النّاس مختلفون فيما بينهم، فإنَّ لهم من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة ما يجمعهم ويوحّدهم احتراما، ولأنّ الاختلاف قيمة إنسانية فَلِمَ لا يتمّ احترام المختلف بين المختلفين من النّاس؟

ولسائل أن يسأل:

---

[66] عقيل حسين عقيل، الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ص 7.

[67] النساء 86.

وما هو المختلف بين النّاس؟

أقول:

كثير، متعدّد ومتنوّع، فأنا غير أنت، وهم غير أولئك، فأنا الذي أمتلك حرّية، غير (أنت) الذي قبلت بالعبودية، وهم المنحرفون عن القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، غير (نحن) أصحاب الفضائل والقيم الحميدة، وأولئك الظلمة، غير هؤلاء المقسطين والمنصفين بين النّاس عدلا.

ولأنّ أمر الحياة بين النّاس مؤسّس على الاختلاف والتنوّع كان من الواجب على النّاس احترام المختلف والمتنوّع؛ وذلك لأجل أن تصبح الحياة بينهم مؤسّسة على المحبّة والمودّة، كما ينبغي أن تكون مؤسّسة على المشاركة والتعاون والتعارف.

الاحترام قيمة حميدة يسعى النّاس إلى تبادله بما يقدمون عليه من أفعال وسلوكيات وأعمال تستوجب احترام القائمين بها، والكلّ يرغبه، ممّا يجعل التنافس بين النّاس بهدف تبادل الاحترام الذي لا يكون إلّا بإثبات الذات على حُسن القول والفعل والعمل والسُّلوك، ومن ثمّ؛ فالاختلاف تنوّع في ذاته يستوجب تبادل الاحترام الذي به تقدّر الخصوصيات.

أمّا الخلاف فأمره في كثير من الأحيان يؤدّي إلى الآلام، والتأزّمات، ولكن بعضه يؤدّي إلى الرّضا، ولأنّه كذلك فَلِمَ لا يتمّ احترام المخالف، سوء أكان مخالفا لك في القول، أم العمل، أم الفعل، أم السُّلوك؟ أي: ولِمَ لا يكون الخلاف مع من يريد أن يُقرّ ظلما، أو يرتكب جريمة، أو يقتل نفسا بغير نفسٍ، أو يريد أن يزوّر حقيقة، أو يحتكر ثروة، أو يحتلّ وطنا، أو يستعبد آخرين؟

ولهذا؛ تبادل الاحترام مبدأ به يتمّ مراعاة مشاعر ومكانة المختلفين والمخالفين، وتفهّم ظروفهم المتعدّدة، والمتنوّعة سياسيا، واقتصاديّا، واجتماعيا،

ونفسيا، وثقافيا وذوقيا كما يتم تفهّم قدراتهم، واستعداداتهم، وإمكاناتهم التي تؤهلهم للأخذ بما هو محترم ومقدّر.

ولسائل أن يسأل:

هل الاحترام يُعطى، أم يُنتزع؟

أقول:

الاحترام يُفرض فرضا من قِبل صاحبه الذي يودُّ أن يكون عليه مقدّرا لدى الآخرين؛ فالاحترام لا يُعطى، ولا يوهب من أحدٍ، بل الاحترام قيمة بين النّاس المختلفين يتمُّ تبادله بما يقال، ومتى يقال؟، ولمن يقال؟، وكيف يقال؟، ثم بالفعل الذي يُفعل عن بيّنة وقناعة دون مظالم ولا مفاسد.

ومع أنَّ تبادل الاحترام في أساسه قيمة أخلاقيَّة، فإنَّ بعض النّاس لم يسلكوا سلوكا يليق بمكارم الأخلاق، ولهذا، يصبح الاختلاف والخلاف معهم ضرورة أخلاقيَّة.

ولأنَّ تبادل الاحترام غاية يأملها الإنسان، سواء أكان أبا، أم أمًا، أم مسؤولا، أم في أيّ مكانة، وفي أيّ مكان؟؛ فهو لا يتحقّق احتراما إلّا بمعطيات تُعدّ العدّة المادّية والأدبية والأخلاقيَّة من أجلها، وصولا إلى الغاية بأسبابها؛ ممّا يجعل تبادل الاحترام المتبادل مبدأ مفضّلا، ومن ورائه غاية من بلغها بلغ مأمنه الذي يرتضيه لنفسه، كما تقرّه الشرائع الخيِّرة، ولكن من الذي يستحقّ الاحترام؟

أقول:

المقدّر لنفسه، والمقدِّر للآخرين، وهو الذي لا يقدِم على فعلٍ فيه مهانة للنّاس، ولا لفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة، وهو الذي لا يصمت على حقّ يجب أن يقال، ولا يكتم شهادة يجب أن يُدلى بها أمام من يحكم بين النّاس بالحقّ

ولا يظلم أحدا؛ فالخلاف بين النّاس يؤدّي إلى افتراق الطّرق، أمّا الاختلاف بينهم فيؤدّي إلى التقائها. ولكن، هل دائمًا يتحقّق الاحترام بين المختلفين، ولكلّ أحدٍ من النّاس؟

أقول:

ليس دائمًا، بل في كثيرٍ من الأحيان الضّعفاء والفقراء يُحرمون من مبادلة الاحترام من الذين يمتلكون القوّة؛ فعلى سبيل المثال، الدّول العظمى التي تمتلك أسلحة الدّمار الشّامل، والمحرَّم دوليا، هذه الدّول مع أنّها مُخيفة للضّعفاء، فإنّها لا تُخيف بعضها بعضا، حتى وإن ساد اختلاف بينها، ومع ذلك يؤخذ الحذر كلّما ظهر خلاف، ومع أنّه خلاف فإنّه لن يكون إلّا خلافا باردا، ولهذا دائمًا يدقّ جرس الخط السّاخن (الخط الأحمر) بين رؤساء الدّول الكبرى عند كلّ اتفاق، حيث القبول المتبادل، والاحترام المتبادل، مع تبادل الاختلاف والخلاف؛ ولهذا فالضحايا دائمًا هم الضّعفاء، أمّا الأقوياء فتبادل الاحترام هو السائد بينهم.

وعليه؛ فلن ينال الضّعفاء احتراما من الأقوياء الذين يمتلكون القوّة الرّادعة والقامعة إلّا إذا امتلكوا القوّة المماثلة لقوتهم، والرّاهبة لهم.

ومع أنّ تبادل الاحترام طبيعة لا يكون إلّا عن إرادة حرّة، وأخلاق كريمة، وذوق رفيع، فإنّ الاحترام في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قد ينزع انتزاعا، ولهذا من يمتلك القوّة الرّادعة يستطيع أن ينتزع الاحترام ممّن لم يسبق له وأن احترمه.

وعندما يبلغ الضّعفاء مراتب القوّة، ويمتلكونها، علما، ومعرفة، ومهارة، لا شكّ أنّهم سيصبحون في صفوف الأقوياء من المقدّرين والمحترمين؛ فمثل هذه القوّة المرهبة تعيد من يمتلكون القوّة إلى إعادة حساباتهم وقراءاتهم تجاه من لم يسبق لهم وأن جعلوا له وزنا.

ولذا؛ فإنْ أردنا استقرارا وأمنا سائدين بين النّاس، أفرادا، وجماعات، وشعوبا، ودولا؛ فعلينا أن نحترم بعضنا بعضا دون اللجوء إلى القوّة المرهبة والمرعبة للأنفس البشرية، حتى يتمكّن الجميع من فتح آفاق التواصل، والاستيعاب، والمحبّة، قوّة أخلاقيَّة، دون اعتداء ولا مظالم.

وعليه، قد يتساءل البعض:

متى تكون العُدّة بين المختلفين والمتخالفين مخيفة؟ ومتى تكون مُرهبة؟

أقول:

العدّة مخيفة من حيث كون قرار استخدامها بشريا، ولهذا؛ فالخوف لن يكون من العُدّة، بل الخوف من البشر الذين يظلمون ويحقدون ويكرهون ويُفسدون ويسفكون الدّماء في الأرض بغير حقّ.

أمّا مِن حيث كونها مُرهبة فهي بما تُلحِقه من دمار وفتك بالبشر وما يمتلكون؛ فالقنابل مُرهبة، والصّواريخ مُرهبة، وكلّ ما من شأنه أن يترك دمارا هو مُرهب، ولذا؛ فإنَّ إعداد العُدّة لردع الظّالمين والمفسدين يرهبهم، كونهم أكثر من يعرف ما ستتركه العدّة (القوّة) من مخاطر ودمار، وبخاصّة أنّ العُدّة في حالة تطوّر سريع مع تطوّر العلوم والمعارف ولذلك؛ فمع تطوّرها يتضاعف دمارها؛ فالدّول الكبرى الممتلكة لأسلحة الدمار الشامل، هي أكثر خوفا ورهبة ممّن يحاول الالتحاق بها في هذا المضمار النّووي.

ولأنّها على هذه الحالة النفسيَّة فهي لا شكّ ستكون خير من يقدّر ويتفهّم ويحترم ظروف من أصبح يمتلك القوّة، أمّا الضّعفاء؛ فالاختلاف والخلاف

معهم سيظل من قبل الأقوياء، ولن ينتهي إلّا بامتلاك القوّة المتماثلة وحينها يصبح تبادل الاحترام مبدأ بعلّة الحاجة والضرورة68.

[68] المصدر السابق، ص 316.

مبدأ

ترسيخ الشفافيَّة

الشفافيَّة قيمة أخلاقيَّة غايتها إظهار الحقيقة (هي كما هي)، إنّها وضوح الرؤية وتجلّي الحقيقة؛ إذ لا شيء يخفى، أي: بما أنّه شيء، فكيف لنا أن نخفيه من الوجود؟

ولهذا فالشفافيَّة transparent وضوح في المعاملة بين الأنا والآخر، ولا سرية عنهما فيما لهما فيه حقّ، وتعامل إرادي تنساب من خلاله المشاعر والأحاسيس بين المتفاعلين أو المشتركين في أداء المهام بكل ود.

وهي قيمة ترابطية بين الكامن المعرفي والظّاهر السُّلوكي، بها تتضح العلاقة بين الفرد ومحيطه المعلوماتي، فلا سرية عمّن يتعلّق الأمر به. وهي أيضًا تلغي الشكوك من القاموس السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتُمكِّن الفرد من الاندماج والتواصل مع الآخر. فيها الرّقي الذوقي والوضوح المجرد من كل شائبة؛ فالشفافيَّة قيمة شرطية لممارسة الحرية بإرادة، وبها تُقدَّم الأشياء على حقيقتها هي كما هيّ دون أي تزوير أو تشويه أو إخفاء عمدي.

ولأنَّ الشفافيَّة ضرورة لاستمرار المشاركة الناجحة والبناءة، إذن: لمَ لا ترسّخ؟

أي: لم لا تثبت مبدأ معرفيّا وسلوكيّا حجّة وفعلا وثقافة حتى تصبح عرفا إنسانيا وأخلاقيا من خلال سن القوانين الضامنة لممارسة الحقوق بشفافية، وأداء الواجبات بشفافية، وحمل المسؤوليات بشفافيَّة؟

ولأنّ الشفافيَّة قيمة حميدة، فهي تواجه الفساد والمفسدين بحجج ودلائل وحقائق دامغة (نزاهة أو إدانة)، وهي: بغاية المحافظة على رأس المال وما يعود

عليه من مكاسب، بلا خيانة عمل ولا تبييض أموال ولا اختلاسها على حساب حسن الإدارة وجودة الأداء وسمعة الأنظمة السياسية والاقتصاديَّة والماليَّة سواء على مستوى الشركات أم مستوى الدّول.

ولأنّها كذلك: فلِمَ لا ترسخ مبدأ أخلاقيا بداية من العلاقات الأسرية ونهاية إلى علاقات الأفراد مع العمل ومؤسّسات الدولة، ورأس سلطانها دون خوف؟ ولِمَ لا ترسّخ الشفافيَّة تطبيقا على رأس السّلطان أو ربّ العمل قبل أن تطبّق على القوى العاملة والمواطنين؟ أي: متى يصبح رأس الدولة رأس بين الرؤوس والشَّعب قمّة بكلّ شفافية؟ أي: متى يصبح المواطن غير منعوت بالتهم ورأس الدّولة آمن؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير متى يفسح لها المجال لتقال في وسائل الإعلام ولا خوف على سلامة الشفافيَّة؟

وعليه: فالشفافيَّة كلمة حقّ في مواجهة باطل، وهذا يعني: لو لم يكن الباطل في مواجهة الحقّ ما كانت الشفافيَّة في حاجة لأن ترسّخ مبدأ بين النحن (الأنا والآخر).

ولأنّ الباطل عشعش في مؤسّساتنا وأوطاننا وعقولنا، فمن يا ترى سيكون شفافا ليقول الحقّ، ويَقدِم على وضع أصبعه في عين الباطل وهو واثق بأنّ أصبعه سيعود إليه؟

وعليه: إذا أجبنا عن هذه الأسئلة ترسّخت الشفافيَّة، وإذا تحايلنا عليها فهل يحقّ لنا أن نقول: نعم نحن نتملك الأصابع؟

مبدأ

الاستيعابُ احتواء

الاستيعاب: فتح آفاق التقبّل والتفهّم أمام الجميع هم كما هم عليه، وليس كما يجب أن يكونوا عليه، ولهذا يعد الاستيعاب احتوائي لا استثناءات فيه ولا حرمان. ومن هنا يعد الاستيعاب حيّز نفسي يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل واختلاف مع تقدير ما يختلف به واحترامه، وهو منبع من منابع الأمل التي يأملها النّاس؛ فالاستيعاب كونه قيمة حميدة لا يكون إلّا بقرار مسبق، به يتمّ قبول الغير وتفهّم ظروفهم وتقدير أحوالهم وتقبّل ما يختلفون به أو بما هم به يتميّزون؛ فالاختلاف والخلاف توأمان في دائرة الاستيعاب، لا يقبلان بالرّأي الواحد، ولا الحزب الواحد، ولا الفكر الواحد، كما أنّهما لا يقبلان بأيّ إكراه، أو إقصاء، أو ظلم، أو قهر، أو عدوان بغير حقّ، وبذلك فقيمة الاختلاف والخلاف تزداد أهمية وضرورة، كلّما ظهر ظلما، أو إكراها، أو حرمانا ومع ذلك فأبواب الاستيعاب مفتوحة؛ أي لو لم يكن الاختلاف والخلاف، ما كان للاستيعاب وجود، ولا ضرورة ولا أهمية، ولأنّ الاختلاف والخلاف سابقان من سابقٍ على كلّ سابق؛ فهما لا يكونان مستقلّان عن سابق معهما، وبذلك؛ فهما الرّفيقان للعاقل الذي كان متميّزا بهما، وبالاستيعاب معا.

فالاستيعاب قيمة احتوائية، تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما، دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائمًا الغاية من ورائهما هي نيل المأمول، الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلّا بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الآخر.

فالاستيعاب يُمكِّن أصحابه من الإلمام بالموضوع، كما يمكّنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن الآتي:

. استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكّنهم من التعرّف عليها، وتحفِّزهم على العمل بها.

. استيعاب السّلبيات، وتحديدها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

– استيعاب المختلف والمخالف، واحتواؤهما دون انحياز، ولا عصبيّة، انطلاقا من أنّ الفروق الفردية بين النّاس، هي مكمّلة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من التفاهم، والتفهّم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف، ينهي التأزّمات، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة، بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف يجعلهم في دائرة (نحن سويّا).

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من توليد القوّة، وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا، يجب أن يكون الاستيعاب بلا تردّد، والتقبُّل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول. ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها، يحدث التفرُّق والصّدام والصّراع، وتتجذّر العداوات بين النّاس، بأسباب التدافع عن غير حقّ.

فالاستيعاب قيمة حميدة يجمع الشّمل، ويُمكّن من إنجاز الصّعب في دائرة الممكن، وهو المُمكِّن من الوقوف على نقاط التمركز والتشتُّت التي تجعل المختلفين على الفرقة والضّعف، ممّا يستوجب الأخذ بنقاط الالتقاء واعتمادها جزءً من الحلّ، ونقاط الاختلاف واعتماد تجنّبها جزءً من الحلّ، فالإلمام بالمشكلة، وظروفها المتنوّعة، والمتغيّرة، والمتباينة، والمتصادمة، يُمكّن الجميع من معرفة العلل، والأسباب مكامن الإصلاح والحلول، حيث لا حلّ إلّا ونابع من عِلةٍ، أو سببٍ.

وعليه؛ فالاستيعاب، هو المحفّز والدّافع إلى الحلّ، الذي لا يتمّ بلوغه إلّا بعد خوفٍ يُمكّن منه.

ولسائل أن يسأل:

كيف يمكن أن يكون الاستيعاب، لو اتخذنا العرب مثالا للتطبيق؟

أقول:

العرب مع أنّهم بنو قوم واحدٍ، إلّا أنّهم متفرّقون بين تقي وشقي، وظالم وعادل، وحاكم ومحكوم، وسيدٍ ومسود، وغني وفقير، وقاصٍ ومُقصٍ، ومستقرٍ ومهجّر، ومسلمين ومسيحيين، وسنّة وشيعة، وكرد وتركمانستان، ودروز وأمازيغ، وطوارق وتبو وغيرهم من التنوّع الذي يرسم خريطة الوطن العرب جمالا. ولذا، إنْ أرادت العرب حلّا لمشاكلهم السياسية، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثقافيَّة، والنفسيَّة، والذوقيَّة؛ فعليهم بالاستيعاب الذي لا يستوجب اشتراطات، سوى الجلوس سويّا تحت مظلّة الوطن الواحد للشّعب الواحد، من الحدود إلى الحدود، وطن فيه الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليات تُحمْل، والتداول السّلمي على السلطة هو العنوان الذي يضمنه الدستور.

أمَّا الاشتراطات؛ فهي عبارة عن مجموعة من الموانع والعَقبات التي توضع من قِبل أحد الأطراف ضدّ الأطراف الأخرى؛ فتحول دون التّمركز على قاعدة

الاعتبار (نحن سويا)، فيتولّد الإقصاء والتغييب والتهميش، والعزل السياسي، وهذه جميعها تدفع الإنسان إلى الرّفض والتمرّد والتطرّف والثورة التي ليس من بعدها إلّا بلوغ الحلّ.

ولذا؛ فالاشتراطات في كثير من الأحيان مصدرها فوقي، تصدر من أعلى درجة طبقية إلى أسفل درجة على درجات السُلَّم القيمي، وهي إملاءات مانعة للاستيعاب، وتتطلّب تنازلات، ثمّ المزيد من التنازلات كلّما تمَّ قبول لاشتراطٍ من اشتراطاتها، ممّا يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلّا ما يقطع خيوط الاتصال التي يمكن أن تربط مع الآخر.

فالسّلطان، أيّ سلطان، إنْ أراد له ربيعا مزهرا؛ فعليه بالاستيعاب، الذي يجمع المواطنين تحت مظلّة الوطن ملك للجميع، ولكن إنْ أراد مشاهدة أوراقه تتساقط؛ فعليه بالإقصاء، والتغييب، والتعذيب، والتحقير، والتسفيه، وارتكاب المظالم، ما ظهر منها وما بطن.

وفي المقابل، ستظل قمّةُ السّلطان في الدّولة قمّة، إذا تمّ اختياره برغبة، ووفق عقد اجتماعي، وعن إرادة حرّة، وكان عادلا مقتدرا، يتقبَّل الجميع ويستوعبهم تحت مظلة الوطن الدّافئة، أمّا من يقدمُ على أفعال الإبعاد، والحرمان، للمواطنين بغير حقّ؛ فلا يستغرب إنَّ واجهه برد قارس، يجعل أوراق سلطانه تتساقط، كما تتساقط أوراق الخريف.

ولأنّ الاستيعاب قيمة احتوائية، فهو القيمة التي تعترف بالآخر، وتتقبَّله مشاركا وطنيا، يمارس حقوقه، ويؤدّي واجباته، ويحمْل مسؤولياته، ومن ثمّ، لن تُحلّ المشاكل بين النَّاس، إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم؛ أمّا الإقصاء والتغييب والعزل السياسي فلا تؤدّي إلّا للفرقة واتّساع الهوة بين المواطنين.

ولذا، لا تُحلّ المشاكل بين النَّاس إلّا بالاستيعاب، ولا يُصنع المستقبل المشترك إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم، ويمكّن من الاندماج والوحدة، ويحقّق الأمن والعدالة والإعمار والبناء، كما أنّه يؤدّي إلى التسامح والتصالح، ومن هنا؛ فهو منبع أمل.

والاستيعاب كونه قيمة حميدة؛ فهو المستمدّ من قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[69]،

تبيّن هذه الآية أنّ الاستيعاب قيمة جمعيّة على ثلاث مراحل:

المرحلة الجمعية الأولى: جاءت المخاطبة للأمّة الوسط جميعها لا لفرد، ولا لجماعة بعينها، ولا لطائفة من طوائفها، ولكن كيف يمكن للأمّة الوسط أن تكون مجموعة (وحدة واحدة)؟

بالتأكيد الأمر ليس هيّنا مع أنّ معطية الجمع بيّنة لا غبار عليها؛ فالأمّة الوسط بدون شكّ لا يجمعها إلّا الحقّ البيّن، والحقّ بالنّسبة للأمّة الوسط منزَّل تنزيلا، ولأنّه الحقّ من عند الله؛ فهو الثّابت الذي لا يتغيّر، ولهذا ستكون الأمّة الوسط شاهدة على النَّاس يوم القيامة بالحقِّ الذي لا يتغيَّر.

المرحلة الجمعيّة الثانية: جاءت المخاطبة للنَّاس (الجمع المطلق) مصداقا لقوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)؛ فهي لم تستثن أحدا من النَّاس، أفرادا وجماعات، وطوائف وشعوبا، وقبائل وأقواما وأمما، وذلك لأنّ الدّين الذي ستكون الأمّة به شاهدة على النَّاس، هو دين النَّاس كافّة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

[69] البقرة 143.

مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}70.

المرحلة الثالثة: إنّ الأمّة التي ستكون شهيدة على النَّاس يكون الرَّسول الكريم محمَّد عليه الصَّلاة والسّلام هو الشّهيد عليها، ولأنَّ الأمّة كلّ الأمّة هي شاهدة على النَّاس؛ فبطبيعة الحال سيكون الشّهيد على الشّاهدين على النَّاس، شهيدا على الكافّة، ولأنّ الرَّسول محمَّدا عليه الصَّلاة والسّلام مُرسل للكافَّة؛ فكيف لا يكون هو الشّهيد على الكافّة؟ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ}71.

وعليه؛ فالاستيعاب قيمة امتدادية ترسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر وفقا لقاعدة النسبية حيث لا مطلق إلّا من عند الله تعالى، ولذا تترتب قيم الأفراد والجماعات اجتماعيا على السّلم القيمي من المستوى الأناني إلى الانسحابي إلى الذاتي ثمّ إلى التطلعي والموضوعي.

وبناءً على هذه المستويات القيميَّة الخمس تمتدّ قيمة الاستيعاب أو تنكمش.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، لذا فإنّ استيعاب البعض للبعض هو الذي يؤدّي إلى توسيع دائرة القبول والرّفض التي تؤسّس قاعدة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أنّ الاستيعاب قيمة احتوائية تطوى الهوة بين الأنا والآخر.

إذن:

---

[70] الحجرات 13.

[71] سبأ 28 . 30.

القاعدة هي:

الاستيعاب يطوي الهوة.

والاستثناء هو:

الإقصاء يزيد الهوة اتساعا.

ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك، علينا أن نجيب على السؤال: كيف يصبح الاستثناء هو الاستثناء؟

عندما تستثني جماعة ما عضوا من أعضائها من المشاركة، أو يستثني مجتمعا ما جماعة من جماعاته من المشاركة، فإنّ هذا الاستثناء يخالف القاعدة التي تستوجب مشاركة كلّ أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابية، وهذه قاعدة.

والاستثناء لا استيعابي وهذا استثناء. أي: إذا اعتمد البعض الاستثناء قاعدة؛ فسيجدون أنفسهم يوما ما مستثنون، ولهذا يجب أن يستثنى الاستثناء ليكون الاستيعاب هو القاعدة، وهنا تكمن الحلول والمعالجات والخروج من التأزّمات.

ووفقا لقاعدة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يمكن أن يكون الضّعف قوّة استيعابية، ويمكن أن تكون القوّة ضعفا استثنائي.

على سبيل المثال: طاعة الوالدين.

هل هي ضعف أم قوة؟

الإجابة الموضوعيَّة أنّها تقع في دائرة الممكن.

كيف؟

من زاوية أنّها قوّة إيمانية (طاعة الوالدين في غير معصية الله واجبة).

ومن ناحية عقلية منطقية مجرّدة؛ فهي القبول بالخضوع، بتنازلات قد لا تكون مرضية للأنا (على عكس من رغباته أو طموحاته) ولهذا قد ترغب الأنا الإقدام على فعل الشيء، وفي الوقت ذاته تواجهها قوّة ممانعة أو رفض من الوالدين أو أحدهما.

وهكذا الحبّ هو الآخر ذو أثر قوّة، وأثر ضعف في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولذا فالحب قوّة موجبة، وقوّة سالبة.

قوّة موجبة: حيث يُمكّنك من استيعاب الآخر بلا تردّد، وغزوه أو غزوك بلا حدود.

وهنا نلاحظ شيئين متناقضين هما:

الاستيعاب الموجب: الذي فيه فُسحة للنفس وللذّوق الرّفيع ولقوّة الحواس، حيث ينقلك من مواقع الغفلة إلى قمم الفطنة، التي تمدّك بالصّحوة في كلّ حين، وتفتح أمامك آفاق تُمكّنك من نيل الاعتراف والتقدير، وتجعل مشاعرك في حالة فيض كلّما تُبادل بمثلها. وهنا يكون الحبّ قوّة تمركز التعادل بين المحبّين؛ فكلما تمتد مسافة لتملأ الآخر مودّة تقدّم نحوك بالتماثل ليملأك ودًّا، وحينها يصبح الحبّ بين (الأنا والآخر) قوّة استيعابية، تُمكّن من الإبداع والعمل المنتج والتحدّي لمواقع الضّعف والتردّد.

الاستيعاب السّالب: هو الذي يجعلك في حالة تنازلات كلّما فكّرت في الابتعاد، أو الانفصال، حيث لن تطيق الفراغ من بعده (بعد غزوته) التي جعلتك أسيرا بلا قوّة.

والذي يسيطر عليك هنا ليس القوّة كما تعتقد، بل الضّعف (القوّة السّالبة للإرادة) ولذا وفقا لقاعدة المتوقّع ستكون أسيرا خائفا متردّدا.

أمّا بالنّسبة لغير المتوقّع فمن الممكن أن تقبل بدفع الثّمن وتنفض الغبار من على ظهرك. ما يجعلك في حالة استرداد للقوّة. وتأكد أنّك تستطيع أن تفعل إذا كانت الغزوة استعمارية استعبادية أو استعلائية. أما إذا كان ودّا متبادلا إراديا فيكون الحبّ قوّة تستوجب الاحترام والتقدير دون أن تكون هناك مغالبة.

وعليه، فالمحبّة قوّة غازية متحديّة تداهم كلّ قوّة، ممّا يجعل المحبّ ليس له بدّ إلّا رفع راية الاستسلام وهنا يكمن الضعف قوّة.

وفي كلتا الحالتين الحبّ قوّة بضعفه وبقوّته. ولهذا لو لم يكن الضّعف قوّة ما كان له الأثر السّالب، ولو لم يكن الحبّ قوّة ما كان له الأثر الموجب.

وعليه:

فإنّ الاستيعاب ضرورة لا يكون إلّا بقبول تقديم شيء من التنازلات من أجل الحلّ أو بلوغ الغايات ونيل المأمول المشترك، ومع ذلك فإنّ التنازلات هنا لم تكن على حساب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، بل هي داعمة لها توافقا. فالاستيعاب قيمة ذات اثر على شخصيات الأفراد والجماعات والمجتمعات بدرجات غير متساوية، ونظرا لوجود الفروق الفردية من حيث القدرات والاستعدادات والثقافات والتعليم، فانّ شيئا من التنازل يجعل من قيمة الاستيعاب ضرورة ذات أهمية تستوجب الاحترام والاعتبار والتقدير كما تستوجب

التفهّم الذي يجعل لكلّ خصوصيَّة أهمية على السُلَّم القيمي وفقا لخماسي عقيل لتحليل القيم الذي يأخذ المستويات الآتية:

أوَّلًا ـ المستوى القيمي الموضوعي ويتمركز على:

ـ تقبّل الآخر كما هو بغضّ النّظر عن لونه أو جنسه أو دينه أو انتمائه أو خصوصيّته الاجتماعيَّة، مع تقديره واحترام آرائه بما يُمكَّن الأفراد من التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني.

ـ التفهُّم المتبادل بين الأنا والآخر يعدّ أساسا لبناء مجتمع الفكرة الذي يؤسّس على تبادل القيم الفاضلة.

ـ التعامل بكل شفافية مع الآخر بما يحقّق الاستيعاب والتفاعل والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيّات.

ـ الوعي بالحقوق والواجبات والمسؤوليات.

ـ تقدير الآخر والاعتراف به.

ـ إبداء الاستعداد لغرس الثّقة في الغير.

ـ التملك وفقا للحاجة، والعمل وفقًا للتخصص والخبرة، والإنتاج وفقا للمواصفات والمعايير النوعيّ.

ـ المساواة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته.

ـ التجرّد من الانحياز غير العادل.

ـ إدراك الحقائق كما هي لا كما يجب أن تكون عليه من وجهة النظر الخاصّة.

. الأخذ بالمصادر الطبيعية كالعرف والدّين في تقييم وتقويم السّلوك والفعل.

ثانيا . المستوى التطلعي ويتمركز على:

. الانفتاح على الآخر من أجل ما يفيد مع عدم التفريط في الذّات التي ينتمي إليها الأفراد أو الجماعات.

. أدراك ما يجري ومحاولة تكوين علائق على أكثر من مستوى موجب.

. التهيؤ للتغيير النافع.

. الاعتماد على المنطق في المحاجّة.

. المقدرة على الاستنباط المجرد للحقائق.

. الطموح بما لا يطمس الهويّة.

. الاعتدال والاتزان الانفعالي مع القيم الذَّاتيَّة والقيم المتطلّع إليها.

ثالثا . المستوى الذّاتي ويتمركز على:

. حبّ الذّات الاجتماعيَّة.

. التعصُّب إلى مقومات الخصوصيَّة حتى ولو كانت على غير صواب.

. التمسّك بالموروث حتى وإن كان في حالة عدم اتزان مع واقع العصر.

. التباهي بالذّات الاجتماعيَّة حتى وإن لم تكن مواكبة لحركة التغيّر المفضّل.

رابعا . المستوى الانسحابي ويتمركز على:

. الانسحاب من القيام بالأفعال الموجبة أو المشاركة فيها.

. الميل إلى الأنانية.

. عدم تحمَّل المسؤولية.

. عدم الإسهام في بناء الشخصية الوطنية.

. التمسّك بمطالبة الحقوق والانسحاب من أداء الواجبات.

. لا تُعد السّلبية من الأعمال المعيبة.

. التمثيل لا يعدّ عيبا وبالتّالي من يستطيع أن يقوم بالواجبات نيابة عن المنسحب فليقم بها.

خامسا . المستوى الأناني ويتمركز على:

. الأخذ بالأنانية وعدم تقبّل الآخر.

. تغليب مصلحة الأنا على مصلحة الذات.

. تجاوز الحدود على حساب الآخرين.

. المعيار: (أنا كلّ شيء).

. المقياس: (الأخذ بدون عطاء).

وعليه:

. لا تكن أنانيا فالأنانية نقيصة.

. لا تكن انسحابيّا من اتخاذ المواقف الموجبة؛ فالانسحاب معيبة لا تليق بمن خلق في أحسن تقويم.

. احترم ذاتك يحترمك مجتمعك ويُقدّرك الآخرون.

. تطلّع إلى ما هو أفضل وأجود تحدث لك النقلة وتصنع لك مستقبلا.

.كن موضوعيا تنل الاحترام والتقدير وتكسب الهيبة.

وبناء على ذلك يكون دور الأخصائيين المهنيين العمل وفقا لما يُمكّن من تصحيح الأخطاء وتجاوزها لما يحدث النقلة باتباع الآتي.

. تحدد المستوى القيمي الذي عليه حالات الأفراد والجماعات.

2 . البدء مع الحالات من حيث هي، ومع الأفراد من حيث هم.

3 . العمل على نقلهم إلى ما يجب أو تحفيزهم ودفعهم إليه.

ولهذا يعدّ الاستيعاب فُسحة امتداد المسموح به إلى النهاية، ولهذا إعطاء الفُسحة قاعدة، وعدم إعطائها استثناء، ولذا، فالفُسحة فرصة يجب ان تُغتنم بموضوعية

وعليه:

- أعط الفرصة.
- أعط الفُسحة.
- اسمح بالاغتنام.
- قيّم مجهود من أعطيت له الفرصة.
- قارن المجهود بالعائد من ورائه.
- قيّم حتى تكتشف نقاط القوّة والضّعف.
- قوّم وصحّح الانحراف.

وبناء على هذه المبادئ والقيم المتضمنة في النّظرية الاجتماعيَّة (الإنسان اجتماعي بطبعه) فانّ تقدير الحالة وظروفها الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنفسيَّة والذوقيَّة والثقافيَّة هو الممكن من تأكيد وتحقيق قيمة الاستيعاب.

ولهذا:

. تفهَّم ظروف الآخر.

. تفهَّم واقع الحالة كما هي.

. تفهَّم الصّعوبات التي تواجه العملاء.

. قدَّر حالاتهم وظروفهم.

. لا تصدر عليهم أحكاما مسبقة.

. أعط الفرص وافترض خيرا.

. اعرف أنّ كلّ شيء ممكن.

ولأنّه لا استيعاب بدون رغبة. إذن عليك بتهيئة العملاء للاستيعاب، إذا أردت العمل معهم من حيث هم إلى حيث ما يجب، لأجل إحداث النقلة التي لها يُصنع المستقبل، ثمّ:

- تقدّم برغبة.

- اعمل بوعي.

- انطلق بقوّة الإرادة.

- استوعب عن عمد.

- حلّل بمنطق.

- شخّص على واقع.

- قوِّم بموضوعية.

. قرّر عن معرفة ودراية حيث لا وجود لما يعيق، واعتبر تُعتبر، وقدّر تقدَّر، واسمح بالامتداد يسمح لك بالامتداد، وتطلّع للغير يتطلّع إليك، وفي المقابل إذا استثنيت تستثنى، وإذا غيبت تُغيّب.

وبما أن نيل التقدير حاجة ماسّة للفرد والجماعة والمجتمع. ولا يتمّ نيله إلّا بالاستيعاب. فلماذا لا يسعى الجميع إلى نيله بالاستيعاب وبكل شفافية؟

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (138) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 ـ آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 ـ إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 ـ نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 ـ

90 ـ هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعية (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (138) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.